محمد علي الشبيبي

ذكريات الزمن القاسي



قمنا في موقع مذكرات كتاب قرأته

http://ktoob1435.blogspot.com

بإعداد هذا الكتاب من خلال نسخ نصوصه التي نشرها المؤلف في الانترنت

العهد الملكي

(1)



المرحوم جدي الشيخ محمد الشبيبي عضو مجلس السلم
العراقي ووالد الشهيد حسين الشبيبي (صارم) عضو
المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي

بعد ان انهيت امتحانات البكالورية للصف السادس الابتدائي صيف 1958، كما انتهى الجميع من امتحاناتهم اعددنا السفر لمغادرة كربلاء الى النجف، حيث اعتادت العائلة في كل عطلة صيفية السفر الى النجف والبقاء هناك في بيت جدي الشيخ محمد الشبيبي. كانت فرحتنا نحن الصغار مضاعفة، فقد انتهينا من الجو المدرسي وما يتطلبه من تحضير وواجبات مدرسية مرهقة تكاد تكون سببا في تهرب الكثيرين من المدارس، كذلك سنلتقي باقارب العائلة من الخالات والعمات وابناؤهن، وسنتمتع وخاصة انا بحب

وحنان جدي شيخ محمد. كان رحمه الله يكن لي حبا خاصا و يدعوني بتحبب فيصغر كلمة جدو ويناديني بتحبب (جديدو). السفر الى النجف كل عطلة صيفية او شتوية كانت من عادة العائلة، حتى عندما كنا نسكن مدينة الناصرية والتي تبعد اكثر من 300 كلم عن النجف، وعندما انتقلنا من الناصرية الى كربلاء صيف 1956 أصبحت زيارات العائلة للنجف حتى في ايام العطل الاسبوعية .

في النجف يوميا صباحا كنت ارافق جدي الشيخ للسوق، بعد ان يفطر ويشرب قهوته العربية التي تقوم باعدادها عمتي وسيلة رحمها الله. اسير معه في أزقة النجف الضيقة بدءً من بيته في محلة العمارة عبر ازقة محلة العمارة ومن ثم عبر السوق الصغير وحتى السوق الكبير واحيانا يصل الى مقهى عبد ننه في باب الولاية. يسير ببطء وقد بان عليه الكبر وارهقته متاعب الحياة وشارف على نهاية العقد الثامن من عمره، وهو يستعين في سيره بعصا يتكأ عليها ذات مقبض نصف دائري من الكهرب الأصفر. يوقفه البعض من حين الى اخر يحيوه ويسألوه عن صحته وعن اخر الاخبار والمستجدات، يحاول البعض تقبيل يده فيسحبها بشدة رافضا، وانا اقف بقربه معجبا بكثرة معارفه ومحبيه واشعر بالفخر لذلك .

خلال حركة جدي اليومية والرتيبة من البيت الى السوق الكبير، يضطر فيها للتوقف للاستراحة وتبادل الاحاديث مع بعض اصحاب المحلات من الأصدقاء في السوق الصغير وكذلك في السوق الكبير. عندما يسأله احدهم عني يجيبهم بفصاحته الخطابية ذات النغمة الحسينية هذا هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الشيخ شبيب. رحلته اليوميه هذه ذهابا وايابا تستغرق ثلاث ساعات، يعود بعدها للبيت متعبا فيستريح في سرداب (1) الضيوف المخصص للرجال وهو احد اكبر ثلاثة سراديب في البيت .

تشتهر مدينة النجف عن غيرها من المدن العراقية بسراديبها العميقة والمؤثثة لتكون

صالحة لاستقبال الضيوف خاصة وقت الظهيرة وما بعدها حيث يشتد الحر فتكون هي الملاذ للنجفيين من شدة الحر صيفا. اضافة لهذه السراديب، تحتوي البيوت النجفية القديمة على سراديب اعمق من السرداب العادي، حيث يتجاوز عمقه 15م، ويدعى سرداب السن. وسرداب السن غير صالح للسكن لشدة رطوبته وإنخفاض درجة الحرارة في جوه ويستعمل لخزن الفاكهة وخاصة الرقي والبطيخ. تحتوي سراديب السن في النجف على ابار وأقنية مرتبطة ببعضها، حيث يمكن التنقل من بيت لبيت ومن محلة لمحلة من خلال هذه الاقنية، ويقال ان ثوار ثورة العشرين استغلوا تلك الاقنية لمهاجمة الانكليز وهم في مقراتهم في البيوت النجفية. كما أن سرداب الضيوف المخصص للرجال يرتبط بسرداب النساء بواسطة السرداب الصغير. في ارضية السرداب الصغير يوجد شباك يطل على البئر الموجود في سرداب السن، ويسمح هذا الشباك لضوء النهار بالوصول الى سرداب السن. ويكون النزول الى سرداب السن عبر درج من سرداب النساء. اما النزول لسرداب الضيوف يكون من الممر (المجاز) من دون المرور بالحوش ويخصص هذا الدرج للضيوف ، ويوجد درج اخر للسرداب من الحوش ويمر بجانب المطبخ ويستعمل للعائلة، ومن خلال هذا الدرج تقدم الخدمات لجدي وضيوفه في السرداب. وهناك درج ثالث من الحوش ايضا يؤدي الى سرداب النساء. وتوفر السراديب لنا نحن الاطفال مكانا للعب واللهو بعيدا عن الازقة التي تكثر فيها حركة الناس من المارّة .

كنا نحن الاطفال نفرح كثيرا عندما يرسل جدي ما يتسوقه للبيت من رقي وبطيخ وفاكهة وخضروات محملة على دابة، وكان من عادة جدي ان يشتري كمية كبيرة من الرقي والبطيخ بكل انواعهما تكف لأيام، وعندما تصل الحمولة للبيت نكلف نحن الصغار بنقل الرقي والبطيخ لسرداب السن، وكنا نتعمد بإسقاط بعض الرقي من ايدينا ليتهشم وننتظر كلمات اللوم والنقد من الكبار لعدم اهتمامنا ثم يعرضون علينا تناول ما

تم تهشيمه .

اهتم المعماريون النجفيون في هندسة السراديب لكي تؤدي وظيفتها الجمالية والخدمية بشكل جيد. كما لم ينس المعماري (البادكيرات) عند بناء السرداب. والبادكيرات عبارة عن تجويف متواصل في جدار السرداب، يخترق الجدار من الأسفل وحتى نهاية الطابق العلوي للبناء، تكون فتحته السفلى على ارتفاع (1,25)م من أرضية السرداب بعرض متر اواكثر وسمك يزيد عن 10سم ويمتد هذا الفراغ مخترقا البناء الى مافوق الطابق العلوي لتكون فتحته العلوية محمية من الأمطار. تؤدي البادكيرات مهمة تهوية السرداب والتقليل من تأثيرات الرطوبة في السرداب. الانارة في السراديب هي الاخرى أيضا من اهتمامات المعماري، فمعظم السراديب لها شبابيك لايصال الضوء لإنارة السرداب، كما انها تساعد في دورة الهواء .

يتوسط سرداب الضيوف عمودان ضخمان من الطابوق الاصفر قطر الواحد منها يزيد على 60سم، ورغم ضخامة العمودان فانهما يضفيان على جو السرداب جمالا فنيا يخيل لك انهما نخلتان باسقتان في وسط ذلك السرداب، فزخرفة السقف بالطابوق الاصفر بشكل محدب والتحامه بالاعمده يخيل لك كسعف متشابك لنخلتين باسقتين .

كانت عمتي وامي تقومان يوميا بتنظيف السرداب ورشه بالماء المخلوط بالاسفنيك (مادة سائلة ذات رائحة زكية) فتنتشر رائحة عبقه تتميز بها سراديب النجف، ولم تنس عمتي ان تملأ الجرار الفخارية (الشراب) بالماء وتضعها تحت فتحة البادكير لكي يبرد الماء متأثرا بدورة الهواء وعملية التبخر الناتجه عن ذلك. واحيانا نكلف نحن الصغار بفرش الافرشة والمساعدة في عملية ترتيبها، بعد ان نأخذ قسطا من اللعب والمزاح والعراك بالمخاديد والفراش، وكم مرة نضطر الى ترتيب الافرشة بسبب مانحدثه من تخريب في ترتيبها .

بعد عودة جدي ظهرا الى البيت، يكون قد اتعبه المسير وكثرة التوقف بالطريق للرد

على تحية المحبين والإجابة على تساؤلاتهم واستفساراتهم عن اخر الاخبار. حيث كان بيت الشيخ مصدرا لتناقل الاخبار ويلتقي فيه الكثير من نشطاء الحزب الشيوعي والاصدقاء من وطنيين وديمقراطيين، لذلك يتعرض البيت في احيانا كثيرة وبشكل مفاجئ الى حملات من المداهمات والتفتيش، من قبل اجهزة امن الحكم الملكي. كنا نعرف بوصوله من سعاله المعتاد عند مدخل ممر البيت وهي سعلة مفتعله على الأرجح ليُعلِم من في البيت بوصوله. تستقبله عمتي وسيلة رحمها الله وتساعده بخلع عباءته وتتناول منه مايحمله من مشتريات ومن ثم مساعدته في نزع جبته وتبديل ملابسه. بعد ان يغير جدي ملابسه ويرتدي قميص البيت الأبيض والواسع بشكل مبالغ فيه، مبررا ذلك بأن سعة الثوب (القميص) تساعده على تهوية جسمه وتحميه من حرارة الصيف حتى أنه يترك أزرار قميصه مفتوحة. يجتمع الكل في السرداب، جدي ووالدي والضيوف إن وجدوا ويتبادل الجميع الأخبار، كان جدي يستمع للأخبار والأحاديث وهو ممدد على فراشه، مستعينا بمخدة خاصة يستعملها للإتكاء. يحتل فراشه احد جوانب السرداب ويكون بمحاذاة البادكير لكي يتمتع بدورة الهواء المنعش. يستسلم الجميع للقيلولة بعد تناول الغداء و فاكهة الصيف من رقي الرحبة المفضل بالنسبة لجدي، حيث كان يحب تناول رقي الرحبة بإضافة ماء الورد والسكر اليه، مما يجعلنا نحن الاطفال نتخاصم فيما بيننا على تناول بقايا رقيته .

بعد القيلولة يصعد الجميع للطابق الأرضي، واذا كان الحر شديدا يلجأ جدي الى الإستحمام بماء الحب (أواني من الفخار يزيد حجمها عن 500 لتر لخزن وتبريد الماء الخاص بالشرب)، حيث يوجد في البيت مكانا خاصا ومعزولا يحتوي على مجموعة من الأحبوب. وبعد الاستحمام يأخذ مكانه المعتاد في الطارمة (تسمى طارمة لأنها من ضمن الحوش ولكنها مسقفة) المطلة على الحوش بجانب المجاز (الممر)، والطارمة مرتفعة عن الحوش بـ 40 سم، وبذلك يكون الجلوس على حافتها كالجلوس على

كرسي، حينها يتناول الشاي والأركيلة، ويراقب حركة الاطفال وهم يلعبون ويمرحون في وسط الحوش، ويتندر معهم .

إذا لم يكن جدي مرتبطا باي مجلس حسيني يبقى في البيت ولايغادره، فيؤدي صلاته في البيت، فتكون صلاة العصر في الحوش أما صلاة المغرب والعشاء فيؤديها في السطح صيفا، وفي البراني شتاء. كنت اسمع صلاته وهو يتلو آيات كريمة وادعية فأحس برهبة وصدق دعواته. من قوة إيمانه وصدقه كان يرفض أن يُعَلِم جبينه كدليل على جدية العبادة وكثرة السجود، كما يفعل بعض المنافقين من المتدينين، وكان يعلق ويقول وقد صرح بذلك في احد مجالسه الحسينية: اصلي منذ كان عمري ثمانية سنوات فلم تترك التربة أثرا على جبيني أما هؤلاء الذين طبعوا جبينهم ببقعة سمراء غامقة فهم يحاولون إقناع البسطاء كونهم من المؤمنين الملتزمين حتى يسهل لهم خداع الناس بإيمانهم الكاذب، ولكن الله سبحانه وتعالى يعرف من هو المؤمن ومن هو المنافق!! يقضي مساءه في السطح حتى انه يستقبل زواره هناك ويحب تناول عشاءه على ضوء القمر من دون الإستعانة بالمصابيح الكهربائية .

لم تكن زياراتنا للنجف في الشتاء كثيرة بسبب قصر العطلة الشتوية، وتكون الزيارة قصيرة وفي الحالات الإضطرارية، كالمرض. كان جدي يستقبل ضيوفه شتاءً في (البراني)، والبراني مصطلح يطلقة النجفيون على صالة الضيوف الخاصة للرجال فقط ، وسميت بالبراني لأن الوصول اليها لايمر عبر البيت حيث تجتمع النسوة. والبراني في البيت يقع في الطابق الأول، والوصول إليه يكون عبر المجاز (الممر الفاصل بين الباب الخارجي والبيت) مباشرة من دون المرور بالحوش، حيث يواجه الباب الخارجي الدرج المؤدي الى البراني. يجلس في الزاوية التي تقابل الباب الرئيسي للبراني، حيث يكون في مواجهة ضيوفه حال صعودهم للطابق العلوي. والزاوية التي يحتلها تطل على زقاقين متقاطعين، والشرفة (الأُرسي) الخارجة قليلا عن البراني تسمح له أن

يرى ويعرف من هو الضيف بمجرد طرقه على الباب. يجلس في الشتاء وهو يحيط جسمه بفروة صفراء مطرزة بعناية مصنوعة من جلد الخراف. وامامه (منقلة) فيها من الجمر الضروري للتدفئة ولحفظ سخونة دلال القهوة وهي معمرة بالقهوة العربية، ومن حين لاخر تراه ينقل الجمرات ليحافظ على توهجها. لايشتري جدي القهوة جاهزة، فهو يشتريها ويحمصها ويطحنها في البيت، وتقوم عمتي وسيلة يرحمها الله بطبخها وتهيئتها. وكان ضيوفه من المعممين المتفتحين والمثقفين وحتى من الشباب .

يخرج جدي مساءً عندما يكون مرتبطا بأحد المجالس الحسينية، فيتهيأ في إرتداء جبته ويعيد لف عمامته، وكنت اراقبه بإنبهار وهو يلف عمامته بإهتمام ودقة مستعينا بركبته، وكانت عمتي وسيلة تقف بجانبه تساعده في إرتداء ملابسه. حينها كنت أخرج وأقف عند باب البيت أنتظر واسطة نقله للمجلس وهي عبارة عن دابة (حمار) لعدم إمكانية وصول السيارة بسبب ضيق ازقة محلة العمارة، وهذه صفة تتصف بها كل شوارع النجف القديمة.

1- السرداب بناء تحت الطابق الأرضي، تتميز به مدينة النجف، ويكون بعمق يصل الى 10م ويزيد أحيانا عن ذلك

العهد الملكي

(2)





الأخ الأصغر للشهيد حسين الشبيبي الشهيد حسين محمد الشبيبي بريشة الفنان
محمد علي) رفيق اطيمش)

كانت مجالس جدي الحسينية عبارة عن إلقاء الوعظ والارشاد والنصائح الدينية ويحث فيها على النضال ضد الظلم والشهادة من اجل العقيدة الخيرة ويستشهد بالامام الحسين (ع) بمقارعته لظلم بني امية وشهادته من أجل الحق. كان يرى في مهمة قارئ المنبر الحسيني التثقيف ونشر الوعي السياسي والديني المتفتح والإبتعاد عن الطائفية واللعب بعواطف ومشاعر الجمهور وتوجيه هذه المشاعر للوقوف والتصدي للظلم الإجتماعي. فمثلا عندما يذكر مواقف السيدة زينب، يتحدث عن امكانياتها في

الحوار ومعنوياتها العالية في مجابهة الخصوم، وكيف كانت تشجع المقاتلين وترفع من معنويات الجرحى، وكيف كانت بمثابة الاعلامية لفضح بني امية، ويرفض اسلوب الاخرين الذين يصورون زينب وهي تبكي اخاها ويقولوها اشعارا وكلاما لايتناسب وشجاعتها وجرأتها وكل مايقولونه الهدف منه ان يتعاطف المستمع معها ومن ثم البكاء عليها وكأن الهدف من إعادة رواية المقتل هي تجديد البكاء ولطم الصدور، وليس الهدف نشر الوعي السياسي الوطني والاجتماعي، للوقوف ضد النظم الإستبدادية بصلابة كصلابة الحسين (ع). وكان ينتقد القوى الدينية التي تقف موقف المتفرج من الظلم الذي يسود الواقع العراقي، او التي تبرر مايحصل من اضطهاد للكادحين من قبل ارباب العمل او للفلاحين من قبل الاقطاع، بحجة ان مايحصل من ظلم هو من مشيئة الله، وكان يشرح خلال مجالسه كيف ان الظلم لايمكن الاستكانة اليه وترك المستبد في استبداده، وانما يجب مقاومته كما فعل الحسين.

كانت مجالسه عامره بالناس وهذا ماكان يضايق مسؤولي السلطة الملكية في المدينة وكثيرا ماكانت سلطة العهد الملكي تقوم بإعتقاله او التحقيق معه بعد كل مجلس حسيني، حتى ان القوى الرجعية من المؤسسة الدينية في النجف كانت تغتاض من مجالسه وحاربته حتى في رزقه، وأشاعت بلا خجل كذبة تقول بأن الشيخ لايبكي الامام الحسين (ع) وانما يبكي على ابنه حسين (صارم) عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، الذي اعدم مع فهد مؤسس الحزب. ولما سمع ذلك رد على هذا السخف من على المنبر: إنه ارتقى المنبر الحسيني وهو ابن ثلاثة عشر سنة، وسمى ابنه هذا حسينا حبا بالحسين وإستذكار الحسين وانه لفخور ان يكون ابنه شهيدا.... وفقا لما كان يردد .

وان الالى بالطف من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام التأسية

لم يكن رحمه ألله خطيب منبر حسيني وحسب، بل كان وجها اجتماعيا شعبيا في مدينة النجف، احبه النجفيون وكانوا روادا صادقين ومتحمسين لمجالسه الحسينية، لما يتناوله فيها من نقد ايجابي لسلبيات الحياة العامة بأسلوب بسيط وجذاب. وكان يتفاخر علنا بعضويته ونشاطه في مجلس السلم لمدينة النجف، ويتحدث علنا عن طبيعة حركة انصار السلام العراقية ومساهمتها في توطيد السلم العالمي، وكان بذلك يغيض القوى الرجعية والحكومية والتي لم تتورع لإعتقاله.

تعرض رحمه الله رغم كبر سنه للاعتقال اكثر من مرة، ومنع عدة مرات من ممارسة عمله كخطيب حسيني، كما منع من السفر الى الأهواز لحظور مجالسه الحسينيه هناك وتم ذلك بالتنسيق مع حكومة الشاه. واتذكر اخر مرة تعرض فيها للأعتقال كانت عام 1954 حيث كان هو والشهيد الدكتور خليل جميل (1) مرشحان للانتخابات النيابية ومسنودين من جماهير الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية. وبسبب شعبية جدي الواسعه وتخوف سلطة العهد الملكي من فوزه قامت سلطات امن النجف باعتقاله وارساله مخفورا الى كربلاء، ليبق في معتقل موقف شرطة كربلاء لمدة اكثر من اسبوعين رغم كبر سنه وهو في عقده الثامن. كانت هذه ديمقراطية العهد الملكي التي يتبجح بها البعض، حيث يعتقل المرشح لارهاب جماهيره وتحييدها قدر المستطاع، اضافة لعمليات التزوير وشراء الاصوات .

أقمت انا وعمتي وسيلة رحمها الله في كربلاء في بيت اقارب امي، لكي يتسنى لنا زيارة جدي وتوفير الطعام له، ولم تخلُ زياراتنا له من مشادات ومحاولات منع من قبل

مسؤولي الامن لزيارته وتوفير ما يحتاجه من غذاء وادوية. حدثت ملابسات مقصودة في تلك الانتخابات للاسف لا اتذكرها، ادت الى خسارة جدي، حيث اطلق سراحه بعد انتهاء العملية الانتخابية بعدة ايام واستقبل بالنجف استقبالا حارا من قبل اهالي النجف بالرغم من مضايقات الامن للمواطنين.

في تموز 1958 تدهورت صحة جدي ولم يعد قادرا على الخروج، وأزدادت صحته سوءا بحيث لم يقدر على تأدية صلاته إلاجلوسا، وزدنا قلقا عندما نصحنا الاطباء بعدم زيادة انهاكه ونقله للمستشفى، لعدم جدوى ذلك. كان الدكتور خليل جميل الكادر الشيوعي هو طبيب وصديق العائله، و يزورنا ويقوم بفحص الجميع بمن فيهم جدي. عندما تدهورت صحته جاء مع الدكتور خليل طبيب اخر وقرر الاثنان بان لافائده من المستشفى، حيث ازرقت اظافر أصابعه وبدأ يهذي في كلامه. ولم يعد قادرا على تأدية صلاته، فيجلس بمساعدة من في البيت بإتجاه القبلة ويؤديها وهو منهك القوى وغير قادر على التركيز. كان دائما أثناء الصلاة يدعو الله ان يطيل في عمره ليرى نهاية للحكم الملكي، وان يرى الشعب قد إقتص من جبابرة النظام الملكي امثال نوري السعيد وعبد الإله.

صبيحة يوم 14 تموز 1958 هتف اخي الاكبر كفاح وهو يستمع للمذياع : انها ثورة، سقط النظام الملكي واعلنت الجمهورية!!. توجه اخي مسرعا الى جدي قبل الاخرين ليبشره بهذا الخبر السعيد الذي كان جدي ينتظره، وكان مستلقي في فراشه ويهذي، وبشره أخي بالخبرالذي طالما تمناه. وما ان استمع للمفاجأة وكان المذياع باعلى صوته يذيع البيان الاول، حتى تفاجأ الجميع بقدرته على الجلوس بدون مساعدة ويصفق بحرارة ويهتف : الان تحقق حلمي وحلم حسين!!. تحسنت صحته فجأة الى

درجه انه طلب منا ان يخرج في اليوم الثاني بعد الظهر الى ساحة الميدان في باب الولاية ليلتقي بالناس في مقهى عبد ننه، لان البيت لم يعد يكفي لاستقبال المهنئين. وما زلت اتذكر يوم طرق ساعي البريد الباب وخرجت لفتحها، ليناولني مجموعة من بطاقات التهنئة الموجهة الى جدي من مختلف المدن العراقية بمناسبة نجاح ثورة تموز، وكانت بينها بطاقة فيها صورة لجثمان نوري السعيد تحيط به جماهير الشعب الهائج، وقد كتب خلفها بيت الشعر التالي لعمي الشهيد حسين :

سنهدم أركان ما شيدوا فلا

العبد يبقى ولا المُـعْبدُ

تحسنت صحة جدي كثيرا بعد الثورة واعلان الجمهورية، خاصة ان الثورة فتحت ابواب السجون واطلق سراح كل السجناء السياسيين، بمن فيهم ابنه الاصغر محمد علي، الذي حكم عليه بعشرة سنوات، ولم يراه جدي منذ اختفائه قبل ان يلقى القبض عليه ويحكم ، حتى حل يوم النصر والتقى بأبنه بعد اكثر من 12 سنة من الفراق.
عندما قامت ثورة 14 تموز، كان عمي محمد علي مبعدا في مدينة بدرة التابعة للواء (محافظة) الكوت، حيث انهى عشرة سنوات في السجن واكثر من سنتين من الابعاد في بدرة، وكانت هذه المدينة مركزا لإبعاد الشيوعيين بعد إنهاء محكومياتهم إمعانا في الضغط عليهم لكسر معنوياتهم والحد من ممارسة نشاطاتهم السياسية، وهي سياسة كان يمارسها النظام الملكي. وقد ساعدت هذه السياسة الحزب الشيوعي من بناء منظمة قوية في مدينة الكوت. انهى عمي محكوميته، التي قضاها في مختلف سجون العراق، وعانى إسوة برفاقه السجناء الشيوعيين، من الممارسات القمعية لمديرية

السجون العراقية، بما في ذلك مجازرها في سجون بغداد والكوت، وبسبب ذلك خرج من السجن، بعد اكثر من عشرة سنوات، وهو يعاني من مرض رئوي عضال مع كسور في عظام القفص الصدري، ومن يراه يخيل له ان عمره قد جاوز الخمسين بينما كان عمره لايتجاوز 37 عاما. زرت عمي لأول مرة في سجن بغداد المركزي، سنة 1955، بصحبة عمتي وسيلة بعد ان وفر لها الشيخ العلامة محمد رضا الشبيبي موافقة لزيارة أخيها.

ما زلت أتذكر ذلك الصباح، يوم استيقظت على صوت خالتي حياة وأنا مازلت نائما في بيت جدي لأمي، وهي تناديني بصوت مزيج من الفرح والعجلة وتطلب مني النهوض لوصول عمي محمدعلي. كنا نتوقع وصوله بعد ان صدر قرار ثورة تموز بالافراج عن كل السجناء السياسيين. نهضت ونزلت مسرعا وتوجهت الى بيت جدي الشيخ محمد الذي لايبعد سوى بضعة أمتار. كان البيت مكتظا بالزوار والمهنئين وكانت فرحة النساء طاغية على الجو فكن يتسابقن في زغاريدهن وتبادل التهاني، وكانت الحلوى تتساقط كالمطر على الجالسين. ووجدت صعوبة في إختراق المحتشدين حول عمي . ولم أتمكن من التعرف على عمي من بين الجالسين وتوجهت لأحد الجالسين في صدر البيت والأقرب لي وحضنته وقبلته بحرارة وبادلني القبل بنفس الحرارة، وقال لي مستدركا: أنا لست عمك أنا صاحب الحكيم (أبو بشرى) وهذا هوعمك! لم أتردد حضنت عمي بأكثر حرارة وانا أسرق النظر لأتمعن في وجهه عَلّيّ أتذكر ملامحه التي إلتقيتها اول وآخر مرة كان فيها في السجن، حينها كان عمري 10 سنوات. تذكرت بعض ملامحه بسمرته الغامقة والشيب الذي ملأ راسه ونحافة جسمه، وكان التعب ظاهرا عليه حتى عندما يتكلم يضطر للتوقف عن الحديث ليأخذ نفسا عميقا. هكذا خرج من سجون الحكم الملكي وهو يعاني من امراض شتى بسبب سوء الظروف الصحية وللاانسانية التي

فرضتها سلطات العهد الملكي على الوطنيين من السجناء السياسيين. لم تكتف سلطات العهد الملكي بممارسة المضايقات والتعذيب للسياسيين بل انها كانت تنظم المجازر ضد السجناء الشيوعيين والديمقراطيين، وقد راح ضحية هذه المجازر العشرات، وقد عاش عمي محمد علي احدى هذه المجازر .

اقترفت سلطات الحكم الملكي مجزرتين بحق المناضلين الشيوعيين عام 1953، كانت الاولى في سجن بغداد بأشراف مدير سجن بغداد عبد الجبار أيوب الذي عرف بحقده على كل وطني شريف، وقد نفذ عبد الجبار جريمته يوم 18 حزيران. وراح ضحية هذه المجزرة 7 شهداء وجرح 81 سجينا من مجموع 164 سجين سياسي شيوعي. اما مجزرة الكوت والتي كانت بداياتها عريضة احتجاج قدمها السجناء الشيوعيون، يطالبون فيها بزيادة كمية المواد الغذائية وتحسينها، والكف عن اهانة وتعذيب السجناء، حيث قامت ادارة السجن بتعذيب بهاء الدين نوري وثلاثة من رفاقه. فكان رد السلطات ان اعتبرت الاحتجاج تعدي على النظام الملكي وقررت ارسال محكمة لمحاكمة المحتجين!! ولما رفض السجناء الشيوعيون الانصياع للمحاكمة، قررت ادارة السجن الهجوم على السجناء بأستعمال القوة لإخراجهم، واستعملوا لهذا الهدف المسدسات والبنادق والرشاشات ضد 121 سجينا شيوعيا، وقد قاوم الشيوعيون الشجعان همجية مدير السجن وسجانيه بالهتافات والاناشيد الثورية، وراح ضحية هذه المجزرة عشرة شهداء و 94 جريح (2) وقد وصف الشهيد عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) في كراسه (من أعماق السجون) هذه المجازر بصورة مفصلة، ونشر كراسه هذا بإسم مستعار ايام الحكم الملكي، وكنت احتفظ بنسخة من هذا الكراس وفيها اهداء المؤلف (ابو سعيد) لصديق له بولوني .

عاش جدي أفراح ثورة 14 تموز وتحسنت صحته كثيراً، حتى أنه أُختير لرئاسة وفد ديني لزيارة مسلمي الإتحاد السوفياتي والصين الشعبية واللقاء بشعوبها المسلمة وتبادل التجارب معها، كونه رجل دين متحرر وعضو في مجلس السلم العراقي. إعتذر جدي عن هذه المهمة، بسبب سوء حالته الصحية، ورشح صديقه المرحوم الشيخ عبد الكريم الماشطة، ولا اعرف إن كان الشيخ قد سافر لهذه المهمة أم أن إنتكاسة ثورة تموز حالت دون ذلك.

في اب 1959 تسلم والدي برقية من النجف تطلب منه الحضور السريع لتدهور صحة جدي. حيث ساءت صحته وهو على المنبر الحسيني يلقي خطبته بمناسبة أربعينية سيد الشهداء الحسين (ع). سافرت مع والدي في نفس اليوم الى النجف ووجدنا حالته الصحية سيئة جدا، وقد أقترح الأطباء بضرورة نقله إلى بغداد. رافقه والدي في إحدى مستشفيات بغداد، لكن وضعه الصحي تدهور ولم يتمكن الأطباء من علاجه وقد فارق الحياة في المستشفى.

مازلت أتذكر ذلك التشييع المهيب لجدي، حيث توجه الموكب من مدينة بغداد عبر الحلة الى النجف. كان النعش محمولا على سيارة تتبعها مئات السيارات، كان عدد السيارات يتزايد كلما مرَّ الموكب الجنائزي بمدينة من المدن الواقعة في الطريق الى النجف. كانت الجماهير في المدن التي يمر بها الموكب تحيط بالنعش، فتضطر السيارات بالسير ببطئ مخترقة شوارع المدينة. أصطحبني زوج خالتي المرحوم كريم جاسم شعبان معه الى الحلة، بعد ان تأخر وصول النعش، لملاقاة موكب التشييع هناك. وصلنا للحلة مع وصول الموكب. ألاف المشيعين تجمعوا من مختلف المدن العراقية محيطين بالسيارة، حتى أن البعض جاء من المدن الجنوبية حيث صادفت زيارة الاربعين، ليشاركوا في

تشييع جنازة والد الشهيد الخالد حسين (صارم.(

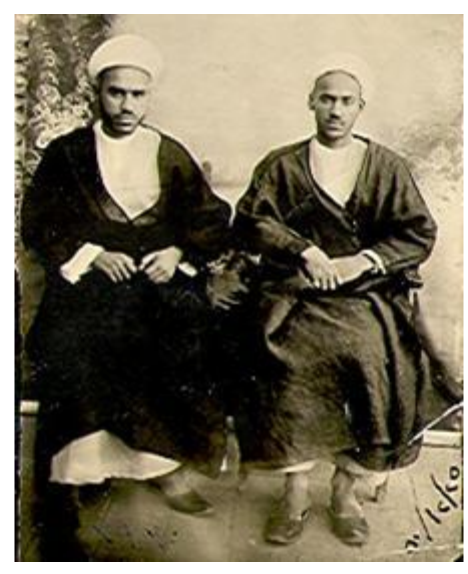
وقفت أنا وزوج خالتي على الرصيف نتطلع في الجموع الحاشدة، وصوت المكبر يتعالى وسط الجموع وهو يذكِر بمواقف جدي ومواقف آل الشبيبي الوطنية، ويشيد ببطولة وإستشهاد ولده حسين (صارم). لم نتمكن من مشاهدة والدي وعمي محمدعلي بين الجموع لكثرتها. واضطررنا أن نعود مع المشيعين في السيارات. وصل الموكب لمدينة النجف ليلا بعد ان إنطلق من بغداد صباحا. كان والدي قلقا على حال الجثمان وتأخره لهذه الساعات الطويلة في جو حار، وكلما طلب من المشرفين على التشييع بالإسراع خوفا على جثمان والده من حر آب، أجابوه أنه ليس والدك وحدك إنما هو والدنا جميعا، ونحن أيضا حريصون عليه، نحن لانودع إنسانا عاديا، وإنما نودع شيخا رغم تقدمه بالسن كان لايهاب من فضح النظام الملكي، وقدم إبنه شهيدا من أجل الفكر الإنساني. كانت الحشود الجماهيرية في النجف كبيرة، وزاد من هذه الحشود موسم اربعينية الحسين (ع)، حتى أن بعض الردات (الأهازيج) الحسينية، صيغت بحيث تضمنت تأبين جدي وابنه حسين. وأتذكر اهزوجة احد المواكب وكان نصها: (صاح المشيع صاح، والد حسين الراح، قاهر الأستعمار، ومحرر الأفكار، سلم وعدالة يريد، لشعبنا الجبار) وكانت المواكب ترفع شعارات التعازي للعائلة بفقدانها للشيخ الكبير والد الشهيد. جرت مراسيم زيارة الإمير وصلي على جثمانه من قبل المرحوم العلامة أبو القاسم الخوئي، وتم مواراة جثمانه في وادي السلام في النجف بجانب إبنه الشهيد .

-1خليل جميل طبيب ووجه اجتماعي ووطني من وجوه مدينة النجف وكادرمن كوادر ا لحزب الشيوعيإغتالته عصابة البعث الفاشية في السبعينات من خلال دهسه بسيارة مجهولة، وهي ممارسات إعتادت عليها عصابة البعث في تصفية المعارضين.

-2راجع، العراق- الجزء الثاني- مؤلف المؤرخ الكبير حنا بطاطو ، صفحة 358

(3)

ثورة 14 تموز والانتكاسة





الوالد علي الشبيبي في غرفته بالفندق اثناء ابعاده لقضاء الخالص على اليمين والدي علي الشبيبي وبجانبه عبد الرزاق محي الدين الوزيرالأسبق سنة 1930

تغيرت الأوضاع في العراق بعد ثورة تموز كثيرا ، فالنشاطات الجماهيريه اليومية كانت تبهرني اضافة للجو العائلي الواضح والمتحمس للثورة وانجازاتها، واثار فيّ ذلك الفضول والرغبة الممزوجة بالتعاطف مع أفراح عائلتي لاستيعاب التطورات الجديدة، وكان اخي همام هو معلمي فيشرح لي بعض المفاهيم والمصطلحات التي كانت غير مفهومة بالنسبة لي واحيانا اسمع بها لاول مرة ويحدثني عن اهمية العمل والنشاط في المجال السياسي والاجتماعي واهمية المنظمات المهنية.

بدأتُ العهد الجمهوري وانا في الصف الاول المتوسط في ثانوية كربلاء للبنين. وكان اول نشاط لي ان رشحت مع صاحب ذياب البارودي في الانتخابات الطلابيه عن الصفوف الاولى في ثانوية كربلاء للبنين ، ممثلين للقوى الديمقراطية، وقد فزنا بأكثرية الاصوات حيث نجح اتحاد الطلبه العام بأكثرية المقاعد الطلابيه وعقد مؤتمره الطلابي الثاني في بغداد، بحضور وفود عالمية وعربية وفي مقدمتها وفد اتحاد الطلاب العالمي.

لصغر سني كانت نشاطاتي محدوده، لاتتعدى المساهمة في تقديم الخدمات في الاحتفالات الجماهيرية. مازلت اتذكر زيارة شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم الى كربلاء بدعوة مشتركه من الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي، حيث اقيم الاحتفال في ساحة مدرسة الحسين الابتدائية، وكانت مهمتي توزيع البارد على الحاضرين، كانت كلمات المديح والشكر لي من قبل بعض الوجوه الاجتماعية لمدينة كربلاء هي غاية السعادة بالنسبة لي. كنت احضر معظم النشاطات الطلابية التي يقيمها اتحادنا الطلابي في النادي .

افراح انتصارات ثورة تموز سرعان ما تكدرت بسبب المؤامرات وتردد الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم في التصدي لهذه المؤامرات واعتماده سياسة عفا الله عما سلف.

ونشطت الاجهزة الرجعية التي ورثها الحكم الجمهوري من النظام الملكي البائد، وعادت وبتشجيع ورضا الزعيم عبد الكريم قاسم الى محاربة القوى الديمقراطية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي. وكنت نشطا في نقل وتوزيع صحيفة الحزب إتحاد الشعب حيث منعت من التوزيع العلني في كربلاء وفي المحافظات الاخرى، وكان الحزب يجلبها من بغداد ويتم توزيعها بالاعتماد على رفاقه. وكنت انا اكلف احيانا بجلبها من بيت الشهيد كاظم الرماحي(1) ، حيث يقوم الشهيد كاظم بتوزيعها على مجموعات،

وكنت اذهب لبيته واجلب حصة الطلبة ونقوم بتوزيعها خفية على المشتركين. اضافة الى اني كنت أُكلف من أخي المرحوم همام بإيصال الصحيفة لرفاقه وأصدقائه، وكنت اخفي الصحيفة تحت ملابسي، وكنت فخورا بهذا النشاط والتمرين لي .

كان والدي احد ضحايا حملات الاضطهاد، فأعتقل مع اعضاء الهيئة الادارية السابقة لنقابة المعلمين في كربلاء في 15 حزيران 1961، حيث ترأس والدي فرع النقابة. لم نعرف سببا للاعتقال سوى انه قرارصادر من الحاكم العسكري العام ، أحمد صالح العبدي، اقتضته المصلحة الوطنية !!!! بعد يوم من الاعتقال تم ابعاد اعضاء الهيئة الادارية السابقة وهم، والدي علي الشبيبي، موسى الكرباسي، علي عجام وجليل السهروردي، الى لواء (محافظة) بعقوبة، ووزعوا على الخالص، المقدادية، مندلي وبعقوبة. علق والدي على القرار بأنه تنفيذ ثوري لمقترح قدمه لمؤتمر نقابة المعلمين الاخير، يدعو فيه السلطة والجهات الرسميه بعدم اصدار اوامر بنقل اعضاء الهيئات الاداريه او مرشحي النقابة لأسباب إدارية أوسياسية، لأن ذلك يسبب ارباكا لعملية التدريس ولعمل الهيئة الادارية، كيف والحال بقرار سياسي، ليس فيه اي مبرر غير تصعيد الحملة الرجعية ضد القوى الوطنية والديمقراطية، والتي انجر اليها الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم.

رافقتُ والدي خلال عطلة صيف 1961 وعشت معه في احد فنادق مدينه الخالص، مستأجرا احدى غرفه وكنت اقوم بغسل ملابسه وطبخ وجبات الطعام في نفس الغرفة وكنت اقوم بالتسوق. وبسبب عدم توفر الخبره والتجربه في شؤون الطبخ والاداره المنزلية، كانت تتكسر احيانا بعض الصحون والكؤوس أثناء الغسيل، مما أثار غضب والدي، فقال: كفى اهمال لقد هجمت بيتي! ضحكت كثيرا، فتساءل مستغربا لماذا

الضحك، فقلت له ساخرا: عن اي بيت تتحدث، كلها غرفة بالفندق وقدر واربع صحون وكأسان. ضحك من تعليقي وطلب الانتباه اكثر.

وفي احدى المرات تركت قدر الرز على نار هادئه كعادتي ونزلت للمقهى لأشاهد التلفزيون، ولما عدت شاهدت الدخان يتصاعد من شباك الغرفه، ولحسن حظنا وحظ صاحب الفندق لم تكن النار قوية اوعالية، ولو كانت عالية لألتهمت بناء الفندق بسرعة، لأن السقف كان من الخشب والبردي. اسرع لمساعدتي صاحب محل لصناعة الاحذية كان يراقب الدخان من محله واخمدنا النار من دون ان تسبب اضرارا مادية .

كان الإبعاد يتطلب من الوالد يحضر يوميا مرتيين الى مركز شرطة الخالص ليثبت حضوره وكنت ارافقه يوميا للمركز. في احدى المرات بعث ببرقية لاخي همام هذا نصها (اجلب معك ترانسستورك وترمسك) والعادة كانت تكتب البرقية بإختصار وهذا متعارف عليه، ولكن الرقيب العسكري ومرؤوسيه في الامن احتاروا في فهم البرقيه واعتقدوا انها شفرة حزبية، وتأخرت البرقية يومان وهم يحاولون فك لغزها. اخيرا قرروا دعوة الوالد للتحقيق معه واخذ اعترافاته بما يخص هذه الشفرة. شرح لهم الوالد بما يعني بترانسستورك وهي اختصار لراديوك الترانسستور اما المقصود من ترمسك هو الترمس لحفظ حرارة الماء. لم يقتنعوا بتوضيحات الوالد فأستعانوا بالحاج بريد (للاسف لا أتذكر اسمه)، وهو مدير بريد الخالص وكان انسانا مثقفا ومهذبا ومحبا للنكته فحسم الموضوع لصالح والدي. كانت معاناة الوالد في الخالص اثناء الابعاد كبيرة، فقد ترك عائلة كبيرة معظم افرادها طلبة في المتوسطة والابتدائية ودون المدرسة، وبحاجة لأب يرعاها ويهتم بشؤونها. وقد اثارت هذه المعاناة في نفسه الشجون فكتب قصيدته (حنين) يبثنا فيها شجونه وحنينه، كما انها تعكس مدى ايمانه

بمبادئه التي كان متمسكا بها رغم ما تعرض له من فصل واعتقال وتعذيب وسجن وكان مؤمنا بحتمية الانتصار وإصراره في السير في طريق النضال بالرغم من كل ماعاناه من مشاق في طريق النضال الوطني الوعر والطويل.

حَـنـيـن

14/8/1961

مـتى اعـود الـيكـم احباب قلبي وروحي
مـتى تراكـم عـيوني وتستقر جروحي

احـباب قـلبي عـادت عوائد مشجياتُ
هاجت بصدري وثارت من النوى عاصفات

اتـذكـرون عـلـيّـاً ذاك الصبور المغّنـى
باهلـه وبــنـيـه وشعبـه يتغنـى

عَـدت عليه الـعوادي وابعدته صروفُ
وصـيـرتـه غـريـبا كما تشاء ظروفُ

قست علـى كل حــر لم يعرف الذل يوما
مـاحاد عن درب حـق مادسّ في الشهد سما

مــاباع من اجل نـفـع ضميره او تراخى

عـن واجـب وكـفاح فلينصبوها فخاخا

وليشعلوهـا ضرامـا وليزرعوها جماجم

ولـيجعلوها جحـيما فاننا سنقاوم

ونـدحر الـبغي دحرا يزري بما ذاق هتلر

مـن انـدحار شـنيع ومن مصير مقـدّر

فـليس اصـلـب مـنا عند الصدام واجسرا

انـّا لــيوث نضـال والليث في الروع يظرا

فـجـر اللـيل طـالا متى تطل عليّــا

مـتى ارى مـنك نـو رَ الحياة يبدو بهيـا

يافـجر انـا سئمـنا هذا الظلام الرهيب

يافـجر فابـزغ عـلينا انا نراك قريبا

الـم يـقف كـل شعب على الثعالب ثائر

لـم يخشى من هادرات وقاذفات قنـابر

وفـي الطـليعة شـعب لينين شاد كيانـه

اعطى الشعوب دروسا بما اعتلى من مكانه

ركب الشعوب حثيثا الى الحياة يسير
حداته كل ندب لايلتقيه عزورُ

اولى الحياة اختبارا وذاق منها الامرّا
من اجل عيش كريم للناس في الارض طرّا

احباب قلبي هذي عواطفي وشجوني
وهبتكم كل حبي فما اشدّ حنيني

اني احن اليكم حنين طير سجيني
ضمآن يطلب ماءً واين ماءُ العيون

حتى مَ احباب قلبي اظل عنكم بعيدا
حتى مَ اشقى ويبقى اخو النفاق سعيدا

احباب قلبي صبرا سنلتقي ذات يومِ
فجر السلام قريب فاستقبلوه بعزم

وبالمناسبة لابد ان اتحدث ببضعة سطور عن الوالد. ولد الوالد عام 1910 عاش بداية طفولته في سوق الشيوخ وانتقل الى النجف ليكمل فيها الابتدائية وبقية حياته حتى

اواخر عقده الرابع. وانجذب الى مجالس النجف الادبية وكان يتردد عليها، وكانت تلك المجالس ندوات ثقافية ومعرفة، وأنبه والده بسبب ولعه بحضور هذه المجالس وعدم ملازمتة لخدمة ضيوفه وهذا التأنيب دفعه فكتب عفو خاطر وهو في سن لا يتجاوز الخامسة عشر وفيها تمرد على رغبة والده في ملازمة البيت وولع في ارتياد المجالس وجاء فيها:

أن المجالس درس اولا فتفسير درس

اولا فاطلاق نفس كانت بضيق وحبس

وسار والدي على خطى والده وانخرط في سلك الروحانيين ولبس العمامة ودرس النحو والمنطق والمعاني والبيان والفقه والاصول على جماعة من اهل العلم، وانتسب الى جمعية الرابطة العلمية الادبية النجفية وكان من نشطائها وانتخب مديرا لها. وفي عام 1935 عين معلما ونزع العمامة .(2) وانخرط بالعمل السياسي مع بدايات الحرب العالمية الثانية، وانتمى للحزب الشيوعي العراقي عام 1941 واصبح مسؤولا عن محلية النجف وحضر الكونفرس الحزبي الاول كما حضر المؤتمر الاول للحزب بقيادة الخالد فهد واصبح مرشحا في اللجنة المركزية للحزب (3) قبل ان يترك العمل التنظيمي عام 1949 وكان دائما يكرر ان من لا يستطيع حمل وصيانة أمانة الحزب، عليه ان ينسحب من العمل الحزبي المنظم لأن هذا افضل له وللحزب، وعليه مواصلة العمل الوطني والديمقراطي وسوف يخدم بموقفه هذا القضية الوطنية بشكل افضل.

عام 1962/1961 كنت طالبا في الصف الرابع العلمي في ثانوية كربلاء، حيث اصبحت عضوا مرشحا في الحزب الشيوعي. وعندما استلمت ورقة الترشيح الوردية اللون من رفيقي المسؤول في الثانوية عدت للبيت وانا اشعر بالسعادة طاغية علي،

حتى ان والدتي إنتبهت الى سعادتي، واخبرتها بمصدر سعادتي، وهي انسانة امية ولكنها خبرت الحياة جيدا وعلقت (بعد ماراح شوف غير السجون والمعتقلات والتعذيب وقد تخسر حتى دراستك!!) ورددت عليها برومانسية وثورية الشباب : اعرف ان الطريق الذي أخترته وعر وانا مستعد ان اضحي بحياتي من اجل هذه المباديء.

شاركت بنشاط بكل النشاطات الحزبية والديمقراطية بالمناسبات الوطنية والقومية، من تظاهرات طلابية واجتماعات واضرابات، وخط الشعارات الحزبية التي تطالب بالديمقراطية والحل السلمي للمسألة الكردية. في احدى المرات كان المطلوب مني ان اوزع مجموعة من البيانات الحزبية مع رفيق في منطقة باب الخان بكربلاء. وهي منطقة محسوبة على القوى القومية والبعثية، ومن هنا تكمن صعوبة المهمة في زمن بدأت هذه القوى مستشرسه لمحاربة كل ماهو ديمقراطي لعزل النظام ومن ثم اسقاطه.

انجزنا انا ورفيقي المهمة، رغم ما رافقها من عقبات حيث ان رفيقي طارده البعض ويصرخون خلفه : إمسكوه حرامي!! وقد تمكن رفيقي من الافلات منهم، بينما توجهت انا لزقاق اخر ووزعت البيانات بدون مشاكل. ولما عدت للبيت سألني اخي همام : كيف جرى التوزيع ؟ قلت : كل شئ تمام حتى اني اعطيت امرأة بيانا ولما سألتني ماهذا قلت لها انها استمارة لتوزيع الاراضي! تحاشيا من ردة فعلها السلبيه، فطلبت مني واحدة اخرى لأبنتها!. كنت اعتقد ان تصرفي ولباقتي هذه ستلاقي استحسانا من أخي همام، لكنه نهرني قائلا كيف تسمح لنفسك ان تخدع الناس، المفروض ان توزع البيان وتصارح الناس اذا استفسروا لكي نعرف ماهي ردود فعلهم وكيف يستقبلون بيانات حزبنا، وكانت ملاحظة اخي مقنعة فالهدف لم يكن فقط توزيع البيان وانما يجب ان يكون اختبار لجماهير الشعب كيف تستقبل بياناتنا وهي ترى الشيوعيين يتحدون ويدقون الابواب ويسلمون بياناتهم وهذا تمرين لرفاق الحزب على التحدي وبذلك سنكسب احترام الجماهير لنا، ولكن بسبب قلة خبرة وتجربة بعض المنظمات الحزبية

لم تعر اهمية كبيرة لذلك. وفي الاجتماع الحزبي لتقييم عملية التوزيع، اثنى الجميع على لباقتي في كيفية التهرب من سؤال تلك المرأة، لكني اعترضت على ثنائهم واعدت عليهم درس اخي فأقتنعوا به.

في يوم من ايام العطلة الشتوية من عام 1962 وكنت حينها دون السابعة عشر من العمر، خرجت ظهرا وانا احمل معي مذكرة لجمع التواقيع للمطالبة بالحل السلمي للمشكلة الكردية مع بيان للحزب يحذر من النشاطات التآمرية لقوى الردة ويطالب السلطة بالديمقراطية. ما ان غادرت البيت وابتعدت عشرات الامتار حيث البريد المركزي، واذا بأحد أفراد شرطة الامن (ناصر السري) يمسك بيدي ويأخذني الى مركز البريد حيث غرفة الرقيب العسكري، بعد التفتيش عثروا على البيان والعريضة. قيدوني و نقلوني بسيارة مسلحة الى مركز أمن كربلاء، في الطريق شاهدت أحد الاصدقاء فرفعت يدي ليرى القيد ويخبر عائلتي. خلال الطريق كنت افكر بأسئلة الامن التي سيواجهونني بها، وقد واجهني بها ناصر السري في غرفة الرقيب محاولا إغرائي بأنه سيطلق سراحي اذا أخبرته من هو الذي سلمني العريضة والبيان، وكان حديثه معي لايخلو من التهديد اذا لم اعترف. عندما وصلت السيارة الى مركز شرطة كربلاء، حيث مقر مديرية الأمن، كنت قد توصلت مع نفسي الى قرار نهائي في تحديد اجابتي على اسئلة المحققين من افراد الامن، وهي اصراري على اني عثرت على البيان والعريضة في الطريق ودفعني الفضول للاحتفاظ بها والاطلاع عليها، واذا سألت لماذا اسمي بين الموقعين على العريضة؟ فقررت الاجابة بوضوح ودون تردد انا أكره الحروب لذلك وقعت وقد ارميها لأني لا اعرف كيف اوصلها للزعيم عبد الكريم قاسم. في مركز الامن تجمع حولي جلاوزة الامن، ناصر، كاظم وعبد العال واخرون لاأتذكر أسماؤهم في مقدمتهم المفوض لطيف وهو من اهالي الاسكندرية كما أعتقد. كان لطيف

حقودا ومن شرطة أمن العهد الملكي. تركز همهم في التحقيق معي على الاعتراف ومعرفة من اعطاني البيان والعريضة وكشف صلتي الحزبية واعضاء الخلية التي تعمل معي. عندما وجدوا اني مصر على عدم الاعتراف وادعائي بأني عثرت عليها بالطريق وان ناصر الشرطي الذي اعتقلني، لاحظ ذلك واعتقلني. حينها مارسوا معي كل أنواع الضرب والتهديد بالاعتداء. كنت أشعر فعلا بالخوف لا من تعذيبهم ولكن بسبب ما تركوه من انطباعات سيئة عند تحقيقهم معي. فكانت أسئلتهم وتعليقاتهم تعكس ضحالة عقولهم وتدني مستواهم الأخلاقي، حينها تأكدت بأنني بين مجموعة من البشر المرفوضين اجتماعيا بسبب سقوطهم الأخلاقي، خاصة عندما اتطلع في وجوههم فأرى الحقد الاعمى في عيونهم وتعابير وجوههم. استمر الضرب والفلقة حتى ان احد اسناني الامامية كسر بضربهم العشوائي، وكنت احس بتعطشهم للاعتداء علي بالضرب والتلذذ بذلك. كان صغر سني كوني لم اتجاوز بعد السابعة عشر، سببا مشجعا لهم في الاستمرار بضربي وتهديدي، خاصة ان الحظ قد حالفهم في اعتقال احد الطلبة وقد نجحوا في تحطيم معنوياته بأسلوبهم هذا. لذلك كانوا يشكون بقدرتي على الصمود امام قساوتهم بالضرب والتهديد. لكن إصراري على الانكار ومجئ جدتي لوالدتي الى مركز الامن وهي تصرخ وتطالبهم باطلاق سراحي والكف عن تعذيبي، دفعني ذلك للصراخ بأعلى صوتي لاسماع جدتي وكسب عطفها واثارة غضبها لعل صراخها يضع حدا لأعتداءاتهم. لم ينفع صراخي ولاغضب جدتي، وكانوا بعد كل حملة ضرب وفلقة يخرجوني الى رواق المديرية ويطلبون مني التمشي، لكي لاتترك الفلقة اثارا على قدمي. في الطرف الاخرمن الرواق كان بعض الرفاق والاصدقاء المعتقلين في غرفتين متقابلتين، كان هناك محمد خماس، صاحب البايسكلجي وشاكر راضي وشيخ صالح واخرون لااتذكرهم يراقبون ما يجري. كان هؤلاء الرفاق يمدون ايديهم عبر باب الموقف ويؤشرون بقبضات ايديهم بأشارة الصمود، وقد زاد ذلك من عزيمتي على

الصمود. بعد أن تعب لطيف من التحقيق معي قرر تأجيل التحقيق لليوم الثاني وتم حجزي في الموقف الاكبر وكان مخصصا لاصحاب الجنايات العادية، وذلك لكسر معنوياتي.

في اليوم الثاني منعوا عني الزيارات، وبعد انتهاء الدوام الرسمي بدأ التحقيق معي مجددا، وبحضور مدير الامن. كان المدير نموذج لشرطي الامن المنحط أخلاقيا، والذي تميزت به العهود الدكتاتورية، كلامه كان عبارة عن شتائم ومسبات بذيئة لاينطق بها الا ابن الشارع الساقط اخلاقيا، لم يترك كلمة بذيئة تمس والدتي وشقيقاتي الا وقالها. رغم الضرب المستمر والفلقة القاسية بأستعمال دونكي (عصا) الشرطة، لم أفكر الا بكلماته ومسباته البذيئة، وكنت اتعجب على قدرته على هذه البذاءة والانحطاط والمستوى الدوني. كان ضعفه في نطق العربية بسبب كونه تركمانيا كما علمت، زادت من قباحة مسباته، فهو يذكر المؤنث ويؤنث المذكر، وعندما يعجز عن استنطاقي يصحب مسباته بحركات سوقية من اصابعه، ثم تكون هذه اشاره لجلاوزته بضربي واستعمال الفلقة. تكرر استدعائي والتحقيق معي ثلاثة ايام، وكل يوم كانوا يكررون نفس الاسئلة مع الاغراءات والتهديد والضرب والفلقة. وبعد ان عجزوا عن انتزاع اي اعتراف مني، دونوا محضر التحقيق ووقعته، وانتهت حملة الضرب واحتجزت مع بقية الاصدقاء.

كان احد المعتقلين في الموقف من الذين سبقوني هو الشيخ صالح، وهو شاب بصير وبلباس الدين الروحانيين وكانت له مجالسه وفي نفس الوقت كان يباشر بالدراسة كطالب خارجي. وانتمى الى الحزب الشيوعي وكان من النشطاء في مجاله وقد لاقى بسبب انتمائه للحزب الكثير من المتاعب، وحسب علمي حتى من عائلته، وربما ان

عائلته لم تعد تتحمل المتاعب والاضطهاد الذي تعرض له خلال فترات الاستبداد، فكانت تضغط عليه للأبتعاد عن الحزب. وقد اعتقل حينما انتبه له احد افراد الامن السري وهو يسلم منشورا حزبيا لصديق، وتابعه ومن ثم فتشه وعثر على بيان للحزب في جيوب جبته.

في الموقف كنا محرومين من الصلة بالحزب، حتى الصحافة العلنية مثل صحيفة 14 تموز لم تصلنا، وبعد اعتقال سالم عودة، اصبح هو واسطة صلتنا بالحزب، وهو طالب شيوعي ومن عائلة كادحة، واعتقد انه كان أحد أعضاء اللجنه الطلابيه القياديه. في الموقف قدمنا للحزب معلومات عن تحرك الامن وخفاراتهم الليلية وتحركاتهم اليومية، كنا نراقب نشاطهم من خلال استعمال المرايا لنرى ماذا يحدث في الجانب الاخر من الرواق حيث مركز الامن. واستغلينا امكانية خروجي للمشاركة بأمتحان نهاية العام الدراسي، فطلبنا ان يلتقي بي رفيق من لجنة مدينة كربلاء لمناقشته بأوضاعنا في التوقيف. تم هذا القاء مع المعلم محمد علي عزت، عضو لجنة مدينة كربلاء، وبوجود شرطي لحراستي، ولما استفسر الشرطي عن الرفيق قلت له انه استاذي واتناقش معه حول الامتحانات، حيث كنت احضر يوميا للمشاركة في امتحانات نهاية العام. وكنت متحمسا لخروجي لأجراء امتحاناتي فقد أتاحت لي فرصة الخروج الى خارج الموقف والسير عبر الشارع وانا مكبل اليدين، وان التقي بوجوه كثيرة من الطلبة والطالبات التي تعودت ان اقابلها في طريقي كلما ذهبت لثانوية كربلاء .

(1)كاظم الرماحي كان مالك مكتبة الشعب في كربلاء بعد ثورة 14 تموز وقد اعتقل وعذب في قصر النهاية، حتى سبب له التعذيب شلل في يده وساقه، وقد استشهد بأعدامه بعد الانتفاضة عام 1991 بسبب معالجته جرحى الانتفاضة.

(2)ماضي النجف وحاضرها، الجزء الثاني، تأليف جعفر الشيخ باقر آل محبوبة

(3)حنا بطاطو ، العراق- الجزء الثاني

(4)
ثورة 14 تموز والانتكاسة

خلال الايام الاولى من اعتقالي شاهدني بالصدفة عقيل، وهو زميلي في الصف الرابع العلمي، وجاء لمركز الشرطة ليرى والده، وهو معاون شرطة في المركز. شرحت له سبب اعتقالي ورأى اثار الضرب والكدمات وتعاطف معي. كان عقيل احد زملائي بالصف، وكان مفرط السمنة وكثيرا مايمزح معه زملاؤه مزحا ثقيلا لأثارته والسخرية منه ولم يكن قادرا على الرد من سخرياتهم او تجنبها، كان طيب القلب متسامحاً مع من يخطأ ويسخر منه، وكنت كثيرا ما أنتقد الاخرين على أسلوبهم الساخر منه واحيانا اضطر للرد عليهم بإسلوبهم الساخر، وفي احد الأيام تحدثت مع أستاذ العربي، رضا مرتضى، وشرحت له مايعانيه عقيل من معاملة كلها سخرية من زملائه ورجوته ان يتحدث بالصف عن ذلك علهم يغيرون أسلوب تعاملهم معه. وفعلا تحدث الاستاذ وانتقد اسلوب التعامل هذا وكثير من الزملاء تأثر واستجاب لحديث الاستاذ رضا مرتضى. مساء نفس اليوم زارني والد عقيل وطلب مني ان اوقع على طلبا لحاكم التحقيق كتبه باسمي للافراج عني بكفالة ووقعته. بعد يومين استدعيت للتحقيق من قبل مدير الشرطة وبحضور مفوض الامن لطيف، كان كل التحقيق يدور عن طبيعة علاقتي بعقيل ووالده. لم يقتنعوا ان عقيل كان مجرد زميل لي في الصف. ومن اسلوب طرح الاسئلة علي وما تتضمنه من معاني مبطنة ومباشرة احسست ان مديرية ألأمن تحيك امرا سيئا للإيقاع بوالد عقيل لموقفه النبيل إتجاهي. كان كل تفكير مفوض ألأمن لطيف هو كيفية ألإيقاع بوالد عقيل كي يثبت ذلك لمسؤوله ألإداري مدير شرطة كربلاء، فكانت كل ألأسئلة تدور عن علاقتي او علاقة والدي بمعاون الشرطة (والد

عقيل)، وهل نتزاور وكلها اسئلة مكررة وبصيغ مختلفة، وكان جوابي واحد وثابت وهو الحقيقة، وهو ان عقيل زميلي لا أكثر وليس لوالده اية معرفة مع عائلتي، وان والد عقيل تصرف معي بنبل وشهامة إستجابة لرجاء ابنه لمساعدتي وقد رأى اثار التعذيب على وجهي، وان موقفه اتجاهي هو تعبير عن الأمتنان لي وتقديرا لزمالتنا، وهو موقف انساني نبيل. بعدها لم أرى عقيل ولا والده خلال وجودي ثلاثة اشهر في موقف شرطة كربلاء. عندما خرجت من السجن سألت زميلي صباح ناجي نامق عن عقيل وهو جار له فاخبرني ان والد عقيل بعد محاولته لمساعدتي نقل كعقوبة له الى مدينة اخرى!! ولم تسنح لي ألفرصة خلال تلك ألسنوات لتقديم شكري وأمتناني لعقيل ووالده على موقفهم النبيل والشجاع، فشكرا لعقيل ووالده على نبلهم وشهامتهم، .واعتذاري لهم لما لاقوه من إساءة بسبب ذلك

في مركز شرطة كربلاء توجد غرفتان متقابلتان، يفصل بينهما ممر عرضه اقل من 3م، والغرفتان متفاوتتان في ألمساحة. كنا ننقل من غرفة لأخرى، حسب رغبة مديرية ألأمن. اعتقل معنا شخص يدعى سعد ..... من أهالي كربلاء، بقضية تحرش أخلاقي. كان سعد يتفاخر أمامنا كونه حاول ألتحرش بمعلمات يسكن سوية في بيت مستأجر، لأنهن من مدن أخرى. ألمعلمات قدَمن شكوى للشرطة ضد سعد، فلم تفعل الشرطة شيئا، كونه من عائلة لها نفوذ وألمعلمات ذات توجه ديمقراطي وهو يدعي بتبنيه (الفكر العروبي ألأسلامي)! ولسوء حظ سعد، كان شقيق إحدى ألمعلمات ضابطا في وزارة ألدفاع. تمكن هذا ألضابط من إصدار أمرا بتوقيف سعد من ألحاكم ألعسكري ألعام (محمد صالح العبدي). لهذا لايمكن ألإفراج عنه إلا بأمر من ألحاكم ألعسكري، وهذا ماعجزت عنه عائلته. لكن ألعائلة وفرت له ظروفا مثالية في ألموقف. كان معظم أللیالي يشارك ألمفوض ألخفر في ألسهر وتناول ألخمر، ويعود للموقف في آخر أللیل،

ويدعي بممارسته الجنس مع إحدى ألمومسات بالأشتراك مع المفوض ألخفر، حيث ألأخير يوفر له جو ماجن ليلي ! كان هذا ديدنه يوميا، ويحاول دائما إستفزازنا والتطاول على ألحزب، مستقويا بعلاقاته مع مسؤولي الشرطة. وهكذا كان تصرفه مع الموقوفين ألجنائيين، مما أغاض أحدهم (عبد الواحد) المتهم بقضية قتل والد زوجته، ولم يعد عبد ألواحد يطيق تصرفاته، وهو يرى مايجري ليلياً واهتمام مأموري الشرطة به، إضافة لتمادي سعد باستهتاره ألمستمر، بينما يجد علاقاتنا الرفاقية ذات الطابع الانساني وبساطة حياتنا وما نحمله من هموم شعبنا، واهتمامنا بالموقوفين وتنظيم حياتهم. فقرر عبد ألواحد، بعد أن إستسمحنا لإضطراره لذلك، بأنه سيؤدب سعد ومسؤولي الشرطة من مأمورين خفر!! ليلا وبعد عودة سعد من سهرته وكان مخموراً، هجم عليه عبد ألواحد بنعاله المرصوص بقطع حديدية (النعلجات) وأشبعه ضربا. كان سعد يصرخ ويطلب تدخل ألشرطة ويشتمنا، متهمنا بالتحريض. وكان الجواب الوحيد لصراخه واستغاثته ان يهوي نعال عبد الواحد بقوة على رأسه ووجهه ويشتمه ويطلب منه أن لايذكرنا بسوء لأننا نشرفه. لقد لاقى هجوم عبد الواحد على سعد ارتياحا من قبل الموقوفين الجنائيين، وكان البعض منهم تجمع امام باب الموقف ليحجز الرؤية اذا ماقدم حرس الموقف لمعرفة مايحدث والبعض الآخر كان يمزح بصوت عال كي يغطي على صراخ سعد ولا تسمع استغاثته. لما جاء ألحارس وإستدعى ألمفوض ألخفر، كان سعد منهارا ولايقوى على ألوقوف والدماء تسيل من رأسه. وتسائل ألمفوض عما يحدث، بادر عبد الواحد قائلا: سيدي يوميا يرجع وهو يشتمنا ويدعي أنه يشرب الخمر مع المفوض ألخفر ويمارس ألزنا بموافقة ومشاركة الخفر، وهذا حرام سيدي ولازم يتأدب وهو بذلك يسيء اليكم ويشوه سمعتكم وسمعة المركز!!. كان ألمفوض ألخفر مخمور، واحس بالأحراج وبالموقف الصعب الذي وضعه فيه سعد وحماقته، وحاول تهدأت الموقف واسكات عبد الواحد واخرجه

لإسعافه، ومن ثم نقله للموقف ألمقابل. ومنذ ذلك أليوم لم يعد سعد يخرج للسهر ليلا، كما لم يجروء ألمفوض بمعاقبة عبد الواحد، خوفا من ألفضيحة.

في ايار من عام 1962 احلت الى المجلس العرفي الثاني برئاسة شمس الدين عبد الله. سُفرت الى موقف شرطة سراي بغداد، كان الموقف يتكون من ثلاثة غرف متساوية بالمساحة ومصفوفة في صف واحد. واحدة لذوي الجنايات العادية، والوسطى للقوميين والبعثيين والثالثة للديمقراطيين والشيوعيين والغرف مفتوحة الابواب وتطل على ساحة صغيرة لرياضة المشي. وجودي في الموقف بين السياسيين الديمقراطيين مع صغر سني جلب الانتباه واثار فضول البعض لمعرفة سبب اعتقالي. سألني احد الاكراد عن سبب اعتقالي فشرحت له حكاية البيان والعريضة وحملة التواقيع التي جمعتها من اجل المطالبه بالحل السلمي للمشكلة الكردية. كنت اتوقع انه سيثمن تضحيتي هذه من اجل القضية الكردية وفاجأني بغضبه واتهامي كوننا جبناء وتابعين لعبد الكريم قاسم، وتدخل بعض الزملاء ونهروه وابعدوه عني. كان موقف الحزب من القضية الكردية غير مقبول لامن السلطة ولا من الحركة القومية الكردية. فالاكراد توصلوا الى موقف نهائي وهو انه لايمكنهم تجنب ألاستفزازات الشوفينية في مناطقهم ولا الحصول على مطالبهم وحقوقهم رغم تواضعها إلا من خلال الثورة المسلحة. بينما يرى الحزب الشيوعي ان افضل طريق لوصول الاكراد لحقوقهم القومية يكون عن طريق النضال السلمي وتحشيد الرأي العام العراقي والعربي والعالمي لتبني هذه الحقوق العادلة، وان الحرب تضعف جمهورية تموز وتساعد قوى الردة في نجاح مؤامرتها لأسقاط جمهورية تموز والتراجع عن انجازاتها الوطنية.

بعد الظهر جاء والدي واخي همام لزيارتي وشجعاني لمواجهة ألمحكمة غداً. أخبرني

والدي بانه تحدث مع الشيخ الجليل محمد رضا الشبيبي لكي يتوسط من خلال معارفه لدى شمس الدين عبد الله للافراج عني. لكن الشيخ كان متشائما وقال للوالد اذا ماتوسطت لأبنك فان شمس الدين عبد الله سيحكمه، ومع هذا سأحاول. صباح اليوم الثاني كنت امام المحكمة في معسكر الرشيد حيث مقر المجلس العرفي الثاني. كان هناك والدي واخي همام خارج المحكمة ولم يسمح لهما بحضور جلسة المحكمة!!.

استدعيت للمحكمة وكانت فارغة إلا من الحرس وهيئة المحكمة ويتوسطها شمس الدين عبد الله الذي عرف بمعاداته للقوى الديمقراطية واستهتاره بالقانون والعدالة وبأحكامه الجائرة على كل وطني شريف، واحسست بجو غير عادي يبعث على القلق وعدم الثقة بعدالة المحكمة. كان المجلس العرفي الثاني مسلطا كالسيف على رقاب القوى الوطنية الديمقراطية. واحكام الاعدام والمؤبد التى اصدرها المجلس العرفي برئاسة شمس الدين عبد الله اضعاف ما أصدرته محكمة الشعب بحق المتآمرين على جمهورية 14 تموز، وللأسف كان كل هذا يحصل بموافقة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم. دخلت القفص وبعد القسم سألني شمس الدين عبد الله عن اسمي ومهنتي وعمري واجبته أن عمري 17 سنه، التفت لكاتب المحكمه وقال له انه يكذب، سجل عمره 18 سنه. ماذكرته للمحكمة لم يكن كذباً، فانا من مواليد 24 نيسان 1945، تكذيبي بهذه الطريقة ترك لدي انطباع بأن رئيس المحكمة ينوي اصدار حكما بحقي، وهو دليل واضح بإستهتاره بالقانون، فوثائقي التي احملها وملفة التحقيق تؤكد حقيقة عمري. ثم سألني بوقاحة ماهي صلة القربى مع شيخ محمد رضا الشبيبي، اجبته انه جدي، ولم يسألني اكثر من هذا وطلب اخراجي للمداولة. من تصرف رئيس المحكمة ايقنت اني محكوم لامحالة، وأن حدس شيخ محمد رضا ألشبيبي كان في محله. سألني والدي عما جرى ولماذا بهذه السرعة، وقبل ان انبس ببنت شفه لاقص عليه ماجرى،

استدعيت مرة ثانيه ليعلن شمس الدين حكمه بسجني لمدة ستة اشهر، أقضيها في سجن الكوت.



محمد الشبيبي الواقف ثاني واحد من اليمين مع طلبة اعدادية كربلاء في سفرة طلابية الى الحبانية في 1961/12/22 اي قبل اعتقالي بشهرين

في اليوم الثاني سُفرْت الى سجن الكوت، يرافقني مجموعة من المحكومين السياسيين اتذكر منهم ألشهيد نصير النهر. استلمتنا ادارة السجن وسلمتنا الملابس السجنية، وكانت عبارة عن شبه بجامة من بنطلون وقمصلة من القماش السميك والخشن فاتحة اللون ومقلمة بلون بني فاتح، اما الفراش كان عبارة عن مخدة وبطانيات، واحدة منها تستعمل كغطاء والباقية كفراش!! وسلمنا ادارة السجن كل ملابسنا ولم يسمحوا لنا بإدخال قناني القلونية او الريحة والمعلبات التي كانت بحوزتنا كالجبن الكرافت وعلب سمك التونة وغيرها!. خصص لي مكانا في السجن القديم واستقبلني الشهيد محمد الخضري. بعد ان تعرف علي قال لي كان والدك زميلي في مؤتمر نقابة المعلمين والان انت زميلي في سجن الكوت وقدمني الى الزملاء قائلا كان ابوه زميلي في مؤتمر نقابة المعلمين وهو الان زميلي هنا انه اصغر سجين سياسي واصغر زميل كما ان عمه الشهيد حسين الشبيبي كان احد نزلاء هذا السجن وهو الان نزيل نفس السجن.

قبل ان يستقر المقام بي في السجن القديم وأثناء قيامي بجولة داخله للتعرف على قاعاته ومرافقه برفقة الشهيد محمد الخضري، جاءهم خبر بأن معارف لي يطلبونني لأكون زميلا لهم في المحجر، احد أقسام ألسجن. فانتقلت للمحجر وكان هناك مجموعة من النجفيين وعندما سمعوا باسم محمد علي الشبيبي موجود في السجن القديم اعتقدوا انه أخ الشهيد صارم (محمد علي) الذي كان زميلهم في السجون ايام العهد الملكي. لم اعرف إلا واحدا من هؤلاء النجفيين، وتفاجئوا بصغر سني. بعد ان تعارفنا عرفت منهم فقط ناجي ابو رقيبه وهو بدوره عرفني لانه كان يتردد على بيت جدي عندما كنت طفلا. في القاعة التي سكنتها كان معي اثنان من كبار المحامين الديمقراطيين، احدهم كاسب السعد اما الاخر للاسف نسيت اسمه. حكم المجلس العرفي الثاني على كاسب السعد (اخ المناضل الراحل غضبان السعد) ومجموعته عدة سنوات (اعتقد 10سنوات) لان هذه المجموعة (8 او 10 شخصيات عراقية) قدموا مذكرة للزعيم عبد الكريم قاسم تطالبه بالحل السلمي للقضية الكردية، ووزعت المجموعة على السجون. احد الايام سألني كاسب، وكان فراشي مجاور لفراشه، من اي مواليد انت فأجبته من مواليد 1945 فعلق ساخرا: في ذلك العام انهيت الحقوق!. ربما كان يريد ان يقول اي زمان هذا الذي يجمعني مع هذا الشاب المراهق وتدارك سخريته وحولها الى سخرية من شمس الدين واحكامه، فقال ان حارس القانون هو اول من ينتهكه كيف يسمح ضميره ان يصدر حكما عليك وانت لم تبلغ 18 عاما. قلت له ان المحكمة كانت شكلية ولم تستغرق بضعة دقائق حتى انه لم يمنحني فرصة الدفاع عن نفسي، ولم يسألني حتى عن صحة التهمة .

لم يكن المحجر كبيرا وكان يحتوي على أربع غرف صغيرة أكبرها غرفتنا، تحيط الغرف بساحة المحجر من جانبين اما الجانبيين الاخرين فيوجد الحمام والتواليت والمغاسل، تتوسط المحجر ساحة من الكونكريت لاتزيد مساحتها عن 100 م². الباب الرئيسية للمحجر تطل على الممر الذي يحيط بكل اقسام السجن ويفصل ادارة ألسجن عن الاقسام، ويستغل هذاالممر للزيارات الشهريه، حيث نخرج يوم الزيارة للممر لإستقبال زوارنا. يؤدي باب المحجر الى مدخل بطول 5م الى ساحة المحجر. في المدخل تنتصب ثلاثة إحبوب لماء الشرب. كما ان محجرنا ملاصق للسجن القديم وكان بالامكان التخاطب وتناقل الاخبار والرسائل من خلال الجدار الفاصل والذي لايزيد ارتفاعه عن 4م، وكانت المنظمة الحزبية تستفاد من ذلك للتنسيق وتبادل الأدبيات .

صيفا حيث اشعة الشمس الحارقة تغطي كل الساحة من الظهر وحتى الخامسة، فيصبح من الجنون البقاء في الساحة وقت الظهيره لمدة طويلة. بعد ان تغيب اشعة الشمس عن ساحة المحجر يقوم الخفراء من سجناء المحجر برش الساحة بالماء وتكرار ذلك عشرات المرات لتبريدها، والا لايمكننا النوم في الساحة ليلا لشدة سخونة الارض، لأنها من الكونكريت. بعد العشاء يهب الجميع في ممارسة رياضة ألمشي في الساحة التي لايتجاوز طولها عن 14م، لايمكن تأجيل رياضة المشي هذه لأن الكل يفرش فراشه في الساحة بعد ان نتناول عشاؤنا وتخف الحركة. ليلا تبدء جلسات السمر، كون الساحة صغيرة، تكون افرشتنا متراصفة ولا يفصل بينها الا بضعة سنتيمترات، والاحاديث يتشارك بها الكل تقريبا. ومن وقت لاخر نحي حفلات ليلية بمساهمة بعض من ذوي الاصوات الشجية .

في السجن لا يسمح لنا بادخال السكاكين وكنا نحور الملاعق ونحدها بالكونكريت ونستعملها كسكاكين. اما المعلبات من اجبان ولحوم وسمك والتي استلمتها الادارة منا تسلم لنا تدريجيا وبدون علبها المعدنية. اما القلونية كانت ممنوعة علينا منعا باتا، وكان البعض ينجح بتهريبها ايام الزيارات.

كنا نتوزع على مجاميع من 5 اشخاص لنكون سفرة (مجموعة لتناول وجبات ألطعام سوية) واحدة نلتقي فيها لتناول الوجبات الرئيسية، ولكل سفرة خفر بالتناوب مهمته تحضير السفرة وغسل أواني السفرة. احيانا السفرة الواحدة تقوم بنشاط اضافي لتحسين وجبتها من خلال اضافة الحامض والبهارات وحتى الثوم، ويقوم بذلك خفرها. وكان الغداء يتكون في كل الايام من المرق والرز او الخبز بدل الرز، ولم تكن كميته كافية وكذلك كانت نوعيته دون الوسط، بحيث اطلقنا على الخضار في المرق مصطلح اعماق، كونها قليلة وشحيحة وراكدة في اعماق ألسطل (إناء معدني سعة 50 لتر لنقل الماء .(

اهتم احد الزملاء اسمه حمد من سكنة بغداد واعتقد من باب الشيخ بتدجين الحمام وكان يهتم باطعامها، وكنا نتمتع ونحن نتابع طيرانها ثم تعود الينا، ولكن كان عليه ان يطلقها صباحا عند قيام الادارة بحملة التفتيش، لانه غير مسموح بتربية الطيور وكانت هذه الطيور احدى وسائل تسليتنا .
لن يَحول السجن من مواصلة الشيوعيين نشاطاتهم وخاصة التثقيف الذلتي ، وهذه تقاليد سار عليها الشيوعيون بعد ان رسخها الشهيد الخالد فهد. فرغم شحة المصادر التثقيفية واعتمادنا على كراريس بخط اليد او على بيانات الحزب وصحافته، كانت حلقات التثقيف الذاتي والتنظيمي متواصلة. بعد وصول اي سجين ومعرفة الأسباب

وراء سجنه وربما يوجد في داخل السجن من يزكيه، حينها تقرر المنظمة الحزبية طبيعة العلاقة به، وكان احد المسؤولين عن المحجر الشهيد محمد جميل الرحبي.

لم تدم اقامتي بالسجن طويلا، لأن محكوميتي كانت ستة اشهر وقد قضيت نصفها في التوقيف. وكما عرف عن الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم كان دائما يصدر مرسوما جمهوريا بالاعياد بالعفو عن السجناء او تخفيض محكومياتهم، وقد شملني هذا الاعفاء واطلق سراحي قبل اسبوع من انهاء فترة السجن المقررة. وهكذا اطلق سراحي في اواخر تموز، وكان اخي همام في زيارته الاخيرة لي ترك لي ملابس جديدة، لدى ادارة السجن، لأرتدائها بعد خروجي .

صباح اليوم الثاني سلمت ملابس السجن واستلمت ملابسي الجديدة والانيقة. توجهت من السجن مشيا قاصدا اصدقاء لأخي في الكوت وانا اتطلع في وجوه الناس وكأنني قادما من عالم اخر، كانت بي رغبة ان اصرخ باعلى صوتي لاخبر الجميع باني سجين سياسي خارج من السجن توا، واني صمدت امام تعذيب أمن كربلاء وحافضت على اسرار الحزب بالرغم من صغر سني وها انذا الان حرا واسير رافع الرأس وسأعود لنشاطي الحزبي وانا اكثر تصميما. توجهت الى بيت زميل اخي في كلية التربية دون صعوبة. تناولت غداء دسما لايقارن مع اعماق السجن، بعد ان تناولت الشاي اوصلني اهل البيت الى سيارات بغداد، وفي بغداد كان اخي همام بانتظاري، بعدها اخذنا تاكسي الى كربلاء حيث وصلنا للبيت بعد منتصف الليل.

كان الاهل بانتظارنا وفرحتهم كبيرة، بينما كانت الوالده قلقة رغم فرحتها بعودتي، حتى ان اخي انتبه وسألها عن مصدر قلقها، تبين انها كانت خائفه من ان الامن وضعوني

في قوائمهم واني ساكون دائما مطارد. صَحَت هواجس الوالدة، فكلما حدث نشاط للحزب استدعيت واستجوبت. كان اخرها استدعائي واستجوابي من قبل أمن كربلاء: اين قضيت الليلة الماضية؟ وهل كنت من المساهمين في خط الشعارات ألحزب التي ملأت شوارع كربلاء؟ وعندما نفيت مشاركتي، قالوا سنُحظِر الدليل! جاؤوا بالدليل واعتقدت انه احد المساهمين بالخط، لكن فوجئت بان وضعوا الدليل على الطاولة وكان نعال اسفنج !!!! سألوني عن قياس قدمي ولم يصدقوا اجابتي وطلبوا مني انتعاله، لحسن الحظ كان قياسه كبيرا جدا، فاخلوا سبيلي .

بعد ان التقيت بالاصدقاء علمت ان طالب النداف ورفيقه واثناء قيامهم بخط الشعارات ليلا فوجئوا بأحد افراد الامن فهربا مسرعان وقد تخلى احدهم عن نعاله. ولم يتمكن شرطي الامن من الامساك به فعثر على النعال وجاء به لدائرة الامن كدليل جريمة و تفتق عقلهم بالتفتيش عن صاحب النعال. استدعوا كل من يشتبه به واعتقل كل من كان النعال على مقاس قدمه للتحقيق معه. هكذا اعتقلوا مجموعة من الشباب الشيوعيين واصدقائهم من ليس لهم علاقة بالتهمة ماعدا طالب النداف ورفيقه وقد نجحا في الهرب والاختفاء عن عيون الامن، وبقي ألنعال محجوزا في الامن.

بعد خروجي من السجن كان علي ان ابذل جهودي لتأدية امتحانات الرابع الاعدادي في الدور الثاني، لأن مشاركتي اثناء وجودي في موقف كربلاء كانت رمزية لتجنب فصلي من الثانوية أذا ماتجاوز غيابي اكثر من 60 يوم متواصلة، ومشاركتي تعني عدم جعل غيابي متواصلا 60 يوما اثناء الفصل الدراسي. وتمكنت بجهودي واصراري ان اثبت للآخرين ان نشاطي السياسي وما تعرضت له من سجن لن يؤثر على دراستي، وتمكنت من اجتياز جميع الامتحانات بنجاح وعبرت للصف الخامس العلمي لألتحق بزملائي.

\5\

انقلاب شباط الدامي

استيقظت متأخرا صباح الجمعة 8 شباط 1963، على صوت المذياع وهو يذيع البيان الأول للإنقلابيين. لم اركز في البداية على صوت المذيع، الذي كان يقرأ الفقرة الأخيرة من البيان، وحسبت ان هذا احد بيانات عبد الكريم قاسم والتي عودنا عليها في مهاجمة القوى المعادية للثورة، بينما كانت سياسته الفعلية قمع قوى الثورة الحقيقية الديمقراطية والوطنية وارخاء الحبل لنشاط القوى الرجعية والعروبية المعادية لنهج ثورة 14 تموز. وقفت بجانب المذياع لسماع وفهم ما يذاع. وبعد فاصل من الإستراحة مصحوبا ببعض الأناشيد القومية أعاد المذيع تلاوة البيان وهو يعلن: (....لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة.....) حينها ايقنت أنها حركة إنقلابية وأن الإنقلابيين قد سيطروا على الإذاعة. وهكذا علم كل من في البيت بطبيعة الإنقلاب من خلال تعليقات المذيع واسلوبه في وصف عبد الكريم قاسم، وتجمع الكل حول المذياع لسماع ما يستجد وعلى أمل ان تحدث معجزة وتسترد الإذاعة، وإحباط الحركة الإنقلابية.

كان موقف الحزب الشيوعي واضحا من اي حركة إنقلابية، وهو العمل على إحباطها

بكل الوسائل الممكنة بإعتبار أن أي إنقلاب سوف يستهدف المكاسب الوطنية التي انجزتها ثورة 14 تموز، وكان اخر بيان للحزب يحذر من مؤامرة وشيكة ويدعو الشعب لفضح وكشف خيوط المؤامرات التي تحاك ضد منجزات ثورة 14 تموز ومصالح ألشعب. قررت الخروج للإتصال بالحزب لمعرفة حقيقة ألموقف، وقد شجعني والدي على ذلك. التقيت بمسؤولي ألحزبي عند الباب، فقد جاء ليبلغني بتوجيه ألحزب: رفيق ألتجمع في ساحة ألميدان، واجلب معك أي سلاح تملكه! وحشد ألأصدقاء لهذا التجمع. لم افهم من رفيقي مالمقصود بجلب اي سلاح ممكن، وهل نحن على وشك خوض حرب شوارع!! وهل بهذه الطريقة يتم احباط المؤامرة؟؟ واين دور تنظيمات الحزب بالجيش؟ غادرت البيت وكانت تدور في ذهني كل هذه التساؤلات، وبدون أي سلاح لعدم توفره في البيت، وحشدت بعض ألأصدقاء من المنطقة للذهاب والتجمع في ساحة لميدان.

بعد تجمع المئات وقف عباس سلمان (معلم وعضو لجنة مدينة كربلاء للحزب) والقى كلمة مختصرة فضح فيها الإنقلاب واهدافه وطالب المتظاهرين بمقاومة الإنقلاب بالوسائل الممكنة!! واعلن بأن الحزب شكل وفدا لمقابلة عبود الشوك متصرف (محافض) كربلاء وبقية المسؤولين كمدير الأمن ومدير الشرطة لأتخاذ موقف حازم من الإنقلابيين، ومطالبتهم بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين. وتم تشكيل الوفد من فيصل الشامي وابو انعام (معلم ممثلا عن الحزب الوطني الديمقراطي) وفائقة وأعتقد كان ضمن الوفد وجها فلاحيا (ابو عباس او كاظم ناصر). لم يتمكن الوفد من إقناع المتصرف وبقية المسؤولين من إتخاذ موقف صارم من الإنقلابيين أو حتى اطلاق سراح الموقوفين الموجودين في موقف كربلاء. كان موقف المتصرف وبقية المسؤولين يتميز بالمماطلة والإنتظار كي تتجلى لهم الامور ويحسم الوضع لتحديد موقفهم، وهو موقف إنتهازي.

سارت التظاهرة وهي تجوب شوارع المدينة منددة بالمؤامرة الدنيئة للقضاء على ثورة 14 تموز ومنجزاتها الوطنية. جابت التظاهرة معظم شوارع المدينة بما فيها المناطق السكنية المعروفة بتعاطفها مع ألبعثيين والقوميين، وقد تجمع نفر منهم في مناطقهم للتظاهر تأييدا للانقلاب وبعضهم ارتدى ملابس الحرس القومي، وما ان شاهدوا تظاهرتنا حتى هربوا مذعورين، من دون ان تحدث مصادمات. حاول ألحزب القيام بمحاولة للسيطرة على المدينة من خلال ألإعتماد على بعض ألإمكانيات ألمتواضعة من ألتسليح لدى تنظيماته ألفلاحية. وهي محاولة ارتجالية وانفعالية وقد فشلت محاولة ألحزب واعتقلت المجموعة ألفلاحية (مؤلفة من 7-10 فلاحين بقيادة الفلاح مهدي النشمي) من الحزبيين وأصدقائهم، من قبل شرطة باب العلوة او شرطة الحسينية، وهم بطريقهم الى ألمدينة. تفرقت ألتظاهرة مساء 8 شباط دون حوادث وتصادم مع البعثيين ولا مع السلطة، ومن دون أي توجيهات حزبية عن كيفية مواجهة ألإنقلابيين في ألأيام ألقادمة!! وبالرغم ان الحزب كثيرا ماكان يحذر من المؤمرات التي تحاك ضد ثورة 14 تموز وخاصة التحذير الذي سبق الانقلاب بأيام لكنه فشل في تهيأة منظماته وتمرينها على كيفية مواجهة الانقلاب واحباطه بصورة عملية وبأقل الخسائر.

أكَّد ألإنقلابيون في اليوم الثاني نواياهم ألإجرامية ببيانهم الفاشي، بيان رقم 13 وجاء فيه : (نظرا لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد ألكريم قاسم في جرائمه بمحاولات يائسة لأحداث ألبلبلة بين صفوف الشعب وعدم ألإنصياع الى ألأوامر والتعليمات ألرسمية، فعليه يخول آمرو ألقطعات ألعسكرية وقوات ألشرطة والحرس ألقومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن. واننا ندعو جميع أبناء ألشعب المخلصين للتعاون مع السلطة ألوطنية بالإخبار عن هؤلاء ألمجرمين والقضاء عليهم) وكانت تعليقات المذيع

الحماسية تشجع على القيام باعمال ألإبادة والقتل ألعشوائي قبل اجراء اي تحقيق بحجة مقاومة الانقلاب. لم يكن ألإنقلابيون بحاجة لمبررات لإصدار بيان 13، فهم ابدعوا في إبادة الشيوعيين وكل وطني هب للدفاع عن الثورة من اليوم ألأول، ومازال الكثير منهم ليومنا هذا يتبجحون بجرائمهم، وحتى الذين ابتعدوا عن البعث وكتبوا مذكراتهم يحاولون التنصل من تلك الجرائم وتحميل بعض العسكرين من بعثيين وقوميين امثال عبد السلام عارف مسؤلية الانتهاكات.

اعتقلت صباح 9 شباط وكنت اول المعتقلين في ألمدينة بعد اول حملة اعتقالات منظمة في كربلاء. وأعتقل والدي بعد اربع ساعات وهو في طريقه ألى الخالص ليلتحق بعمله، حيث انزل من ألسيارة التي تقله من قبل ألحرس ألقومي. استمر تجميع ألمعتقلين في مكتب القلم ألسري في مديرية الامن في مركز شرطة كربلاء حتى تجاوز عددنا العشرون، ولم تعد الغرفة تتسع للمعتقلين إضافة إلى موظفي ألأمن بمكاتبهم وهم يقومون بحراستنا. كان أحد ألشرطة السرية لايتورع في ألإعتداء على بعض ألمعتقلين بالضرب والشتائم، وقد ركز في ذلك على والدي كلما دخل او خرج من المكتب، وكان والدي يتحمل اعتداءآته بصبر ويحاول احيان صد ضرباته بيده لكنه لم يحاول اخفاء نفسه وراء الآخرين. ويحاول والدي من حين لآخر ان يستفسر منه عن سبب اعتدائه فيسأله بعتاب: ليش ابني انا رجل بعمر والدك، ماذا فعلت؟ الله يسامحك ويهديك يا أبني!. كنت أرى هذا ألشرطي ألتافه يعتدي على والدي ولايمكنني رده وانا أتألم واغتاظ لسلوك هذا الشرطي القذر، فقررت أن اقف أمام والدي، لكي ابعد والدي عن طريقه. لكن هذا الشرطي إستمر في ضرب والدي وشتمه. من خلال تجربتي الشخصية في معتقلات اجهزة الامن، لاحظت ان الشرطة السرية (شرطة اجهزة الأمن) كانوا معظمهم منبوذين أجتماعيا، ويتم اختيارهم من العناصر الفاشلة في حياتهم الاجتماعية والعملية،

فيلجؤون للإلتحاق والعمل كمخبرين في اجهزة الامن السيئة الصيت، وهم بإعتدائهم على المعتقلين السياسيين يحاولون تغطية هذا النقص في شخصياتهم والتظاهر وكأنهم ارفع شأنا من الاخرين ويتحكمون بمصير وحرية المعتقلين. بادر أحد كتاب القلم السري، إسمه جدوع، سبق وكان معتقلا معي في مركز شرطة كربلاء عام 1962 (لم اعد اتذكر سبب توقيفه)، وكان يتعاطف معي في الموقف وكنا نشركه معنا في الطعام وجلساتنا واحاديثنا وتكونت بينه وبيننا زمالة معتقل تركت تأثيرها ألإيجابي في سلوكه. طلب جدوع من والدي أن يقف قريبا منه اي خلف مكتبه ليجنبه هذه ألإعتداءات من هذا الشرطي المستهتر، وكان موقفا نبيلا من موظف يعمل في جهاز ألأمن، ربطتني به علاقة زمالة في الموقف لمدة أيام معدودة.

بعد ان طال احتجازنا وإزداد عددنا وبسبب ارتباك دائرة ألامن حيث برزت قوة ألحرس ألقومي باعتبارها السلطة ألوحيدة لإصدار ألأوامر ألمتعلقة بالمعتقلين واصبح مصيرنا بيد الحرس القومي، حينها بدأت أللامبالاة تسود بين شرطة ألامن. عندما طلبنا أن يسمحوا لنا بالذهاب ألى المرافق ألصحية بعد حجز زاد عن خمس ساعات، أجابنا أحدهم أنهم غير مسؤولين عنا ولايمكنهم تحمل مسؤولية مرافقتنا للمرافق الصحية لقضاء حاجتنا، لأن المرافق الصحية كانت في ساحة المركز وخارج الأبنية الادارية وتتطلب الوصول لها السير مسافة 150 م او اكثر وقريبة من السياج الخارجي. فخيرتهم بين أخذنا ألى المرافق أو ألاضطرار لقضاء حاجتنا في نفس الغرفة، لأننا لم نعد نتحمل، وكان هذا مجرد استهزاء ولم أكن جادا، ولكن شرطة الامن كانوا يعرفون مكانة دائرتهم فوافقوا على أن نتبول فقط في داخل الغرفة!! فكنت أول ألمبادرين في رش بوله على جدران غرفة ألقلم السري لمديرية أمن كربلاء ثم تلاني والدي فهمست باذنه أنها بولة ستسجل في تأريخ مديرية امن كربلا وفي ظل حكم البعث الوحدوي!!

وبعد أن بال رابع واحد منا منعوا ألاخرين من مهمة رش ألبول على جدران دائرتهم لأن رائحة البول انتشرت في الغرفة وأوعدونا بأنهم سيتحدثون مع مسؤولي ألحرس ألقومي.

مساء 9 شباط نقل جميع المحجوزين الى الغرفة الأكبر من غرف موقف مركز شرطة كربلاء. وأزدحمت غرفة ألمعتقل بالمعتقلين وتجاوز عددنا الثمانين، من مختلف قطاعات ألشعب من أطباء، معلمين، طلبة، عمال، محامين وفلاحين، ولم تعد غرفة المعتقل تستوعب اكثر من هذا العدد، فهذه الغرفة لم تستوعب في أصعب ألظروف، التي قضيت فيها أيام إعتقالي في عهد عبد ألكريم قاسم، اكثر من عشرين معتقلا. لذلك كان بعضنا يقضي ليله ساهرا متعلقا بالشباك الكبير والوحيد ذو ألرف المنحدر بدرجة 45، وهو غير مريح للجلوس بسبب انحدار رفه. كان ألبعض يفضل إحتلال هذا ألرف ألمائل ليقضي ليلته، مفضلا ذلك على نومه وسط هذا ألزحام، والبعض كان ينهكه ألسهر ويضطر لحشر نفسه بين ألآخرين ويستسلم للنوم. وكم مرة كنا نبحث عن أحدهم ولم نعثر عليه بسبب تكدس هذه ألأجساد ألبشرية على بعضها، وقد حدث هذا مع صكر ألنشمي، وهو طفل لايتجاوز عمره الخمسة عشر عاما اعتقل مع والده ألفلاح مهدي ألنشمي، ولم نعثر عليه إلا بعد أن مدد أحدهم ساقيه دافعا صكر فوق الاجساد المتكدسة، وصكر مازال يغط في نومه! كان ألوضع في ألموقف مزريا مع تزايد عدد ألمعتقلين، ولم يعد المكان يتحمل زيادة ألعدد، حتى أن ألموقف في أليوم ألثالث لم يعد يسعنا ونحن جالسين!



من اليمين انا واخي كفاح ووالدي وعمي محمد علي قبل اعتقالنا

اعتقل أخي الأكبر كفاح في اليوم الثالث، وكان يعمل مدرسا في ثانوية كربلاء للبنين، والذين أشرفوا على اعتقاله طلبته من الحرس القومي من بعثيين وقوميين. زاد وضع الموقوفين سوءاً عندما قرر أوباش الحرس القومي نقلنا أنا وأخي كفاح ومجموعة من الزملاء المعتقلين الى معتقل أخر لضيق المكان ولتهيئته للمعتقلين الجدد حيث ان الاعتقالات كانت مستمرة واعدادنا في ازدياد، قيل لنا أنه سجن بعقوبة، وقد أحضروا الباصات وقت الظهيرة وكانت عوائلنا متواجدة في باب المركز وبدأ صراخ الاطفال وغضب وبكاء النساء يتعالى، فأضطروا للتراجع. وهنا يحضرني موقفا مضحكا مؤلما، يؤشر الى قسوة ولآأخلاقية البعثيين والقوميين من افراد وقادة الحرس القومي وعدم احترامهم لأساتذتهم وكبار السن. كان من بين المعتقلين الاستاذ موسى الكرباسي وهو مدرس في الثانوية او دار المعلمين (لا أتذكر بالضبط)، وكان قادة الحرس القومي واخص منهم عبد الواحد شمس الدين (1)من بين المشرفين على عملية التسفير لأنه آمر الحرس القومي ومسؤول بالمنظمة وكان المسؤول الاول في حزب البعث، ولما تأخر الكرباسي لأنه لم يعثر على حذائه من بين عشرات الاحذية المكدسة، صرخ عبد الواحد حاثا استاذه السابق الكرباسي على الاسراع ليلتحق بالمنقولين لأن الباصات تنتظره، وكان منظر الكرباسي وهو يرتدي طقمه ورباط العنق وبقدمين حافيتن

وبضخامة جسده يبعث على الحزن والاسف في ان يعامل التلميذ استاذه بهذه الطريقة المذلة! فقال له الكرباسي متوسلا: استاذ عبد الواحد قابل اخرج حافي، لم اعثر على حذائي؟؟؟ فرد عليه عبد الواحد صارخا : نعم اخرج حافي !!

(1)عبد الواحد شمس الدين كان مسؤول حزب البعث في كربلاء وكان آمر الحرس القومي، وبعد انقلاب 18 تشرين الذي قام به عبد السلام عارف وتعرض حزب البعث لنكسة بسبب جرائمه، راجع الكثير من القادة البعثيين سياستهم وتجربة حكمهم الدموي في عام 1963 واتخذوا مواقف متباينة من تلك السياسة حتى ان البعض منهم ابتعد كثيرا عن حزب البعث، وسمعت ان عبد الواحد ابتعد وتعرض لمضايقات حزب البعث.

(6)

انقلاب شباط الدامي

كان تراجع الحرس القومي عن نقلنا وتسفيرنا خارج كربلاء مؤقتا ، ففي فجر اليوم الثاني في الثانية صباحا نقلنا الى مركز شرطة الحلة حيث كان بأستقبالنا صفين من الشرطة والحرس القومي وما أن نمر من بينهم حتى ينهالوا بالعصي علينا بعشوائية، وبشتائم تنم عن حقد دفين. أخبرنا بعض الموقوفون العاديون أن الوجبة التي سبقتنا بالأمس من المعتقلين السياسيين أجبرهم الحرس القومي على تنظيف المرافق الصحية وتفريغها من قاذوراتها وحلق شعر رؤوسهم، وذلك لإهانتهم!!. بقينا في موقف مركز شرطة الحلة حتى المساء حيث نقلنا الى سجن الحلة المركزي في قسم المعمل. كان الحرس القومي يتجنب نقل المعتقلين نهارا خوفا من ردود الفعل الشعبية، فكانوا يتسترون بظلام الليل في عمليات نقل المعتقلين.

القسم الذي نقلنا اليه صمم ليكون معملا للنسيج لتشغيل السجناء ثم اهمل المشروع. وهو عبارة عن ممر طويل ربما يتجاوز طوله 80 م وعرض لايزيد عن 5 م، في أحد أطرافه توجد حنفية ماء وحوض صغير وبجانبها تواليت واحد. ويقع المعمل على ما أعتقد بين السجن القديم والسجن الجديد ويشرف من الطرفين على ممر السجن الذي يطوق كل أقسام سجن الحلة. عندما وصلنا الى السجن كان الوقت ليلا ومعظم المعتقلين نيام وكانت القاعة مزدحمه بالمعتقلين فلم نجد مكانا نجلس فيه، فنهض أحدهم وقدم

نفسه لنا، انه صاحب الحكيم (أبو بشرى) وهو كادر شيوعي من مدينة النجف، كان معتقلا قبل الانقلاب، وسبق وأن تعرفت عليه لاول مرة بعد ثورة تموز المجيدة عندما تم اطلاق سراح السجناء السياسيين، واطلق سراحه مع عمي محمد علي او جاء مرافقا له، وعانقته معتقدا أنه عمي.

بعد ان قدم صاحب نفسه لنا دعى المستيقظين إلى التراصف لتوفير مكانا للقادمين الجدد، وقد أحدث وصولنا جلبة وضوضاء فأستيقظ معظم النزلاء، وتحلقوا حولنا يستفسرون عن اخر الاخبار ولم نكن نعرف أكثر منهم لاننا من الذين اعتقلوا في الايام الاولى من الانقلاب المشؤوم. وتم تدبير مكان لنا وسط المعمل (القاووش). كان القاووش مزدحما بالنزلاء من مختلف مدن الفرات الاوسط وحتى من بغداد، كان بيننا الطلبه، الفلاحين، العمال، الاساتذة، الاطباء، المحامين ومن جميع المهن وكان النصيب الأكثر للعسكريين من مختلف الرتب.

كنا نجلس طوال اليوم في هذا القاووش المزدحم ولامجال للمشي والحركة. التهوية كانت رديئة، فالشبابيك الوحيدة كانت على ارتفاع أكثر من 2.5م ولايمكن فتحها، فكان الهواء يدخل من الابواب الموجودة في طرفي القاووش والتي تطل على الممر الذي يطوق اقسام السجن. تجاوز عدد النزلاء السبعمائة معتقل، وسبب هذا العدد أزمة داخل القاووش، ففي أي وقت تحاول أن تغتسل أو أن تذهب للمرافق تجد أمامك عشرون أو أكثر ينتظرون قبلك في صف طويل. ولتوضيح الصورة المزرية التي عانيناها في ظل حكم البعث في شباط 1963 على القاريء ان يوزع 24 ساعة (ساعات اليوم) على المعتقلين (اكثر من 500) ليرى حصة الفرد للأستفادة من حنفية واحدة وتواليت واحد وسيجد حصة كل معتقل يوميا من الوقت للإستفادة من التواليت وحنفية الماء لاتتجاوز

3 دقائق باليوم ليغتسل بها ويقضي حاجته!!!! هذه الحالة المزرية التي كنا نعاني منها، من ازدحام السجناء وعدم توفر المرافق الصحية، عددا ونوعية، هذه الأوضاع المزرية أوحت للشاعر الشعبي الرائع لطيف بربن، من أهالي الحلة، بقصيدة شعبية رائعة صور فيها حياتنا داخل السجن وما نعانيه بأسلوب ناقد وساخر، تحدث فيها عن الازدحام وضيق المكان، عن التعداد وتصرف السجانة كعبدالله الشباب وأبو سبتي وغيرهم أثناء التعداد (المسطر) والمواجهات. مازلت اتذكر بعض ابيات تلك القصيدة، وربما سيتذركها من عاشوا تلك الفترة في سجن الحلة فينشروها او يرسلوها لي مشكورين لأدونها كاملة، فان مثل هذه القصائد توثق ما قدمه الشيوعيون وأصدقاؤهم من تضحيات ومعاناة وتصور حياتهم في السجون كما تصور همجية وحقد البعثيين ومن شاركهم من مدعين قوميين، وهذه بعض ابياتها:

مرحاض وحده والعدد نص الألف

بطنك تحير بيهه تگوم تفتر وتلف

....

لو أجه الليل يصفطونه مثل تصفيط الهدوم

(ولو تحرك شخص راح أمجانه (مكانه

....

ومن يصيح الخفر مسطر ياشباب

نجَمَع ونضحك على عد عبد الله الشباب

....



صورة جماعية لبعض المعتقلين الشيوعيين في سجن الحلة عام1964 ويظهر الاول من اليسار في الصف الخلفي من الجالسين كاتب المذكرات وفي المقدمة الثاني من اليسار المعلم الكربلائي حسين

كانت الإعتقالات تجري بصورة عشوائية وبدون اية مقاييس سياسية. شملت الإعتقالات الشيوخ المسنين، وكنت أرى أحد الشيوخ في عقده التاسع، وعندما نسأله عن سبب إعتقاله، يقول: يتهمونني بأن لي ميلا يساريا، بينما انا اسير معتدلا ولا اميل لايسارا ولايمينا! ثم ينهض ويمشي امامنا ليثبت لنا أنه لايميل لأية جهة! وكان هذا الشيخ الطاعن بالسن ورغم ظروف اعتقاله يهتم بحلاقة وتحديد لحيته مستعينا بشفرة حادة وجزء من قصبة البردي دون ان يجرح نفسه، ونقف نحن الشباب نراقبه مدهوشين من قدرته على الحلاقة بهذه الطريقة البدائية!. أما أموري الطويل الذي اعتقل في اليوم الثاني من الإنقلاب في كربلاء، كرهينة بدل اخيه الأصغر حمودي، وحمودي لم يبلغ بعد ستة عشر عاما، بقي معتقلا حتى بعد ان سلم حمودي نفسه بضغط من والديه، ونقل معنا الى سجن الحلة. ولبساطته رفض ان يرتدي البجامة التي إستلمها من عائلته، لأنها من لباس السياسيين كما يعتقد وتثبت عليه التهمة وهو ليس بالسياسي، وكي يثبت عدم كونه سياسيا للحرس القومي الذين يزورون السجن

ويقابلون السجناء من حين لآخر، حلق شعر رأسه وكشف عن آثار جروح في رأسه والتي تركتها ضربات السيوف في المناسبات الحسينية في عاشوراء، وكان يتقدم المعتقلين ليكشف عن هذه الآثار في رأسه للحرس القومي ويؤكد لهم أنه حسيني ويرفض إرتداء البجامة التي يلبسها السياسيون ولا علاقة له بالسياسة!! لم يسلم من إعتقالات الحرس القومي حتى الأطفال الذين اعتقلوا كرهائن بدل أبائهم او أشقائهم وتعرض الكثيرون منهم للتعذيب حتى الموت كما حدث للشهيد فاضل الصفار وعمره لايتجاوز ستة عشرسنة واستشهد أثناء التعذيب البربري امام أعين امه المناضلة نرجس الصفار وهو يرفض أن يرشد الحرس القومي لمكان إقامة أبيه (زوج امه) الشهيد الخالد جمال الحيدري.

في احد الأيام زج بمجموعة (4-6 لا اذكر) من شباب الديوانية، وكانت اعمارهم بين 16 و 19 عاما، وكانت اثار التعذيب والضرب على وجوههم. ولما تجمعنا حولهم مستفسرين، اخبرنا احدهم وهو شاب دون 18 عاما واسمه صبحي، انهم تأثروا كثيرا للتصفيات والاعدامات لقيادات الحزب الشيوعي وقد اغاضهم اكثر تبجح الانقلابيين بإدعائهم بالقضاء على الحزب الشيوعي وقيادته. فقررت المجموعة القيام بنشاط يثبت للقتلة ان الحزب مازال ينشط ولم يتمكنوا من القضاء عليه. أسسوا تنظيما حزبيا خاص بهم واختاروا قيادة بينهم، وتخليدا لقادة الحزب الذين استشهدوا وتحديا لسلطات شباط الدموية، اختاروا لأنفسهم نفس الاسماء الحزبية لقادة الحزب الشهداء مثل فهد وسلام عادل. نشطت المجموعة بين شباب الديوانية وجمعوا التبرعات من المتعاطفين مع الحزب، واستولوا على طابعة يدوية من احدى المدارس، واستفادوا من اذاعة بكي ايران التي يملكها حزب تودة الايراني وخصصت قسم من بثها للشيوعيين العراقيين (وسميت فيما بعد بصوت الشعب العراقي)، وسجلوا بعض البيانات والاخبار وطبعوها،

ورموها في مقر الحرس القومي تحديا!!! يقول صبحي كنا نبحث عن صلة بالحزب لنسلمه المطبعة والتبرعات ولم نفلح، لأن جميع الشيوعيين اما معتقلين او مختفين. وانكشف سر الطابعة وبدأت اجهزة الامن والحرس القومي بالبحث عنها وقد اخفيت الطابعة في عربة بيع باقلاء تعود لوالد احدهم. ولكن نشاطهم لم يستمر طويلا سوى اسابيع، عدم التجربة عرضتهم للكشف والاعتقال. لقد شهد العراق في تلك الفترة المظلمة والدموية مبادرات فردية قام بها الكثير من الشيوعيين الذين تمكنوا من الإفلات من اعتقالات الحرس القومي، والكثير منهم بادر لتأسيس تنظيم شيوعي، واحيانا يكون في المدينة الواحدة اكثر من تنظيم ويتم توحيدها بعد التعارف والتلاقي والتأكد من عدم وجود مندسين بين هذه التنظيمات. وهناك امثلة لشيوعيين كانوا قد تركوا العمل الحزبي وابتعدوا عن الحزب قبل انقلاب شباط الدموي، لكن الحب الصادق والمتجذر بقلوبهم للحزب وإيمانهم بمباديء الحزب، حركهم واستعادوا نشاطهم الحزبي تحديا لسلطات انقلاب شباط ، وهذا ماكان يغيض القتلة ويرهبهم. واتذكر في تلك الفترة كتب الخائن مالك سيف مقالا نشره في الصحافة الرسمية يحذر قادة الانقلاب من عودة الشيوعيين لنشاطهم وقدرتهم على اعادة تنظيماتهم .

كان قادة البعث في كربلاء عندما يتحدثون معنا ونحن معتقلون يتسائلون بإستغراب عن سر حب الناس للحزب واستعدادهم للتضحية وتحديهم للسلطة، خاصة بعد ان لاحظوا عدم استعداد الفلاحين لأستقبالهم والأستماع الى توجيهاتهم ولا حتى التعاون معهم بالرغم من الإغراءات والتهديدات. وتحضرني حادثة سمعتها عام 1973 في بولونيا من احد طلبة الدراسات العليا وهو اكرم فهمي وهو منتمي لحزب البعث منذ عهد عبد الكريم قاسم ومازال حينها حزبيا، وكان في كل جلساته يتذكرها ويضحك حيث يصف لنا تحرك منظمة البعث في الناصرية بعد ان تسلموا السلطة عام 1963 وكيف كانوا

يعانون من كره وعدم ثقة الجماهير بهم وخاصة الفلاحين، ويقول: في احد نشاطاتنا الجماهيرية كان علينا ان نجمع الفلاحين في مدينة الناصرية ونواحيها لحضور تجمع جماهيري في المدينة. وهكذا اخذنا اللوريات (سيارات الحمل المكشوفة) وتوجهنا للقرى والنواحي وحشدنا المئات منهم، واعطينا كل واحد منهم ربع دينار ووجبة طعام من خبز وبيض، وطلبنا منهم ان يهتفوا بحياة حزب البعث والثورة خلال سير السيارات على طول الطريق. وكانت سيارات الحرس القومي تتقدمهم، الى ان وصلوا مكان التجمع لاحظوا عدم وصول جميع السيارات، وقرروا العودة لمعرفة سبب التأخير، فوجدوا ان نقطة السيطرة في اول المدينة قد احتجزت مجموعة من السيارات بركابها من الفلاحين، ولما استفسرنا عن السبب اخبرتنا نقطة السيطرة ان الفلاحين كانوا (يهوسون) بإهزوجة ضد البعث وهي (خمسة بالشهر ماتو البعثية)، ولما استفسرنا منهم لماذا غيرتم الاهزوجة التي طلبنا منكم ترديدها؟ اجابو: والله ياستاذ ملينا من هذه الاهزوجة وعجبنا نرجع لهوسات ايام زمان! طبعا كان هذا الزميل البعثي يقص علينا هذه القصة وهو معجب بقدرة الحزب الشيوعي على اقناع الفلاحين ببرامجه وافكاره.

كنا في السجن نسمع بأعتقالات قيادات الحزب وحملات التعذيب البربرية وأغتصاب النساء حتى مدينة كربلاء والنجف المقدستين لم تسلم فيها النساء من الاعتقال والتعذيب، ففي كربلاء اعتقل الحرس القومي المناضلات نبيهة الزبيدي، بدرية يحيى النجار وفائقة وفليحة الطيار وام عادل واخريات وتعرضن للتعذيب. ومما شجع مسؤولي حكومة شباط الفاشية بالتمادي في اعتقال النساء وممارسة أبشع أنواع التعذيب معهن وأحيانا الاغتصاب هو مواقف المراجع الدينية المتفرج والمتشمت بكل أسف، لأن الحملة البربرية موجهة بالأساس ضد الشيوعيين وكانت بعض المراجع الدينية في النجف قد أصدرت فتاوي حاقدة ضد الشيوعيين وانجازات ثورة 14 تموز،

مما اعطى انطباعا للأنقلابيين بأن المراجع موافقة على جميع انتهاكات الحرس القومي بما فيها القتل تحت التعذيب، وإلا كيف يفسر الصمت المطبق للمراجع، شعية كانت ام سنية، لجرائم التعذيب حتى الموت واعتقال وتعذيب النساء واغتصابهن وقتل الاطفال لأنتزاع اعترافات عن ابائهم. وقد ذكر عبد الغني الراوي احد المشاركين بالانقلاب الدموي انه استحصل على فتاوي من ثلاث مراجع تحلل قتل الشيوعيين لأنهم مرتدين، وذلك ليبرر عمليات الاعدام التي كان يخطط لها قادة انقلاب شباط من بعثيين وقوميين بحق الضباط الشيوعيين والديمقراطيين، ولم يكذب اي مرجع ادعاءات الراوي، وهذا يعني ان ادعائه صحيح. وعلى القاريء ان يتصور كم كان البعثيون والقوميون متعطشين لقتل وتصفية الشيوعيين بحيث ان عبد الغني الراوي كان متحمسا لتكليفه للسفر الى نقرة السلمان بعد حركة الشهيد حسن سريع لأصدار وتنفيذ حكم الاعدام بالضباط الشيوعيين بعد محاكمة صورية. ورفض السفر الى سجن نقرة السلمان لأن العدد الذي حدد له لتنفيذ حكم الإعدام بهم ثلاثين مناضلا، وكان عبد الغني الراوي يرى ان هذا العدد قليل لا يستحق السفر!! وكان يأمل بأن ينفذ حكم الأعدام بالعشرات منهم!! وبالتالي تخليه عن متابعة فكرة اللحاق بالسجناء بعد وصولهم سجن نقرة السلمان لتنفيذ مجزرة الموت !! (1). وفي النجف اعتقلوا ناشطات شيوعيات (مليحة الحكيم وشقيقتها) تربطهن صلة قرابة مع احد المراجع الشيعية البارزة ، وترجت عائلتهن من المرجع مستثمرة صلة القرابة به للتوسط للافراج عنهن من قبل الحرس القومي، فرفض المرجع التوسط لكونهن كما يزعم شيوعيات ملحدات ومرتدات يستحقن القتل!! ودشن إنقلابيوا شباط الدامي من بعثيين وقوميين عهدا جديدا في تأريخ العراق من القتل والإنتهاكات لحقوق الإنسان. واستمرت المجازر وخاصة في عهد البعث ايام حكم احمد حسن البكر ثم صدام بحق شعبنا العراقي وقواه الوطنية وحتى شمل القتل والتصفيات تحت التعذيب البربري العديد من المراجع الدينية بحجة العمالة لأيران.

بعد اعتقالنا أيام الحرس القومي بقيت عائلتنا المتكونة من والدتي وسبعة شقيقات دون رعاية رجل، في ظرف ساد فيه الأرهاب والتصفيات السياسية واعتقال النساء وتعرضهن للتعذيب والإغتصاب، وفقدت الوالدة المصدر المالي لإعالة العائلة، حيث كان مصدرنا المالي الوحيد راتب والدي فقط ، وكان راتب متواضع دون الستين دينارا بالرغم من خدمة الوالد الطويله في سلك التعليم ، فتأثرت واوقفت ترفيعاته بسبب الاعتقالات والفصل وسحب اليد خلال العهد الملكي ثم العهد الجمهوري. أما أخي همام فقد كان معلما في بغداد وفي نفس الوقت كان طالبا في كلية التربية، وكان احد قادة العمل الطلابي والحزبي في الكلية وقد ساهم بنشاط مع رفاقه وزملائه لكسر الاضراب الطلابي الذي قاده الاتحاد الوطني تهيئة لأنقلابهم الدموي، وكنا قلقين عليه بسبب غموض الوضع في بغداد وإنقطاع أخباره. وهكذا كانت والدتي هي المسؤولة عن شؤون البيت ورعاية بناتها السبعة وكانت أكبر شقيقاتي طالبه في الثانوية أما الصغرتان فلم تدخلا المدرسة بعد. وقد عانت الوالدة بسبب انقطاع مورد العائلة الوحيد وهو راتب والدي الشهري، وكان عليها أن تتدبر ايجار البيت البالغ 14دينار شهريا ومصروف البيت ومصاريف شقيقاتي ومعظمهن طالبات إضافة لمصاريفنا ونحن في المعتقل.



أخي الطيب الذكر همام في كلية التربية عام

1962

بعد انتقالي انا واخي كفاح الى سجن الحلة وبقاء والدي معتقلا في كربلاء، تعقدت وصعبت مهمة والدتي، فكان عليها رعاية بناتها وتوفير مستلزمات حياتهن اليومية وما تتطلبه مدارسهن وتوفير ايجار البيت اضافة لمصاريف الزيارات من كربلاء للحلة وتوفير المأكل الضروري لنا. كانت الوالدة تزورنا كل اسبوع مصطحبة معها قسم من شقيقاتي بالرغم من صعوبة وضعها المادي، وتجلب لنا الأغذية من كباب وكبة وبطاطة مسلوقة وطماطة وخبز مايكفي لإسبوع كامل، وتنتظر ساعات تحت أشعة الشمس المحرقة مع شقيقاتي في باب سجن الحلة ولم تتذمر أوتشكُ وكانت بمعنويات عالية، كان كل مايهمها ان توفر لنا الإطمئنان لكي نكون مستعدين لمواجهة تحقيقات الحرس القومي. كانت رحمها الله انسانة شجاعة ومكافحة وصبورة، وتنقل لنا اخبار مدينة كربلاء وما يحصل فيها من اعتقالات وأشاعات، كما كانت تخفي همومها ومعاناتها عنا وتحاول ان تدبر معيشة العائلة وتسديد ايجار البيت دون ان تتذمر او تشكُ. حتى أخي الأكبر كفاح المتزوج والمستقل في بيته مع زوجته، كانت والدتي هي المسؤولة الوحيدة عن وضعه في سجن الحلة وحتى في كربلاء وتزوده بما يحتاج من طعام وملابس وغيرها خلال فترة اعتقاله التي تجاوزت الأربعة اشهر، وحتى بعد الافراج

عنه من المحكمة كانت والدتي واخي الراحل همام هما من دبرا له جواز السفر وبطاقة الطائرة لمغادرة العراق الى المملكة العربية السعودية للعمل.

(1)د. علي كريم سعيد، العراق البرية المسلحة، حركة حسن سريع وقطار الموت 1963 ص243 – 246.

(7)

المكتبة العامة مركزا للتعذيب

كنا نسمع ونتابع مواقف الرفاق والأصدقاء وما يتعرضون له من تعذيب. كان جهل الحرس القومي وقياداته، ورغبتهم في ممارسة التعذيب بسبب حقدهم الأعمى، يدفعهم لإستدعاء أيا كان واتهامه كونه حزبيا، ومطالبته بالكشف عن اسماء رفاقه. هذا ماحدث لعباس زغالي وهو عامل احذية بسيط، أستدعي عباس، في الأيام الاولى من إنقلاب شباط، وبدء التحقيق معه للكشف عن خليته وأسمه الحزبي. لم يكن عباس حزبيا وربما لم يكن صديقا منظَماً، ولم يعرف أن هناك عمل حزبي خلوي وأسماء حزبية. كان يجلس أمام محققيه من الحرس القومي مشدوها لايعرف عما يُسأل وبماذا يجيب. مارسوا التعذيب معه لينتزعوا الإعترافات منه، يحسبونه مسؤولا قياديا في منظمة الحزب، لأنه سار في مقدمة تظاهرة للاطفال والمراهقين ايام ثورة تموز استنكارا للمؤامرات الرجعية على ثورة تموز، وقد توقفت التظاهرة مستنكرة امام مكتبة الكلكاوي ذو التوجهات القومية، ولم تخلُ التظاهرة من هتافات كان يعتبرها البعثيون والقوميون بأنها استفزازية. يسألوه عن إسمه الحزبي، فيجيب: عباس!. يستمر التعذيب ويعاودوا السؤال، ويستنتج من إستمرار وقسوة التعذيب ومعاودة السؤال أن جوابه خاطئ، فيصحح الجواب لأرضائهم: ينادونني زغالي! ويتساءل بتوسل وبراءة طالبا الكف عن تعذيبه. وهكذا تحمل عباس زغالي التعذيب وهو لم يكن حزبيا ولاصديقا نشطا أومنظما، واعتقدْ كان من الأوائل الذين تعرضوا للتعذيب. كان يحدثنا ويضحك كيف كان افراد الحرس القومي الذين حققوا معه اغبياء وتعاملوا معه

مثلما تعاملوا مع بعض الحزبيين القياديين. يقول عباس ساخرا من اسلوبهم الهمجي في التحقيق، كنت خائفا أن أموت تحت التعذيب، وانا لاأعرف شيئا عما يطلبونه مني، ويحسبونني حزبيا صلبا وقائدا، بينما أنا إنسان بسيط.

بعد مايزيد عن الشهرين من بقاؤنا في سجن الحلة نقلنا الى كربلاء فالتقينا بالوالد وبكثير من الاصدقاء. كانت غرفتا الموقف في مركز شرطة كربلاء مزدحمتين بالمعتقلين من الشيوعيين واصدقائهم ولم تعد تتسعا للمزيد. وعلمنا عند وصولنا من الحلة انه تم نقل مجموعة من الموقوفين ممن انتهى التحقيق معهم الى سجن الحلة لتوفير الأماكن لنا. وعرفنا حينها ان قيادة حزب البعث في المدينة قررت ان تستغني عن المركز الثقافي الوحيد في المدينة وهو المكتبة العامة وتحويلها الى مركز للتحقيق والتعذيب حتى الموت، كما حدث للشهيد عبد الأله الرماحي (هلول). وقد حدثنا حينها الزملاء الذين نقلوا الى بغداد لغرض التحقيق معهم، ان في بغداد تم تحويل ليس فقط المكتبات وانما حتى الملاعب الرياضية، وقد مورس ابشع انواع التعذيب مع المناضلين الشيوعيين والديمقراطيين في ملعب الكشافة. وسيبقى هذا السلوك الاجرامي والبربري وصمة عار في تأريخ حزب البعث والقوميين العروبيين الذين حولوا المراكز الثقافية والرياضية الى مقرات للتعذيب والموت، بدل تطويرها أو إنشاء المزيد منها لتكن في خدمة المجتمع وتقدمه الحضاري. وقد استمر حزب البعث على هذا النهج البربري حتى بعد مجيئه للسلطة في عام **1968**، حيث تكشفت للعالم جرائم المقبورعدي بحق الرياضيين واساليب تعذيبهم في المقرات الرياضية.

في المكتبة العامة تم تعذيب الشهيد عبد الأله الرماحي بطريقة همجية بشعة. كان الشهيد عبد الأله طالب طب يدرس في روسيا، وعرف عن الشهيد طيبته وهدوئه وحبه للناس. قدم من موسكو في العطلة الشتوية لزيارة عائلته فأعتقل واستشهد تحت التعذيب في المكتبة العامه بكربلاء. وقد نقل بعض المعتقلين ان الحرس القومي اثناء

تحقيقهم مع عبد الأله طلبوا من المعتقلين بتزويدهم بشفرات حلاقة، وكثيرا ما كان افراد الحرس القومي يستغلون المعتقلين بطلب شفرات او صابون حلاقة واحيانا يطلبون حتى السكائر والكولونيا، ويعتقد البعض وهذا ما أعترف به بتبجح بعض افراد الحرس القومي بأنهم استعملوا الشفرات لتعذيب عبد الأله وذلك لتبضيع جسده ورش الملح على الجروح، كي يدلي بإعترافاته!! لم يتمكن عبد الاله، هذا الشاب الوديع الهاديء الدمث الاخلاق، من تحمل هذا التعذيب البربري واستشهد في نفس الليلة، واخفوا جثمانه الطاهر متمادين في جريمتهم. فالمجد والخلود للشهيد عبد الأله الرماحي والخزي والعار لقتلته من البعثيين والعروبيين.



مجموعة من الزملاء الكربلائيين (في سجن نقرة السلمان) الذين اعتقلوا بعد انقلاب شباط 1963 وحكم عيلهم بخمسة سنوات وهم من اليسار سالم عودة، كاتب المذكرات، وسعد بدكت والجالس محمود الصافي

اثناء وجود المعتقلين في المكتبة العامة يهيأون ويخضعون للتحقيق، حيث يتم استدعاء المعتقل ليلا ويطلب منه بتدوين اعترافاته بتفصيل عن عمله الحزبي واعضاء خليته او

لجنته الحزبية، واذا وجدوا ان المعتقل لا يتجاوب معهم او يحاول اخفاء بعض المعلومات، يؤخذ لممارسة التعذيب معه الى غرفة صغيرة لاتتجاوز مساحتها 2,5 متر مربع تقع بالقرب من المرافق الصحية، حيث تم تجهيزها بوسائل تعذيب من سلاسل لتعليق المعذب او توثيقه. ولما كانت المكتبة العامة تقع في مركز مدينة كربلاء حيث تكثر حركة الناس والمرور بمحاذاتها، وان اي صراخ للمعذبين يمكن للمارة بمحاذاة المكتبة ان يسمعوه وقد يثير استياءً واستنكارا، ومثلما وجد القتلة من حزب البعث أن المكتبة العامة وغيرها من المؤسسات الثقافية والترفيهية يمكن الإستغناء عنها وتحويلها الى مقرات للتعذيب، فأن تفكيرهم الفاشي اسعفهم وأبتدعوا طريقة للتغطية على صراخ وتألم المعذبين وذلك بإطلاق صوت المسجل وغناء ام كلثوم بأعلى صوته من خلال سماعات لتقوية الصوت، متظاهرين وكأنهم في حفلة طرب وسهر على انغام كوكب الشرق، فيختلط صوت ام كلثوم من جهاز التسجيل مع صرخات افراد الحرس القومي الهستيرية والحقودة مع تأوهات وهتافات وصرخات المعذب والخارجة دون ارادته، بينما يجلس بعضهم مخمورا ليتمتع بصوت ام كلثوم. وفي احدى المرات عندما كان افراد الحرس القومي يعذبون عامل البريد (ابراهيم ،للأسف لا أذكر اسمه الكامل)، ثم تركوه مسجى على الارض في شبه غيبوبة ليأخذوا قسطا من الراحة! وليعودوا لتعذيبه بعد ان يستفيق. لكن ابراهيم استفاق قبل ان يعودوا اليه ووجد نفسه في تلك الغرفة المغطاة بالدماء والسلاسل، واحس بالألم الذي تركه التعذيب البشع على جسده، اقدم كما يقول على خطوة انتحارية مع تحدي بطولي للحرس القومي، بأن حمل احدى العصي التي كانت بجانبه لتعذيبه بها وهجم على الحرس محاولا الهرب من المكتبة لكن محاولته بالتأكيد لم تفلح، وانتقموا منه شر انتقام بمضاعفة تعذيبه.

بعد الانتهاء من التعذيب يرمون المعذب علينا فيقوم الاخرون بأسعافه قدر المستطاع. كان المعتقلين الافضل صحة يقومون بمساعدة الكثيرين من المعذبين على الوقوف

والمشي، فالتعذيب البربري المستمر من تعليق وضرب وكي في مختلف انحاء الجسم تكون سببا في عدم قدرة المعذبين على الوقوف والمشي اعتمادا على انفسهم. وفي احدى المرات استدعي احد المعذبين (اعتقد كان الفلاح كاظم ناصر) للتحقيق معه وتعذيبه مجددا، واخبروه اثناء التحقيق انه معاقب لكونه يسير بمساعدة زملائه في الصالة وامام الشباك المطل على الطريق العام كي يثير استياء الناس وهو في هذه الحالة السيئة. المقصود بالصالة هي صالة المطالعة الوحيدة في بناية المكتبة العامة، وتحولت الى صالة لتجميع المعتقلين الذين يتم استدعائهم من مركز شرطة كربلاء لغرض التحقيق، وكانت الصالة كبيرة قياسا لغرف موقف مركز الشرطة، وكونها صالة مطالعة كانت الأنارة الطبيعية فيها جيدة، حيث يطل احد جوانبها على الطريق من خلال شباك كبير بعرض الصالة ويمكن للمارة اذا ماتوقفوا مشاهدة اشباحا داخل الصالة ولا يمكن معرفة الشخوص بسبب التور المعدني الذي يغطي الشباك. كانت تمر ليالينا في المكتبة ثقال مملة ورهيبة ونحن نرى الرفاق والاصدقاء معرضين الى التعذيب وربما للموت لا لشئ سوى لانهم يؤمنون بمبادئ وافكار غير أفكار حزب البعث العروبية، او يرفضون كشف تنظيمات الحزب والاعتراف على رفاقهم. كان الجميع يعيش تحت ضغط نفسي كبير، ماعدا ثلاثة كانوا مرتاحين هناك بسبب ارتياح الحرس القومي لهم لتعاونهم لحد ما بالتحقيق والتأثير على معنويات الآخرين، حتى ان احدهم تطوع لنا بأنه قادر على الخروج لشراء الهريسة لنا للفطور الصباحي، واحيانا كان يحمل رشاشة يستعيرها من الحرس القومي ويستعرضها امامنا!!. كان بعض البعثيين يعاني من نقص ومرض نفسي وحقد دفين ورغبة في تعذيب المعتقلين ولا يرتاحون اذا لم يشاهدوا عملية تعذيب او يمارسوها. ونقل بعض المعتقلين في المكتبة ان كاظم الفرطوسي، وهو معلم قيادي في حزب البعث في كربلاء، نقل عنه زملائه من الحرس القومي، كيف أنه لم يتمكن من النوم في احدى الليالي لانه لم يعذب أحدا تلك الليلة،

فاضطر أن يعود للمكتبه ويستدعي احدا ليشاهد تعذيبه ويصفعه بكفه ليفرغ حقده، بعدها أحسس بالراحة وعاد للبيت ونام مرتاحا !!

استدعي والدي لأكثر من مرة للتحقيق من قبل الحرس القومي، المرة الأولى استدعي لانه جمع تبرعات من بين زملائه المعتقلين لمساعدة بعض المعتقلين من فلاحين وعمال الذين انقطعت عنهم الموارد الاقتصادية. ووجهوا له تهمة جمع هذه التبرعات للحزب الشيوعي!! وانه كلف من الحزب بهذه المهمة!. ولم يتراجعوا من اتهامه والتحقيق معه إلا بعد أن انكشفت لهم تنظيمات الحزب في المدينة وتبين لهم ان والدي لم يكن حزبيا منظما، وان الحزب كان يعتمد عليه كونه وجها اجتماعيا ووطنيا لاغير. وبعد حملات التحقيق والتعذيب التي مارسها الحرس القومي مع الشيوعيين واصدقائهم من المعتقلين لتخييرهم بين الأعتراف وكشف اسرار الحزب او الموت تحت التعذيب مثلما حدث للشهيد عبد الأله الرماحي. كان والدي بحكم تواجده في المكتبة العامة كمركز وحيد للتعذيب، يحتك كثيرا بزملائه المعتقلين من الشيوعيين الحزبيين والاصدقاء ممن تم التحقيق معهم وتعرضوا للتعذيب ويستمع لهم وهم يقصون عليه اساليب التعذيب وطريقة الحوار معهم، وكان الجميع يكن لوالدي الاحترام ويستمعون الى ملاحظاته ونصائحه. وكان يشد من عزائمهم ويدعوهم الى الحفاظ على اسرار الحزب والصمود امام المحققين وعليهم تحمل التعذيب والصبر. لذلك استدعي للتحقيق معه لأن بعضهم وصل به الضعف فأوشى بالوالد. فكان الحرس القومي عندما ينتهوا من تعذيب أحدهم يدفعون به الى صالة المكتبة العامة والتي تحولت الى (قاووش) للنوم والمعيشة اليومية، ويقولون له اذهب الى علي الشبيبي ليعلمك الصمود. وآخر استدعاء للوالد كان للتحقيق معه بحضور محقق، وكان التحقيق معه حول مجموعة مقالات كتبها الوالد ونشرها في اتحاد الشعب وصوت الاحرار و14 تموز، وكانت المقالات تتناول الاحداث السياسية والمؤامرات التي كانت تحاك ضد ثورة 14 تموز.

وقد ركزوا في التحقيق مع الوالد على عبارات تكررت كثيرا في كتاباته من قبيل، ادانة المؤامرات التي تحاك ضد ثورة 14 تموز وادانة المتآمرين والمطالبة بالأقتصاص منهم، وتوقفوا في احدى مقالاته حيث جاءت فيها عبارة (بعض القوميين والبعثيين المتأمرين غير الشرفاء ....) واتهموه بانه يصف البعثيين والقوميين بالخونة وغير الشرفاء، وتمكن الوالد بما هو معروف عنه بلباقته وتمكنه من اللغة العربية بأن يقنعهم أنه لم يعمم ذلك وانما ذكر المستثنى منهم وهؤلاء الخونة وغير الشرفاء موجودين بين كل الاحزاب. وهكذا تخلص منهم خاصة ان التحقيق معه تم بحضور محقق قانوني وكان يعرف الوالد شخصيا .

في المكتبة العامة، مقر التحقيق والتعذيب، كانوا يسمحون بالزيارات والطعام وكانت شقيقاتي يتناوبن في احضار الطعام للوالد في المكتبة، وبالرغم ان المكتبة كانت مركز التعذيب الوحيد في كربلاء إلا أنهم كانوا يسمحون بالزيارات واحضار الطعام اكثر مما هو في مركز الشرطة. كان الوالد يعاني من الضغط النفسي بسبب تواجده في مركز التعذيب وهو يرى كيف يعذب الشباب وكيف تحول هذا المركز الحضاري الى مركز للهمجيه والسادية البعثية والتعذيب للشباب، فيفضفض عن همومه ومعاناته بكتابة الشعر على ورق رقيق يحصل عليه من علب السكائر، وقد كتب احدى قصائده يصف فيها حال المكتبه ونزلائها من المعتقلين يقول فيها:

قولي لامك انني اقضي الليالي في عذاب

ويحوطني حرس غلاظ في بنادقهم حراب

....

واذا سجى الليل الثقيل كأنه يوم الحساب

هوت العصي على جلود الابرياء من الشباب

فيعلقون ويجردون من الثياب

والسوط قد خلف اليراع وعنه بالتعبير ناب

....

نيرون عاد بك الزمان لكي تشيع بنا الخراب

والحق اكبر من أن يداس وان يمرغ بالتراب

هذه بعض الابيات ولسوء الذاكرة نسيت معظم أبياتها وارجو ان يكون الوالد قد دونها في مخطوطاته الشعرية .

في موقف مركز شرطة كربلاء والذي لاتتجاوز مساحته 30م^2 من ضمنها 1.2م^2 يحتله حوض وحنفية ماء للإغتسال وحولنا الحوض الى حمام نستحم فيه صيفا لنتبرد بالماء وتنظيف اجسادنا، وقد استحممنا فيه حتى في الشتاء، وكان البعض يتبول في الحوض اضطرارا، وخاصة المصابين بالسكر. كان المتحمم يسحب الستارة التي تحيط بالحوض ليتحمم. لكن الجو العام في الموقف والضغط النفسي الذي يعاني منه معظمنا، جعل الكثير منا يبحث عن النكتة والمزاح حتى وان كانت على حساب زميل آخر، وكان الكل يتقبل ذلك. كان من بين المعتقلين الشيخ صالح هادي، وهو بصير يضع على رأسه الكشيده وهو من عائلة دينية، انتمى للحزب الشيوعي وتعرض للاعتقال في العهد القاسمي وسبق وكنت معتقلا معه أيام الحكم القاسمي، لحيازته على صحيفة طريق الشعب. وكان بعض الزملاء يعجبهم التمادي معه بالمزاح عندما يريد الإستحمام. فما أن يدخل الى وسط الحوض ويسحب الستائر ويبدأ بغسل جسمه والاستحمام، يقوم البعض مازحا معه بكشف الستارة والمزاح معه وهو في وسط الحوض يستنجد بالاخرين لنهي الممازحين، فيغتاض الشيخ ويصرخ ويعاتب ويترجى، ويتكرر هذا المشهد كلما استحم الشيخ، هذا لايعني أن هذا المزاح لايحدث مع الاخرين، ولكن مع

الشيخ صالح كانت له نكهة خاصة. لجأ صالح لوالدي لينقذه من هذا المزاح، فأقترح عليه والدي بأن يبادر للأستحمام دون أن يسحب الستارة وأن يتركهم يمزحون معه بكل حرية وان لا يفقد هدوئه وصبره الى أن يملّوا ويتعبوا، وسوف يتركون عادة المزاح معه لأنها تفقد نكهتها وهي اثارة غضبه. استحسن الشيخ الفكرة ونهض ليختبرها، وسأل هل يوجد من يريد الاستفادة من الحوض، الكل أجاب لا تفضل شيخ، فهم ينتظرون فرصتهم. دخل صالح للحوض دون أن يسحب الستارة وأخذ يخلع ملابسه، فتعالت الاصوات ممزوجة بالضحك تذكره بالستارة، ولم يأبه لملاحظاتهم وطلب منهم مازحا أن يتقربوا منه لمداعبته كما يفعلوا في كل مرة. تفاجأ الجميع وتسابق البعض ليتحقق من جدية الشيخ، وبقي صالح هادئا، وما أن عجزوا عن إثارته حتى عاد كل واحد لفراشه. بعد هذا العرض أستحم صالح بهدوء وهكذا كان في المرات القادمه بحيث كان يستحم مطمئنا بوجود الستارة أو بدونها. كان الشيخ صالح يحاول ان يضفي جو من الضحك والبهجة بين الزملاء، فكلما اراد حلاقة لحيته يستعير مرآة، فيثير استغراب زملائه وتساؤلهم عن حاجته للمرآة وهو البصير! ويحاول تقليد الاخرين في حركاتهم امام المرآة عند الحلاقة مدعيا انها تساعده في تحديد شاربه ولحيته !!

كانت ظروفنا الحياتية في الموقف قاسية، المعاملة كانت سيئة وللأسف أن المسؤولين في مركز شرطة وأمن كربلاء يتمادون في ضغوطهم علينا إرضاء للقيادات البعثية.

كانوا يسمحون لنا بالخروج الى المرافق الصحية مرتين باليوم، صباحا قبل الدوام الرسمي ومساءً بعد انتهاء الدوام. كانت المرافق معزولة عن أبنية مركز الشرطة وتقع بمحاذات السياج الجانبي لمركز الشرطة اي في الساحة الخارجية، ويقتضي الوصول لها السير عبر ممرات المركز وحتى الساحة مسافة (100 – 150) م. وكان خروجنا للمرافق الصحية يعتبر فرصة لنا للقاء عوائلنا ومعارفنا والتحدث معهم وهم ينتظرون خارج مركز الشرطة خلف السياج الخارجي، والذي يبعد عنا مسافة مئة متر تقريبا.

كما كنا نعتبر الخروج الى المرافق فسحة لابد منها فالمسافة التي تفصل بين الموقف والمرافق ذهابا وايابا تعتبر بالنسبة لنا فسحة جيدة، إضافة الى خروجنا للهواء الطلق والتمتع بمراقبة حركة الشارع والناس من خلال السياج، و حتى المارة في الطريق المحاذي للمركز يتوقفون ويحيوننا من بعد عبر السياج الحديدي، وهو سياج من قضبان حديدية لايحجب الرؤية. كان الشرطة من الحرس يضغطون علينا للإسراع بينما كنا نتقصد تأخير انفسنا حتى داخل المرافق كي نعطي فسحة مناسبة لتحدث زملاؤنا مع عوائلهم التي تقف خلف السياج، لكن الشرطة المرافقين لنا كانوا يطرقون الأبواب علينا بإستمرار وهم يطالبوننا بالإسراع والخروج، وقد تعودنا على تصرفاتهم هذه ولم نأبه لذلك. وفي أحد الأيام سأل والدي العريف كاظم كريطي وكان دائما فضا معنا، لماذا يتصرف معنا بهذه الفضاضة فأجاب كاظم: استاذ أنا إسمي مكتوب بالتأريخ، ألم تسمع بيَ؟!! فرد عليه الوالد ساخرا، الشمر اللعين ايضا كتب أسمه بالتأريخ. وكان هذا الشرطي من الغباء ولم يفهم معنى ما قاله الوالد فلم ينزعج من الوالد بل تفاخر !

(8)

أعتقال اخي همام

أثناء وجودي في مركز شرطة كربلاء، قام ألحرس ألقومي بتجميع كل ألطلبه ألمعتقلين في ألقاعه ألاكبر. ألقصد من ذلك ألتهيأة لأول انتخابات طلابية في زمن حكومة البعث الدموية والتي وصلت للسلطة بعد انقلاب شباط 1963. فقد كان ألصراع على أشده بين ألبعثيين والقوميين للسيطرة على قيادة الاتحاد الوطني. لم يكن البعثيون واثقون من فوزهم في الانتخابات، لذلك قرروا إشراكنا في عملية ألتصويت لكسب اصواتنا. ولتمرير مخططهم هذا، قام بهذه المهمة بعض ألضعفاء من بين ألمعتقلين وبتشجيع من ألمسؤولين ألبعثيين بالدعاية لمرشحي حزب البعث. وكان هؤلاء الضعفاء من الذين كانوا مقيمين بصورة شبه دائمة في المكتبة العامة، حيث اوكل لهم البعثيون مهمة التأثير السلبي على العناصر التي ترفض كشف اسرار الحزب والتعاون مع الحرس القومي، وقد احضرهم الحرس القومي موقتا الى موقف مركز شرطة كربلاء ليلعبوا دوراً دعائيا للتصويت لمرشحي حزب البعث، مبررين ذلك بان البعثيين أقل دموية من القوميين ولابد من مساعدة ألعناصر ألبعثية للفوز!. كان الوضع حرجا فاي مناقشة لهذا الراي يعني استدعائك للتحقيق وربما للتعذيب، كما أن أصحاب هذا الرأي كانوا من الذين ضعفوا وابدوا تعاونا مع الحرس القومي، حتى أن أحدهم كان يحمل رشاشة يستعيرها من ألحرس ألقومي ويستعرضها أمامنا في مقر ألتعذيب في ألمكتبة. لذلك قررت وبالتفاهم مع بعض ألطلبه أن لانصوت ونقاطع الانتخابات ونرمي أوراق

ألاقتراع بيضاء. وبالنسبة لأفضلية البعثيين على القوميين بإعتبارهم اقل دموية لم يكن سوى دعاية بعثية، فنحن الذين عشنا في معتقلات انقلابي شباط نعرف جيدا ان 95% من ممارسي التعذيب كانوا من البعثيين وبإمرة قيادات بعثية. وبالمناسبة فان الكثيرين من قادة حزب البعث في تلك الفترة الدموية عندما راجعوا سياساتهم الدموية واكتشفوا بعد سنوات هول الجرائم بحق الشرفاء من ابناء شعبنا، حاولوا في كل دراساتهم وانتقاداتهم للفترة الدموية ان يحملوا القوميين والراحلين من رفاقهم مسؤولية تلك الجرائم، ومثل هذا الطرح جاء بمذكرات طالب شبيب والفكيكي وحازم جواد ودراسات الدكتور الراحل علي سعيد وغيرهم، بينما جميع من عاش فترة الحكم تلك وعاش التحقيق والتعذيب يعرف جيدا ان المشرفين على كل تلك العمليات هم البعثيون وبعلم وتوجيه قياداتهم الحزبية، كما انه لم يتخذ اي واحد من هؤلاء موقفا حازما وجديا من تلك الانتهاكات والجرائم في وقتها بالرغم من انهم قادة في القيادة القطرية لحزب البعث. ومع كل هذا تبقى دراساتهم وانتقاداتهم، مع كل ماجاء فيها من تبريرات، واتهامات متبادلة لتحميل الاخرين من رفاقهم مسؤلية الجرائم وتبرأة الذات، دليل لايقبل الشك على إدانة لاتقبل الجدل على دموية حزب البعث ورفاقهم من قوميين حكموا العراق في تلك الفترة المظلمة.

في اليوم المقرر للانتخابات جاء بعض أفراد الحرس القومي من ألطلبة البعثيين و القوميين، وأتذكر منهم عبد الحسين الكيشوان وهو احد الطلبة البعثيين، وطلبوا منا ألتصويت بعد أن جمعونا في غرفة مدير ألشرطة او معاونه، وتحدثوا عن ديمقراطيتهم المزعومة وطلبوا منا ألتصويت بكل حرية!. قررت ان اكون اول المبادرين في رمي ورقة التصويت في الصندوق بيضاء، وتقصدت ان يكون ذلك علنيا وامام انظار الجميع تحديا وكي اعطي دفعا لزملائي في حذوي وعدم التراجع بما اتفقنا عليه. وعندما

سألني عبد الحسين الكيشوان متظاهرا باللابالية والمزاح وهو زميلي في الاعدادية ، وكان احد أعضاء اللجنة ألمشرفة على ألأنتخابات، عن سبب إمتناعي عن ألتصويت قلت له: هل يمكن للسجين ان يصَوت لمن يزج به وبعائلته في ألمعتقل!! كان ألأحرى بكم ان تتبنوا مسألة اطلاق سراحنا لمواصلة دراستنا قبل ان تطلبوا منا المشاركة بالانتخابات، ثم انكم قلتم يمكننا ألتصويت بكل حرية وانا قررت موقفي.

اصبحنا نحن الثلاثة، انا ووالدي واخي كفاح، سوية معتقلين في مركز شرطة كربلاء واحيانا يتم تفريقنا بنقل احدنا الى المكتبة العامة. اما اخبار اخي همام فكانت مقطوعة عنا لأكثر من شهرين وقلقنا عليه كثيرا، فقد كان عضوا في أللجنة القيادية لمنظمة الحزب الشيوعي في كلية التربية وكان وجها معروفا ونشطا، وبرز اكثر خلال نشاط أتحاد ألطلبه ألعام سوية مع منظمة الحزب الشيوعي و القوى الديمقراطية للعمل من أجل إحباط ألاضراب ألطلابي ألذي قاده حزب ألبعث بالتعاون مع ألقوى ألقومية والاسلامية والرجعية، وكان هذا الاضراب تمهيدا لانقلاب شباط الدموي والذي باركته الدوائر الاستعماريه. لم تكن للوالده أية وسيله للبحث عن أخي، خاصة بعد ان شاهدت وسمعت بحملات الاعتقالات والتعذيب والاغتصاب. فضّلتْ الوالده السكوت وعدم البحث عنه، خوفا من ان تصطدم بمفاجئة وفاجعة تسبب مأساة للعائله، في الوقت كانت العائله بحاجه الى التماسك. كانت تقول لنا كلما سألناها هل من اخبار عن أخي؟ تجيب ان همام عايش وهو بخير وهذه شدة ولابد ان تزول، وعندما تظهرعلامات ألقلق على أي واحد منا كانت تبادر وتقول وبلهجتها الشعبية ان شعور ألام لايخطأ وتعقب لقد طلبت من أبي ألفضل العباس أن يحرسه ويحميه. هكذا كانت تهدؤنا وتحاول ان تبدد قلقنا كلما سألناها عنه أثناء الزيارات.



أخي همام طيب الله ثراه عندما كان طالبا في
كلية التربية في بغداد 1962/8/19

كانت والدتي يرحمها ألله صبورة ومكافحة وتعاطفت مع والدي وساندته ووقفت ألى جانبه وقاسمته شظف العيش بحلوه ومره ولم تتذمر. هكذا عاشت أم كفاح مكافحة من أجل أن يبق زوجها وأبناؤها صامدين مرفوعي ألرأس وليواصلوا مسيرتهم النضالية بعزم. رغم بساطتها وعدم إهتمامها بالسياسة كونها امية، كانت ذات قدرة عالية في قراءة ألمستقبل ألسياسي. كانت دائما تحذرنا من ألوضع أيام حكم الراحل عبد ألكريم قاسم، وتقول لنا: سوف ينقلب او يسقط وتكون ألنتائج مأساوية على الشعب. ورغم تحذيراتها التي تحققت في إنقلاب 8 شباط الدموي، لم تعاتبنا او تحملنا مسؤولية ألسير بهذا الطريق الوعر، فتشد من عزائمنا وتدبر امور البيت ألمعاشية وترعى بناتها وتقابلنا كلما سنحت لها ألفرصة مبتسمة قوية صابرة. وعندما نعتذر منها لما سببناه من متاعب لها تحدثنا بفخر كيف وقفت ألى جانب والدي أثناء فصله من ألتعليم سنة 1946/1945 بسبب نشاطه في الحزب الشيوعي وقيادته لمحلية النجف، وكيف كانت تجرش ألماش بالطاحونة اليدوية (الرحة) وهي حامل في أشهرها ألأخيرة، وتقضي ألنهار والليل لتهيأة مستلزمات محل ألعطارة الذي فتحه والدي لإعالة ألعائلة. وتقول

رغم مابذلته من جهد مجاني لأقلل من تكاليف ألبضاعة ولأرفع من أرباح المحل، فقد خسر محل الوالد ولم يتمكن من تسديد مصاريف المحل، بسبب طيبة ألوالد وعدم تصرفه بعقلية ألتاجر، وكل مبيعاته لرفاقه دينا ومعظمهم أسوء حالا منا.

اطلق الحرس القومي سراح مجموعة من المعتقلين من الذين انتهى معهم التحقيق ولم يجدوا فيهم اية خطورة. وكان من بين هؤلاء الفلاح (حسين .....). اعتقل حسين مع مجموعة الفلاح مهدي النشمي المسلحة التي جاءت يوم الانقلاب تنفيذا لتوجيهات المنظمة الحزبية في كربلاء. واثناء التحقيق معه من قبل الحرس القومي لمعرفة حقيقة نواياهم وخطتهم ومن الذي وجههم، ابدى هذا الفلاح البسيط ذكاءً وبرود اعصاب مفرط امام عنجهية وبربرية الحرس القومي. وكلما جلس امام محققيه من الحرس القومي تحدث معهم بكلام فارغ وغير مترابط لم يفهموا منه شيئا!! ويعذبوه ويطالبوه بعد كل جولة تعذيب ان يقص عليهم بالتفصيل، من الذي كلفهم بالمهمة، وماهي تفاصيل مهمتهم، ومن هم بقية رفاقهم وغيرها من اسئلة. وكان حسين يجلس امامهم متمثلا بالفلاح الساذج الذي لايفقه شيئا، وفي كل مرة يتحدث فيها مجيبا على اسئلتهم بإسلوب اللف والدوران بحيث لايتعدى كلامه سوى بضعة كلمات مكررة وخالية من اي معنى، من قبيل: (عيوني اجونه الجماعة، عيوني ونزلنا للمدينة، عيوني وركبنا السيارة، عيوني جمعونه الجماعة، عيوني ومشت السيارة، عيوني و.....و.....و......). وعندما يسألوه من هم الجماعة؟ يجيب الفلاحين! ومن هم الفلاحين؟ بجيب اهل المنطقة! هل تعرفهم؟ نعم! من هم؟ هم الجماعة، أخبرتكم عنهم منذ قليل!! وهكذا كان التحقيق من قبل الحرس القومي مع هذا الفلاح البسيط متعبا ويدور في دائرة مفرغة، حتى قرروا في النهاية اطلاق سراحه. لكن حسين اعتقل مجددا بعد شهرين ومورس معه التعذيب بسبب انتمائه لتنظيمات الحزب التي تم تشكيلها مجددا، اي انتمائه للتنظيم

الجديد للحزب. حيث كنا نطلق مصطلح التنظيم الجديد، على التنظيمات الحزبية التي بدأت تنهض للقيام بأستعادة نشاط الحزب.

في يوم من ايام ايار تفاجأنا بزيارة ألوالدة، وكنا حينها في المكتبة العامة. كان وجهها بشرا باسما، واثار الهموم التي تركتها أحداث ألانقلاب على محياها اختفت، حظنتني وقبلتني وهي تهمس بأذني أخوك همام بخير ويخصكم بالسلام، وكانت دموع ألفرح تسيل على وجنتيها!. بعد ان هدأناها انا وابي محاولين أن نفهم عن مصدر ألخبر ومصداقيته. حدقت في وجوهنا وهي تمسح دموعها قائلة الم اقل لكم اني سلمت همام أمانة بيد أبا الفضل العباس لينقذه من هذه ألأزمة. ثم أخبرتنا كيف أرسل عليها جارنا ألبقال حميد بن حلوة للدكان وألتقت بدكانه بشاب اخبرها انه قادم من همام وهو بخير ويطلب مرافقته للقاء به. قررت الوالده زيارته بحذر لان الحرس القومي في كربلاء سألوا عنه أكثر من مرة وأجابتهم الوالدة بان أخباره مقطوعة وربما يكون قد استشهد اثناء ألمقاومة في بغداد وهكذا كان الكل حتى ألاطفال يجيبون بهذا ألجواب كلما سألهم أحد ايا كان، هكذا تجنبنا مضايقات واستفسارت الحرس القومي واكتفوا باعتقالنا.

نجح اخي همام من محاولة القبض عليه في شقته ليلة اليوم الثاني من الانقلاب. عندما سمع طرقا على ألباب وكان معه في البيت رفيقه الشهيد فاضل حسن وتوت (1)، وسمعا ضجيج وتهديدات ألحرس ألقومي، قررا ألهرب عبر ألسطوح متجاوزين عدة بيوت كل واحد باتجاه. كان اخي بالبجامة وأضطر أن يبق طول تلك أالليلة ألباردة حد ألانجماد من ليالي شباط فوق أحد السطوح بعيدا عن شقته. في الصباح سمع أهل البيت يتحدثون عن المأساة التي حلت بالعراق وبشاعة جرائم الانقلابيين، فاطمأن اليهم وقرر كشف نفسه أمامهم وطلب مساعدتهم. أعطوه ملابس ومبلغا وزنبيل لكي يتظاهر انه

ذاهب للتسوق. قرر أن يخاطر ويذهب مشيا من باب الشرقي الى ألكاظمية ليلتحق بالمدرسة ألابتدائية التي يعمل فيها. كان مدير المدرسه ومعظم المدرسين من العناصر الديمقراطيه ويمكن الاطمئنان اليهم. كان ظنه في محله فقد سهل له معلم الرياضة إمكانية ألمبيت في غرفة الرياضة، مستفيدا من الملابس الرياضيه كفراش وغطاء. ثم ساعدوه لايصال أخباره لنا، طالبا من الوالده ان تبعث له خالتي ام هناء طيب الله ثراها لتعيش معه بعد ان تستأجر بيتا قريبا من المدرسه. هكذا انتقل من السكن المقلق (المدرسة) والمثير للشبهات الى شقة صغيرة بأثاث بسيط ليعيش فيها مع خالته. قررنا عدم الاكثار من زيارته وان تقتصر الزيارات على النساء فقط. وتمكنت خطيبته سهيلة محمد نصيب والتي أصبحت زوجته فيما بعد من زيارته في شقته، وحدثته كيف أن ألطلبة والحرس القومي في ألكلية بعثوا عليها للتحقيق لمعرفة أخباره، وانها تمكنت من التهرب منهم بعد ان أخبرتهم بأن اخوتها منتمون لحزب البعث في ألبصرة وهي لاتعرف شيئا عنه وعلاقتها به لاتتعدى حدود ألزمالة.

في يوم من ايام حزيران 1963 اطلق سراح عدد غير قليل من المعتقلين وكنا نحن الثلاثة من ضمن المفرج عنهم بكفالة. خرجنا على ان نأتي بالكفيل خلال ثلاثة أيام. وبدأت رحلة البحث عن كفيل فكان الخوف المسيطر على الناس سببا في عدم تمكن الوالد من العثور على كفيل كان شرط ان يكون الكفيل عضوا في غرفة التجارة وان يكون متمكنا من كفالة ثلاثة اشخاص، سببا في صعوبة إيجاد مثل هذا الكفيل. وبعد ان عجز الوالد خلال يومين من ايجاد من يكفلنا، حتى أن بعض الاصدقاء للأسف اعتذر عن كفالتنا بحجج واهية وغير مقبولة، حينها لجأ والدي الى رئيس غرفة تجارة كربلاء ألسيد هاشم نصر الله طيب الله ثراه، وكان انسانا شهما، فاتصل باحد التجار وطلب منه أن يكفلنا وهكذا اصبحنا احرارا الى ان تم اشعارنا بيوم محاكمتنا في بداية حكم عبد السلام عارف بدعوى واحدة.

اما بالنسبة لاخي همام فقد بقي شبه متخفي، حيث انقطع نهائياعن الدوام ولم يواصل دراسته الجامعية في كلية التربية، بينما استمر على ممارسة عمله كمعلم في المدرسة. وبعد حركة الشهيد حسن سريع القي القبض عليه في مدينة الكاظمية، ضمن الحملة التي شنها حكام شباط والتي شملت الكثيرين. كان الحرس القومي لايعرفون عن اخي سوى انه معلم ابتدائية ولا تتوفر لديهم معلومات عن نشاطه الحزبي في كلية التربية، وقد تدخل مدير مدرسته ألجديد ألقومي الميول لصالحه، بعد ان كسب اخي صداقته وثقته، وساعده المدير كثيرا لتجنب ممارسات التعذيب والتحقيق الفض معه من قبل الحرس القومي. وتعرف والدي على مدير مدرسة أخي، ولاحظ دماثة خلقه وثقافته وتفكيره السياسي فكان يختلف كثيرا عن اقرانه من قوميين وبعثيين، ووجده انسانا طيبا لايفكر بأذية احد حتى وأن أختلف معه سياسيا، حتى كسب ثقة الوالد، وهذه الثقة شجعت والدي على كتابة رسالة لأخي يشد من عزيمته ومعنوياته ويحثه على الصمود، وطلب من المدير ان يوصل الرسالة لأخي، وهو متيقن ان الرسالة ستصل من دون رقابة لثقة الحرس ألقومي بالمدير. لكن الحرس لم يمرر الرسالة دون الاطلاع عليها، مما سببت لأخي متاعب من تحقيق وتعذيب لتفسير ماورد بالرسالة من معنى وما هو قصد الوالد بالصمود والموقف الشجاع. تمكن اخي من اقناع الحرس ان القصد من كل ذلك ان ابق متماسك مادمت بريء وغير مذنب وساعده في ذلك تدخل مديره حيث أكد لهم حسن نية الوالد كونه سلم الرسالة مفتوحة للإطلاع عليها. عرف عن أخي الراحل همام دماثة اخلاقه، وحبه للنكتة، وقدرته على بناء علاقات طيبة وواسعة حتى مع من يختلف معهم، كان اجتماعيا من الدرجة ألاولى. وتمكن خلال وجوده في مقر الحرس القومي من عقد علاقات صداقة مع بعض المتنفذين في المركز وقد ساعده على ذلك مديره وبعض الهدايا التي قدمها لبعض افراد الحرس القومي الى اقناع المسؤولين

باطلاق سراحه بعد اقل من شهرين من الاعتقال.

في يوم من أيام اب وبعد زيارة الوالد لأخي همام في بغداد وكنا في انتظاره مساءً حيث اخبرنا كعادته بموعد عودته، حيث اعتاد ان يكون في البيت قبل الثامنة مساءً. ساد الوجوم على الكبار من في البيت لتأخره وقد تجاوزت الساعة العاشرة مساءً. الوالدة ونحن كنا في حيرة، من نسأل عن سبب تاخر ألوالد، فأخي مازال معتقلا، ولا يوجد احد من معارفنا في بغداد يمكن الاتصال به تلفونيا للاستفسار عن والدي، فربما اضطر للتأخر لزيارة معارفه ولو ان هذا الاحتمال ضعيف جدا لأنه يعرف ان تأخره يسبب لنا قلقا. لم تدم حيرتنا طويلا فقد دخل علينا ألوالد لكنه فاجأنا بمنظره، فهو ألذي يعتني بنفسه وملابسه، بدى وكأنه قادم من شجار مع عصابة من السراق، اثار لكمات على وجهه تركت ورمها على تقاطيع وجهه وبقع الدم صبغت قميصه وكانت ازراره مقطعة وبان صدره، وحتى الفانيلة كان عليها بقع الدم. أسئلتنا لم تعطه وقتا للإستراحة، جلس قبل ان يغير ملابسه على خلاف عادته وطلب منا ان نهدء وان نتركه ليستريح. بعد ان شرب كأساً من ألماء حدثنا بما جرى له بمرارة والم. اثناء عودته من بغداد بسيارة اجرة 18 راكب كان يجلس بجانبه رجل كهل، لم يسبق لوالدي ان إلتقاه سابقاً. الرجل كان يحاول ألحديث مع والدي الذي كان حذرا من التحدث مع شخص لايعرفه في السيارة وفي ظروف يُحكم فيها ألعراق من قبل قتلة واوباش. كلما مرت بسيارتهم سيارة تحمل نعشاً، التفت الرجل لوالدي قائلا: يقولون قضينا على حركة ألبرزاني، وها انت ترى نعوش شبابنا ألجنود قادمة من الشمال، انهم يكذبون. كان والدي كل الوقت صامتاً، ويحاول أحياناً ان يضغط بقدمه على قدم الرجل ليوقفه عن الإستمرار بهذا ألحديث الذي قد يسبب له متاعب ولكن دون جدوى. عند وصول ألسيارة الى نقطة ألتفتيش في مدينة المسيب نزل أحد ألركاب من مؤخرة السيارة وتحدث بصوت مسموع

مع ألحرس القومي ومشيراً على ألرجل انه كان يشتم الثورة ويتحدث الى جاره مشيرا على والدي، وأضافة ولكن هذا الجار اكثر خطورة منه!!! تدخل السائق وبعض الرجال من الركاب مدافعين عن والدي كونه لم ينبس بكلمة واحدة طول الطريق، لم تجد تدخلاتهم نفعاً، واحتجز والدي والرجل ونقلوا الى مقر ألحرس ألقومي في ألمسيب. في ألطريق عاتب والدي الرجل، لماذا لم يحفظ لسانه فجلب لهم البلوى، فردَّ على والدي بوقاحة وجبن وانتهازية، المشكلة ليست فيما قلت وانما هم يرون انك ألخطر ولست أنا!! في مقر ألحرس ألقومي انهالوا بعدة لكمات على الرجل ثم اطلقوا سراحه، ابقوا الوالد للتحقيق معه و تفسير شهادة الراكب ألمُخبر بقوله ان هذا أخطر. مارسوا ألتحقيق معه بالضرب واللكمات والشتم طالبين منه ألأعتراف وإلا ستكون نهايته.

ماكان من الوالد إلا ان يطلب منهم ألإتصال بمقر الحرس القومي في كربلاء ويسألوا عنه، فهو لم ينتم لحزب وقد ثبت ذلك للحرس القومي حتى أنهم اطلقوا سراحه، معتقدا ان هذا سينقذه من هذا ألمأزق. اتصلوا بكربلاء واجابهم احد افراد الحرس القومي الأغبياء (للأسف نسيت اسمه واتذكر أنه الأعور الوحيد بين افراد الحرس القومي): صحيح اطلقنا سراحه لكنه خطر لأنه الوحيد لم يعترف!! حينها زادت قساوتهم وتكاثر المتحمسين بممارسة ألإعتداء والضرب، أطفئوا النور ولم يعد يرى والدي وجوههم ولا يدري ماعددهم، والضربات والرفسات والسباب لم يترك له مجالاً لتوضيح ألإلتباس.

بعد أن انهكهم ضرب الوالد اشعلوا الضياء، وإذا بأحدهم يتسائل وهو يفرك يده متألما، ماهي جريمة ألرجل؟!! ترجاهم ألوالد ان يكرروا ألإتصال بمسؤلي ألحرس ألقومي أمثال، آمر ألحرس ألقومي عبد ألواحد شمس ألدين، صباح ضوي او كاظم ألفرطوسي، فأجابه أحدهم لاحاجة لنا بالإتصال فقد اكتفينا وسوف نتركك تذهب للبيت، وفعلاً تركوه!!

(1) فاضل حسن وتوت، خريج كلية التربية وعضو محلية الحزب الشيوعي في الحلة ومسؤول العلاقات الجبهوية قبل ان يعتقل اواخر عام 1978. ابلغت عائلته عام 1983 بقرار تنفيذ حكم الاعدام فيه من دون ان تتسلم جثمانه الطاهر.

(9)

المحاكمة

تخرج اخي كفاح قبل انقلاب شباط بسنة من كلية التربية قسم الكيمياء بدرجة امتياز، ولتفوقه حصل على منحة دراسية للولايات المتحدة الامريكية. وفضل تأجيل منحته لمدة سنة ليجري مراسيم اجراءات عقد زواجه ومن ثم الزواج، بينما كان رأي الولد ان لا يفوت مثل هذه الفرصة الثمينة ويؤجل مشروع زواجه. وبعد اطلاق سراحه معنا ابلغ بكتاب رسمي بإلغاء منحته لأسباب سياسية! ولم يتمكن من العودة للتدريس وبقي قرار سحب اليد ساري المفعول بحقه وحق الوالد، حتى تم فصلهما من الخدمة بعد تقديمنا للمحكمة في المجلس العرفي الاول. لم تكن منحة أخي كفاح المنحة الوحيدة التي تم الغاؤها في العراق، فقد الغيت من قبل الانقلابيين مئات المنح والزملات والبعثات والتي كان يتمتع بها الطلبة من حملة الفكر الوطني الديمقراطي المعارض لنظام انقلاب شباط الدموي، وذلك لممارسة الضغط على الطلبة ومساومتهم على المهادنة. وقدمت حينها الدول الاشتراكية السابقة مساعداتها للطلبة الذين حرموا من امكانية اكمال دراساتهم بسبب الغاء منحهم الحكومية، وتم استيعاب الجميع موزعين على ألدول الاشتراكية.

الظروف الصعبة التي عاشتها العائلة من أعتقال وسحب يد والدي واخي كفاح سبب لنا ضائقة مالية كبيرة سببت لنا مصاعب في تدبير معيشتنا اليومية ومتطلبات الحياة، اضافة لما عانيناه من اعتقال وتخفي اخي همام وحرصنا على عدم انكشاف سره كل تلك الظروف تركت اثارها السلبية في تلك السنة على إستعدادي لإنجاز امتحاناتي

النهائية للصف الخامس العلمي، والحقيقة انني اقترفت خطأ ولم احاول ألأستفادة من الوقت بعد الافراج عني في حزيران والتحضير للامتحانات في الدور الثاني، متخوفا من ضيق الوقت المتبقي للإمتحانات (فقط 2,5 شهر) أوفشلي في امكانية حصولي على معدل جيد، يساعدني على القبول في الجامعة حسب طموحي، بسبب انقطاعي عن الدراسة طول فترة الأعتقال. لذلك قررت ان اعيد السنة الدراسية وبدأت العام الدراسي 1964/1963 في الصف الخامس العلمي مع طلبة الدورة التي تلي دورتي.

بعد اقل من شهرين من انقلاب عبد السلام عارف على شركائه من بعثيين في جرائم شباط الدموي تم تبليغنا بموعد محاكمتنا امام المجلس العرفي الاول في 1964/01/21. كان كل الوطنيين الشرفاء من ابناء الشعب ينتظر ان يقوم الانقلابيون الجدد برئاسة عبد السلام عارف باطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين الذين زج بهم نظام شباط الدموي في السجون، والغاء جميع القضايا بحقهم، وتقديم القتلة الذين مارسوا التعذيب والاعتداء على النساء والاطفال الى المحاكم وليس محاكمة الضحايا، على ألأقل لتبرير نواياهم ودوافعهم التي اعلنوها عن انقلابهم بأنهم جاءوا لينقذوا الشعب من الممارسات الاجرامية للحرس القومي وقياداته البعثية. لكن الانقلابيون الجدد واصلوا اضطهادهم للوطنين الشرفاء من شيوعيين وديمقراطيين واستمرت السجون تستقبل الاف منهم وصدرت عشرات الاحكام بالاعدام وتم تنفيذ الكثير منها. ولم تتورع حكومة عبد السلام وشقيقه عبد الرحمن من بعده من اصدار الاحكام القاسية حتى بحق النساء من المناضلات الشيوعيات، متجاوزين بذلك على ادعاءاتهم المنافقة بالعروبة والاسلام والقيم والاعراف السائدة، وإلا كيف يسمحون لمحاكمات صورية غير عادلة بأصدار حكمها على عشرات المناضلات واخص بالذكر المناضلة نرجس الصفار، بعد ان قتلوا ابنها الشهيد فاضل تحت التعذيب وامام اعينها، وعذبوا امامها

حتى الموت زوجها الشهيد الخالد جمال الحيدري، وعذبوها حتى سببوا لها إعاقة جسدية منعتها حتى من الوقوف امام المحكمة، وهذا ما أشارت اليه في جلسة المحاكمة عندما سألها رئيس المحكمة ماهو رأيك (بثورة 8 شباط)!! فأجابت رئيس المحكمة بشجاعة: ان رأي هو رأي كل امرأة عانت من الانقلابيين وفقدت زوجها وابنها بالتعذيب اضافة لتعذيبي حتى اعاقتي في ظل حكومة انقلاب شباط!! واصدر رئيس المجلس حكما عليها بسبع سنوات رأفتا بحالها، فأين هو الاسلام والعروبة التي يتبجحون بها من هذه الممارسات!!

كانت المجالس العرفية، الأول والثاني، سيئة الصيت منذ تأسيسها، فقد ساهمت هذه المجالس في زج الاف الوطنيين في السجون بمحاكمات صورية مشابهة لمحاكمات النعساني ايام العهد الملكي وحتى اسوء منها. وتحضرني قصة فلاح كان معتقل معي في كربلاء ايام حكم الشهيد عبد الكريم قاسم. وكما اذكر كان اسمه عبيد، حكم على عبيد بالسجن 3 سنوات بجريمة قتل زوجته الحامل وامها وإصابة رجل بجروح غسلا للعار. حيث وجد زوجته بالسرير مع ألرجل وكانت الأم تقوم بدور الحارس لها. واثناء وجوده في الموقف تعرف على المعتقلين الشيوعيين وارتبط بهم بعلاقات ودية وكن لهم الاحترام واعجب بطروحاتهم وأخلاقهم وبساطة حياتهم، وتعلم على ايديهم القراءة والكتابة وساعدوه في ايجاد محامية ذات توجهات تقدمية للدفاع عنه مجانا. ودائما يتذكر محاميته بإعجاب كيف وقفت امام المحكمة، وهي ألمرأة، تدافع عنه وتلقي كلمة الدفاع مرتجلة، وكان الحاكم يصغي لها. ويقول لقد علمتني كلاما اوجهه للحاكم لم يتمكن من الرد عليه، حيث سألت الحاكم: من اجل من تعمل يوميا؟ فأجاب: من اجل عائلتي! فقلت له: لو رجعت ووجدت زوجتك مع رجل غريب في سرير النوم ماذا تفعل؟ فسكت ولم يجب. وفي سجن الكوت بعد اصدار الحكم عليه رفض ان يسكن مع السجناء

الجنائيين وفضل العيش مع السجناء الشيوعيين ومشاركتهم حياتهم ومعاناتهم، حتى انه شاركهم في احد اضراباتهم عن الطعام. ويحدثنا عبيد بفخر كيف ان ادارة سجن الكوت ارسلت عليه لتساومه وتخيره بين تنفيذ اطلاق سراحه بعد انتهاء محكوميته التي اقتربت وبين تقديمه للمحاكمة بتهمة انتمائه للحزب الشيوعي. وبعد رفضه المساومة زج به مقيدا بالسلاسل في الأنفرادي وهو مازال مضربا عن الطعام حتى توجب عليه احيانا ان يتبول في مكانه وهو مقيد بالسلاسل. ويتحدث بفخر وحب عن إعتزاز الشيوعين به وانهم دافعوا عنه حتى أجبروا ادارة السجن على إعادته ليعيش بينهم مجددا. وبعد انتهاء محكوميته بسبب قرارات الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم في منح السجناء مراحم في تخفيض احكامهم كلما حل عيد وطني اوديني، قررت ادارة السجن احالته الى أمن كربلاء بتهمة انتمائه للحزب الشيوعي ومشاركته نشاطات الشيوعيين في سجن الكوت بما فيه اضرابهم. وبقي الفلاح عبيد محجوزا في موقف كربلاء ينتظر موعد احالته للمجلس العرفي. وقد سمعت بعد ان اطلق سراحي ان المجلس العرفي برئاسة شمس الدين عبد الله حكم عليه بعشرة سنوات، لأنتمائه للحزب الشيوعي!.

قررنا السفر ثلاثتنا الى بغداد صباح يوم 1964/01/20 أي قبل يوم من موعد المحاكمة، كان ذلك الصباح باردا وكئيبا لأننا متوجهين الى المجهول تاركين عائلة من سبع بنات وام اتعبتها مشاكل الحياة وحُربت العائلة بمصادر عيشها وذلك بحرمان رب البيت من ممارسة عمله الذي خدم فيه بأخلاص 27 عاما، لا لتقصير او خطأ في انجاز عمله الأنساني في التعليم وانما لمواقفه الوطنية الغير مهادنة.

لم تكتف الوالدة طيب الله ثراها وشقيقاتي بتوديعنا داخل البيت صباح يوم 20 كانون

الثاني، بل خرجن الى باب البيت يحملن القران ألكريم وابريق مملوء بالماء. وأصرت ألوالدة ألا نسافر قبل ان نعبر فوق الماء الذي سكبته على الارض ونمر من تحت ألقرآن الذي رفعته فوق رؤسنا وهي تتلو بعض الآدعية والايات الكريمة، مؤكدة ان ذلك سيبرؤنا من اصدار أي حكم بحقنا من قبل ألمجلس ألعرفي ألاول ألسئ ألصيت والذي كان يرأسه أذا لم تخني الذاكرة أحمد محمد نافع ألعاني.

كانت الوالدة طيب الله ثراها قلقة من محاكمات المجالس العرفية لما عرفته وسمعته عنها من ظلم وتجاوزات قانونية وحقد على الوطنيين وخاصة الشيوعيين واصدقائهم، وهي تتذكر دائما كيف ان شمس الدين عبد الله اصدر حكمه علي بالسجن ستة اشهر رغم اني لم اتجاوز من العمر 17 عاما. كان لابد من الاستجابة لرغبة الوالدة التي عانت كثيرا بسبب اعتقالنا بعد انقلاب 8 شباط الفاشي، وهكذا تماشيا مع مشاعرها وقناعاتها، عَبَرنا فوق الارض المسكوبة بالماء الطاهر وهي تتلو آيات من القران ألكريم مصحوبة بادعية، راجية من الله ان يعيننا ويدفع عنا شر وحقد رئيس المجلس العرفي الاول. كنت احدق في وجه امي وشقيقاتي، كانت الدموع تنزل بحياء وقد ارتسمت على وجوههن علامات هي خليط من ألدهشة والحيرة والغضب يطغي عليها الخوف من نتيجة المحكمة، كأنهن يتسائلن لماذا كل هذا الحقد، وما ألجرم ألذي ارتكبناه!!؟

كنا شبه مطمأنين ان قرار المحكمة سيكون الافراج عنا، خاصة اننا أوكلنا نفس المحامي الذي أوكلته المجموعة التي سبقتنا وافرج عنهم جميعا قبل شهر. عندما افرج عن المجموعة التي سبقتنا، اشيع في حينها ان المحامي واسمه جمال بابان الذي توكل دعوتهم وأستلم مقدما عن كل متهم 100 دينار ، تقاسم المبالغ مناصفة مع رئيس

ألمحكمة أحمد محمد نافع ألعاني ومع الادعاء ألعام راغب فخري مقابل ألبراءة والافراج عن المجموعة. لم يكن سهلا على والدي ان يتدبر اجورالمحامي أو قل رشوة المحكمة عن طريق سمسارها المحامي جمال بابان، فقد كنا نعاني من مصاعب مالية وكانت العائلة بالكاد توفر الحد ألأدنى لمتطلبات حياتنا المعاشية بسبب سحب يد والدي وشقيقي كفاح منذ الانقلاب الفاشي. وبعد توسط أحد الاصدقاء وهو ألمحامي عبد الرضا البارودي لدى المحامي جمال بابان، وافق على ان ندفع فقط 100 دينار عن ثلاثتنا، ولا أتذكر كيف تمكن والدي من تدبير المبلغ في الوقت الذي كنا نعاني فيه من صعوبة تدبير معيشتنا، لأن كل مايستلمه والدي من راتب شهري بعد سحب يده لا يتجاوز الأربعون دينار.

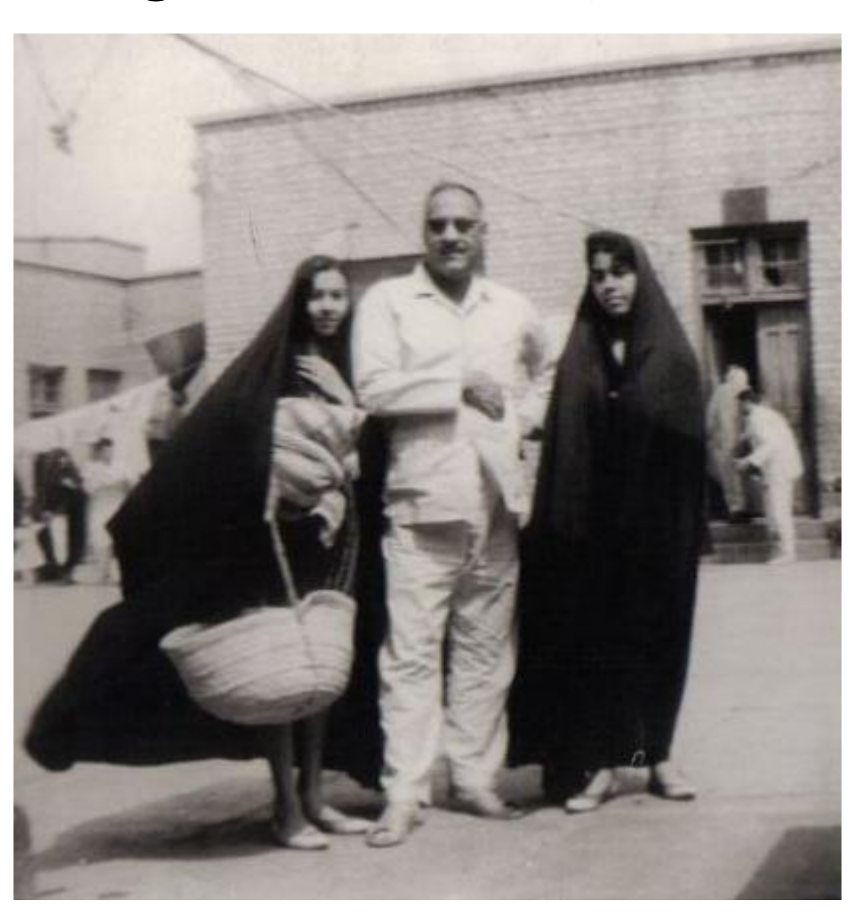
صباح يوم 21 كانون الثاني كان جميع المتهمين المحالين متجمعين في باب المحكمة في معسكر الوشاش مع قسم من عوائلهم وكان القلق مسيطر على الجميع وخاصة على العوائل. كانت قضيتنا تشمل 48 متهما من كربلاء، سبق وان اعتقلوا بعد إنقلاب شباط، كنا طلابا، عمالا، مدرسين وفلاحين، وكنت اصغر المحالين من كربلاء على الاطلاق، وكانت بيننا إمرأة واحدة اسمها نجاة او نجية ام الدجاج، وهي إمرأة بسيطة لاتتعاطى السياسة مطلقا، امية وفقيرة الحال تشتري وتبيع الدجاج لتدبر حياتها، وبسبب تحرشات مفوض ألأمن لطيف أللاأخلاقية بها ورفضها بيع دجاجاها له بالسعر الذي عرضه عليها، قرر حشر إسمها في ملف القضية وهذا ماوضحته في المحكمة.

دخلنا الى المحكمة بشكل جماعي ولم يتسع لنا قفص المحكمة مما اضطر بعضنا الوقوف خارج القفص. لاعرف كيف توارى ذلك القلق فجأة عن الجميع وتحول ألجو الى لاابالية فسادت روح الدعابة والمزاح بيننا، حتى ان بعضهم لم يتمكن من السيطره

على نفسه فيضحك بصوت عال، وزاد الجو انشراحا، مقترح عبس الجصاص على حسين كاظم الموسوي رحمه الله (وكان يعرف بحسين أعور لأن احدى عينيه كانت من زجاج) وهو اخ الشهيد المقدم ابراهيم كاظم الموسوي (1)، ان ينزع عينه الزجاجية أثناء المحاكمة ويعمل ضوضاء بمساعدتنا داخل القفص، واذا استفسر ألحاكم عن سبب هذه الضجة يجيبه حسين بان عينه سقطت منه وهو يبحث عنها، علّ ذلك يبهج ألحاكم ويعفو عنا، لكن حسين رفض ألفكرة.

قرأ الادعاء لائحة الاتهام وهي التظاهر ومقاومة انقلاب 8 شباط. ثم طلب الشهود، وكانوا اربعة افراد جميعهم من شرطة أمن كربلاء. وسألهم عن اسماء المشاركين في التظاهرة. تقدم ألاول وذكر مجموعة من الاسماء، بعض ألاسماء التي ذكرها كانت من ألمجموعة التي سبقتنا، وبعضها مركبة من شخصين او ثلاثة اي اسم شخص أما ألأب من اخر ولقبه من ثالث، كان اي مستمع لهذه الشهادة يستنتج بان الشاهد ملقن ومفرط بالغباء، وكان معظم شرطة ألامن في ذلك الوقت يتصفون بالغباء والبلادة، حتى انهم لم يبذلوا جهده في حفظ مالقنوا به. بعد ذلك طلب رئيس ألمحكمة من الشاهد ان يشخص أصحاب هذه الاسماء. كان هذا الامتحان الثاني لهذا الشرطي البليد، فتقدم وبعد بحث في الوجوه اشار الى عبد الامير قنبر وقال هذا هو محمود ألصافي، والسبب الذي دفع هذا الشرطي لهذا الخطأ حسب مافسرناه في حينها، ان محمود الصافي كان اقصرنا وبسبب كثرتنا داخل القفص لم يتمكن الشرطي من إيجاده فإختار بدله اطول واحد فينا وهو عبد الامير قنبر. اعترض عبد الامير وقال ان اسمي عبد الامير وليس محمود الصافي. ولم نسمع من رئيس المحكمة الا كلمة اخرس انه يعرفكم من الاشكال. بعد ذلك أشار الشاهد الى والدي، مدعيا ان علي الشبيبي هو مسؤول الحزب في كربلاء وانه كان يسير خلف التظاهره لقيادتها وتوجيهها. وعقب والدي قائلا انه لم يكن حزبيا

وهذا ماأكدته ألتنظيمات الحزبية لكربلاء بعد إنكشافها، كما انه لم يغادر البيت يوم 8 شباط بسبب مرضه وكل ذلك مثبت بالتحقيقات التي اجراها الحرس القومي، لكن رئيس المحكمة لم يستمع لأي اعتراض من جانبنا، وكان يقمع المعترضين، ويعلق تعليقات بذيئة جدا ومهينة، وانتقد تقرير مديرية أمن كربلاء المرفق في ملف القضية. حيث اشار التقرير في احد فقراته مامعناه (..... الى ان المسؤولين من شرطة كربلاء ومديرية الامن كانوا يسيرون خلف التظاهرة يوم انقلاب 8 شباط لمتابعة تحرك المتظاهرين.....) وعلق رئيس المجلس ساخرا من هذه العبارة ومن تعامل ألأمن والشرطة مع المتظاهرين موجها كلامه لشرطة الأمن: تمشون ورائهم لحمايتهم !!؟؟ كان عليكم إبادتهم والتخلص منهم!!! وهذا التعليق يعكس عدم حيادية وحقد رئيس المحكمة واستهتاره بالعدالة وموقفه المسبق من قضيتنا.



في وسط ساحة السجن الجديد في الحلة امام أحد القواويش (القاعات) والدي يتوسط شقيقتي الكبرى أحلام ونوال في احد ايام الزيارات من عام 1965

الحقيقة ان والدي لم يكن عضوا في الحزب الشيوعي لكنه كان من الأصدقاء ألمقربين من الحزب إضافة لكونه من الوجوه الاجتماعيه والوطنيه لمدينة كربلاء، فكان من نشطاء نقابة المعلمين واصبح نقيب الفرع لدورتين وكان رئيس مجلس انصار السلام في كربلاء، كما أنه لم يغادر البيت يوم الانقلاب، فأنا الوحيد من البيت من شارك بالتظاهر، وكان والدي غير مقتنع بالتظاهرة وانتقدني وانتقد منظميها وكان يرى ان إفشال الأنقلاب كان يجب ان يتم من خلال عمل عسكري حاسم ومخطط بشكل مدروس. لكن تقارير الامن المرفقة كانت مغلولة بالسم والكراهية والكذب ومعتمدة على معلومات قديمة تعود للاربعينات، وكان مسؤولوا ألامن يصرحون دائما بأن والدي أخطر من أي حزبي قيادي، لأنهم يعتبرونه من شيوعيي الأربعينات الذين تخرجوا على يد مؤسس الحزب الشهيد الخالد فهد. حيث ساهم مع شقيقه الشهيد الخالد حسين (صارم) في تأسيس اول تنظيم شيوعي في مدينة النجف الأشرف. وكان مسؤولا عن لجنة محلية النجف قبل انعقاد اول كونفرنس حزبي عام 1944 وكان احد اعضاء المؤتمر الاول للحزب والذي انعقد في اذار 1945. واصبح تنظيم الحزب في النجف احد اقوى التنظيمات الحزبية في العراق بالرغم من الطابع الديني المحافظ للمدينة وتخرج من هذا التنظيم كثير من قادة الحزب وشهدائه وفي مقدمتهم سكرتير الحزب الشهيد الخالد سلام عادل والشهيد حسن عوينه وعضو اللجنة المركزية الراحل رحيم عجينة والشهيد الدكتور خليل جميل والشهيد محمد موسى وغيرهم .

لم يعر رئيس المحكمة اي اهتمام لاعتراضاتنا، خاصة أن بقية الشهود لم يكونوا اكثر ذكاء من الشاهد الاول كما ان شهاداتهم لم تكن اقوى حبكة من الشاهد الاول. وقد جنبهم رئيس المحكمة من مغبة تكرار هفوات الشاهد الأول فطلب منهم ذكر أسماء المتظاهرين فقط دون تشخيصهم، بينما طلب من كل واحد يذكر الشهود اسمه ان يظهر

من بين رفاقه بالقفص ليراه ويتعرف عليه اعضاء المجلس، وكان هذا تواطئا مفضوحا وتعدي فض على العدالة. انتبه الرئيس الى وجود ثلاثة افراد من عائلة واحدة، والدي وانا واخي كفاح، فوجه سؤالا لأخي كفاح: من يكون بالنسبة لك حسين الشبيبي الذي اعدم مع فهد؟ فاجابه اخي انه عمي. اضاف العاني انه من قادة ألحزب ألشيوعي وعضو مكتبه ألسياسي واعدم مع مؤسس الحزب فهد!!! ورد عليه اخي وماهي جريرتي في ذلك؟!!. لم تدم الجلسة اكثر من نصف ساعة، ولم يسمح لنا بالدفاع عن انفسنا ولا حتى مناقشة ألشهود، كما ان محامي الدفاع جمال بابان لم ينطق بكلمة واحدة خلال الجلسة ولم يناقش الشهود حتى لم يدافع عن أي واحد منا، وهذا مايؤكد ان المحامي كان سمسارا للمحكمة، وان الاحكام معدة مسبقا. وبعد دقائق من مشاورات المحكمة اعلن قرار الحكم، وقد وزعنا قرار الحكم على اربعة مجاميع، الاولى حكم عليها بخمس سنوات وكنت انا، فيصل الشامي، عباس الجصاص، اسماعيل الجصاص، حسين الموسوي ومحمود الصافي والفلاح حمود واخرون من ضمن هذه المجموعة.
المجموعة الثانية شملهم الحكم بسنتين وكان والدي من ضمن هذه المجموعة.
والمجموعة الثالثة حكم عليهم بسنة مع وقف التنفيذ وكان أخي كفاح من ضمنهم.
والبقية تم الافراج عنهم. غضب وثار الاهالي لهذه الاحكام الجائرة واستنكروا دور المحامي البائس والذي لم يحاول ولو شكليا بالدفاع عنا ليبرر دوره، وطالبه البعض باعادة مادفع له .

تم حجزنا موقتا في غرفة في معسكر الوشاش. كانت الغرفة التي حشرنا فيها صغيرة، وقد تحولت جدرانها الى لوحة كتابة، فسجل معظم المحالين للمجلس العرفي الاول او احتجزوا في هذه الغرفة اسماؤهم وجملا او اشعارا تؤكد تصميمهم على الاستمرار في طريق النضال بصلابة ودون مهادنة، وقد كانت هذه عادة جميع المعتقلين، حيث كنا

ننقش اسماؤنا وعبارات واشعارا وتأريخ تواجدنا في المعتقل تذكر القادمين من بعدنا بزملاء ورفاق لهم في درب النضال مروا من هنا. ولقد لفت انتباه الجميع بيتين من الشعر الشعبي كتبها ألشهيد حسن سريع بخط يده، تؤكد شجاعة واصرار هذا الإنسان على الصمود والتضحية والشهادة، وهذه ألأبيات هي :

السجن لي مرتبة والقيد إلي خلخال

والمشنقة ياشعب مرجوحة الأبطال

كم كان هذا البطل المجهول مؤمنا بقضية الشعب وبقي مخلصا ومضحيا بنفسه محاولا انقاذ اكبر عدد من رفاقه من خلال اعترافه بتحمل المسؤولية لوحده وأنه هو ألذي أرغمهم على حمل ألسلاح. ومازلت اتذكر ألحوار ألذي دار بين ألشهيد حسن سريع ورئيس ألمحكمة أثناء محاكمته، حيث كان ألبث مباشراً. كانت اجابات ألشهيد تدل على وعيه السياسي وشجاعته وتصميمه، وللأسف لاتتوفر لدي مصادر حيادية عن نص الحوار بين الشهيد حسن سريع ورئيس المحكمة، وانما اتذكر جيدا معنى وأفكار الحوار الذي دار في قاعة المحكمة، فلما سأله رئيس المحكمة: انت جندي بسيط فهل كنت من خلال حركتك العسكرية تريد ان تصبح رئيسا للجمهورية؟ !

الشهيد حسن سريع : لا لم أريد شيئا لنفسي وإنما سأسلم السلطة لمن يستحقها !

رئيس المحكمة : ومن هو هذا؟

الشهيد حسن سريع : الحزب الشيوعي !

رئيس المحكمة: الاتعرف انك خالفت القانون بحملك رتبة ضابط وانت مجرد جندي ؟

الشهيد حسن سريع: لم اكن اول من خالف القانون فأنتم أول من خالفتم وفعلتم ذلك مع عبد ألسلام عارف وصالح مهدي عماش .

كان هذا بعض من الحوار الذي بث من خلال الجلسة العلنية للمحكمة، هذه ألاجابات ألشجاعة والتي تعبر عن وعي وتصميم مذهل اجبرت الحكومة الى عدم استمرارها في بث المحاكمة. هذه إجابات ألشهيد الخالد حسن سريع كما أسعفتني بها ألذاكرة عندما كنا نستمع لمحاكمته ونحن جالسين في احد مقاهي العباسية الشرقية الشعبية (مقهى حميد) في كربلاء، وكنا مدهوشين لشجاعة وجرأة هذا ألبطل، وكان موقفه الشجاع هذا دافعا لكثير من ألشباب للبحث عن تنظيمات ألحزب ألشيوعي للإنظمام اليها. وقد طلب بعضهم مني المشورة ومساعدته للإرتباط بالحزب. وقد اتصل بي كريم، وهو سائق لي معرفة سابقة به ويثق بي، وسألني عن رغبته بالإنتماء للحزب، وذكر اسم (هـ.ر) بأنه عرض عليه ألإرتباط، ولما كنت أعرف أن موقف (هـ.ر) ضعيفا ومشبوها في تحقيقات ألحرس ألقومي، حذرته من ألعلاقة معه فربما يكون مندسا لكشف ألتنظيمات ألجديدة للحزب. وقد تأكد لي إندساس (هـ.ر) عندما ألقي ألقبض على رسول عبد ألزهرة (رسول ألمختار) في بساتين كربلاء بعد مقاومته لهم بالسلاح واصابته، وهو كادر طلابي (كان طالبا في كلية التجارة) وشيوعي لم يلق ألقبض عليه في إنقلاب شباط وبقي يمارس نشاطه ألحزبي متخفيا في كربلاء. بعد الإفراج عن رسول بكفالة مالية، أخبرني أن (هـ.ر. و ح.ل) شاهدي ادعاء ضده في ألمحكمة. واخبرته بمواقف (هـ.ر) الضعيفة في التحقيقات وتعاونه مع الحرس القومي، وسألته كيف تمكن من الإندساس ونال التزكية؟! أجاب انه وجده في التنظيم ولا يعرف خلفياته في أثناء الإعتقال !

في موقف مركز شرطة السراي في بغداد حيث نقلنا الى هناك لغرض تسفيرنا الى سجن الحلة، جلس بجانبي ألاستاذ لطيف المعملجي وهو معلم موسيقى، ولاحظت على وجهه علامات الإنزعاج والتأثر حتى كاد يبكي واعتقدت بأن حكما صدر بحقه. سألته: لماذا انت متأثر؟ فنحن ايضا صدر حكم بحقنا، والدي سنتان وانا خمسة سنوات، لاتهتم

فالنظام ساقط و سنخرج قبل ان ننهي محكومياتنا!! فاجاب: لم يصدر بحقي حكم بالسجن ولكنني متأثر للحكم عليكم انت ووالدك، وانت مازلت صغيرا، كم كان هذا الحاكم ظالما، حتى لم يسمح لأي منا الدفاع عن نفسه !

– (1)المقدم ابراهيم كاظم الموسوي، كان مسؤولا عن أمن محكمة الشعب ايام حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، ولم يشارك باي مقاومة عسكرية للأنقلابيين لأنه كان مع عائلته في كربلاء، وكان يعتقد بأن رئيس الجمهورية عبد السلام عارف سيقف الى جانبه لأنه قدم مساعدات كبيرة له اثناء محاكمته ووجوده في محكمة الشعب، واعتقد خطأ انه حان وقت رد جمائله على عبد السلام عارف، لكن العروبي عبد السلام عارف خذله، وكان الرد سريعا بإعدامه بعد يوم من تسليم نفسه، ولم يسلم جثمانه الطاهر كما تقر به الشريعة لعائلته إلا بعد انقلاب تشرين الثاني، وشيع في كربلاء تشيعا جماهيريا يليق بشهادته.

(10)

في سجن الحلة

بعد ان قضينا ليلة في مركز سراي بغداد نقلنا الى سجن الحلة مع مجموعة من مناضلي مدينة الديوانية اتذكر منهم المعلم الطيب مضر. كان سجن الحلة مقسم الى اقسام معزولة بعضها عن بعض ومتفاوته بالمساحة والتصميم. افضلها السجن الجديد، الانكليزي وذات ارضيه من الكونكريت، (U) تتوسطه ساحة واسعة على شكل حرف يو مع مجموعتين من المرافق الصحية موزعة على جانبين من السجن. وغرفه متفاوتة المساحة بحيث تتسع من 16 إلى 120 سجين (1)، وخصص للسجناء السياسيين. كما يوجد قسم المعمل الذي سبق وان تحدثت عنه. والسجن القديم ايضا تتوسطه ساحة كبيرة وفيه غرف مختلفة السعة واشهر قاعاته قاعة كنا نطلق عليها اسم الصين الشعبية لكبرها، فعدد ساكنيها نصف عدد نزلاء السجن القديم. وكان نزلاء الصين الشعبية يطالبون اثناء اجتماعات مسؤولي القاعات بعدم حساب صوتهم كصوت اي قاعة والتي لايتجاوز عدد نزلاء اكبرها عن100 سجين ونزلاء السجن القديم خليط من السياسيين والعاديين.

القسم الاخر يدعى المحجر، قسم صغير يتكون من 4 غرف بمساحة لاتزيد عن 14م² للغرفة ألواحدة، تتوسطه ساحة لا يزيد طولها عن 12م وعرضها عن 3م وفيها حنفية واحدة وتواليت واحد ولم اعد اتذكر ان كان هناك حمام ام لا وكيف كنا نستحم. كانت معظم مجاري السجن تمر عبر المحجر. كان السجين صفوك ذو الوجه الكاريكاتوري،

بشاربه الطويل وفمه الذي فقد معظم اسنانه، زبونا دائما من بين السجناء العاديين مسؤولا عن صيانة المجاري وتنظيفها، وتتم هذه ألصيانة من المحجر مما يسبب ازعاجا بسبب الرائحة الكريهة التي تنتشر في المحجر عندما يحصل أي انسداد فيها وتفيض لتغطي ارضية المحجر. كان صفوك من المقيمين في السجن والاداره تدفع له اجرا بخسا لعمله، وهو لايصرف شيئا داخل ألسجن، لانه ماكل شارب ونائم مجانا كما يقول. عندما انهى محكوميته اخر مرة، عاد بسرعة بعقوبة لمدة سنة! لما سألناه عن سبب العقوبة قال انه سرق قوري مكسور البلبولة، وقال انه لم يسرق بهدف السرقة وانما كانت السرقة وسيلة شريفة ليعود للسجن ليمارس عمله في تنظيف المجاري، لأنه خارج السجن يعيش ايامه جائعا وبدون سكن ووحيدا بينما هنا في السجن يعيش في فندق خمس نجوم وبين السجناء!

قررت ادارة السجن تخصيص المحجر لنا مع مجموعة مدينة الديوانية الذين وصلوا معنا سوية من مركز السراي. فرشت فراشي الى جانب فراش والدي في احدى الغرف وسط المحجر وقد ضمت الغرفة كل من عباس الجصاص واخيه اسماعيل وحسين الموسوي ومحمود الصافي وفيصل الشامي واخرون لاتسعفني الذاكرة بتذكرهم. منذ وصولنا للمحجر اصبحت علاقتي بوالدي ليست كأب فقط وانما اصبح الزميل والصديق. كانت كلمة زميل هي الكلمة المعتادة التي يتخاطب بها السجناء. وكانت هذه الكلمه غريبة ومجهولة وغير مفهومة بالنسبة لبعض السجانه (شرطة السجن) مثل السجان ابو سبتي. ففي احد المرات تورط واستعملها أثناء التعداد مخاطبا السجناء: زملاء مسطر (كنا نسمي عملية التعداد مسطر)، ثم التفت الينا واعتذر لانه خاطبنا بزملاء، ولما استوضحناه لماذا هو يعتذر، فهمنا من اجابته انه أخطأ ولم يوفق في جمع كلمة زميل لأن كلمة زملاء تعني جمع لزمال!! وابو سبتي إنسان بسيط وطيب، وماحدث له

عندما إنتقل لسكنه ألجديد يدل على بساطة هذا الإنسان. فعندما حصل على بيت في منطقة الاسكان، وهي منطقه من بيوت شعبية بناها ألزعيم الراحل عبد الكريم قاسم لتكون سكنا لذوي الدخل المحدود، وتتميز بتشابه بيوتها وطرقها كونها جديدة البناء، ولاتوجد اسماء لشوارعها. عاد ابو سبتي من نوبته في السجن الى داره ليلا ولم يهتدي للبيت حتى ارهقه التعب، فاضطر ان يطرق احد الابواب ويسأل اصحاب الدار عن بيت أبو سبتي ألسجان. بعد ان استمعت صاحبة البيت لاستفساره مندهشة، قالت له الستَ انت ابو سبتي، وتبحث عن بيتك؟!! فأجابها انه متعب ومصاب بصداع ولم يتمكن من الاهتداء للبيت! ساعدته واوصلته لبيته ولم يكن ألبيت بعيدا عن دارها إلا بضعة أمتار. ومنذ ذلك اليوم قرر ابوسبتي ان يرفع علما في باب بيته لكي يميزه عن بقية البيوت!!. ويحدثنا ابو سبتي كيف كانت العفاريت والجن تزوره في المنام عندما عمل سجانا في نقرة السلمان، وكانت احدى الجنيات تلح عليه ليطلق زوجته والزواج منها! وكاد يجن من زياراتهم وطلباتهم، لولا تعاطف مدير السجن معه وساعده على الانتقال الى سجن الحلة. وفي احد نشاطاتنا الثقافية داخل السجن، عرضنا مسرحية ديوجين وكان العرض ليلا وحضر العرض بعض حراس السجن ومن بينهم ابو سبتي، وكان العرض بعد يومين من زيارة العوائل الشهرية. وكان من ضمن الادوار دور فتاة، ومثل دور الفتاة احد الزملاء بعد ان تم مكياجه جيدا وارتدى ملابس نسائية الى درجة جعلت ابو سبتي يعتقد اننا اخفينا احدى النساء بعد الزيارة الشهرية لتقوم بهذا الدور! وبعد ان شاهد ابو سبتي العرض غضب لاننا اخطأنا بحق هذه الفتاة وحجزناها في السجن وحذرنا من ان يصل الخبر الى مدير السجن فيحاسبنا ونقع في مشكلة مع ألأدارة!.

لم تدم اقامتنا في المحجر طويلا، فبعد اقل من اسبوعين نقلنا الى السجن القديم. وكان السجن القديم مشترك بيننا وبين السجناء ذوي الجنح الجنائية. بعد ذلك قررت ادارة

السجن عزل السجناء السياسيين عن العاديين، فخصص لنا السجن الجديد ونقل اليه جميع السجناء السياسيين. وفي السجن الجديد اقمنا انا ووالدي في قاعة رقم 2 وهي واحدة من ثلاثة قاعات كبيره في السجن الجديد.

بسبب شدة وشراسة الضربة التي وجهت للحزب، تأثرت معنويات وثقة الكثيرين وكان البعض يشكك أو يرفض أي عمل تنظيمي، حتى مايخص تنظيم وإدارة حياتنا اليومية، واخذ البعض يتمرد ويطرح شكوكه بشكل علني، وشمل التشكيك بطريقة اختيار ممثلين القاعات ومن ثم ممثل السجناء أمام ادارة السجن، ووصل الحد ان البعض راح يشكك ويتساءل عن أرباح المقهى التي نشرف على ادارتها وكان سعر كوب الشاي رمزي (3 او 5 فلس للكوب) ، وتخصص مردودات المبيعات البسيطة لمساعدة المحتاجين. وظهرت حالات تمرد وعدم تعاون بين بعض ممثلي القاعات مما سبب مشاكل ومتاعب في تنظيم شؤون السجناء، وتعددت مصادر ألأخبار والنشريات. وبعد اجتماعات ولقاءات جماعية ونقاشات بين السجناء بادرت اليها مجموعة من السجناء الواعين والحريصين الى قرار حازم وشجاع بإجراء انتخابات سرية لكل قاعة لتنتخب لجنة وممثل لأدارة شؤونها وان تكون مهمة هذه اللجان تنظيم وادارة حياتنا اليومية، وتوحيد كلمة السجناء امام الادارة، والعمل على بث الوعي السياسي وعدم الأستسلام للظروف الجائرة التي يعيشها شعبنا، والنهوض مجددا بقوة لمقارعة الدكتاتورية العارفية التي لبست لباس الدين والعروبة. وتم التثقيف بأهمية هذه الانتخابات الاضطرارية في كل القاعات، واعلن الكثير من الزملاء ترشيح انفسهم لهذه اللجان، وكانت ألمنافسة جدية بين المرشحين وبروح رفاقية، حتى في الغرف الصغيرة التي لايتجاوز عدد قاطنيها 20 فردا كان لها اكثر من مرشح. كان المعتاد في كل السجون وفي كل الظروف ان تشرف المنظمة الحزبية على تعين ممثلي القاعات وممثلنا امام

ادارة السجن لنقل مطالب السجناء وتنظيم العلاقة بين الادارة والسجناء. لكن الظروف التي عاشها العراق وخاصة الحزب الشيوعي بسبب التصفيات الدموية لقياداته، وما أصاب تنظيماته من ضربة شرسة ادت الى تدمير وتفكك معظم تنظيمات الحزب، لذلك تعددت القنوات الحزبية وتقاطعت فيما بينها في احيانا كثيرة، مما ساعد على ان تسود حالات من اليأس والتشكيك بين الكثيرين في مصداقية هذه الأقنية. فكان القرار الذي اتخذه السجناء في سجن الحلة قرارا جريئا ومتقدما على الفكر السائد في تلك الحقبة التأريخية الصعبة، كما عزز الروح الديمقراطية والثقة والوحدة بين السجناء. وسنرى ردود فعل سلبية من بعض التنظيمات الحزبية المستقرة والفاعلة واخص هنا موقف التنظيم الحزبي في سجن نقرة السلمان، وهذا ما ساتطرق له في السطور القادمة. كانت نتائج الانتخابات ايجابية اكثر مما توقعنا حيث فازت العناصر التي مازالت ملتزمه بمباديء الحزب وذات معنويات عالية ومواقف صلبة وشجاعة.

انتخب لتمثيل السجناء الاستاذ حميد سعود طيب الله ثراه وهو مدرس من منطقة ديالى واعتقد من مدينة المقدادية. كان حميد سعود (ابو سلام) واضح في طروحاته ملتزم ويتصرف كشيوعي فكرا وعملا، وامتازت علاقاته الاجتماعية داخل السجن بالبساطة والشعبية ورغبته الجادة في التعاون مع الجميع لحل المشاكل التي تواجه السجناء. ورغم قصر فترة عمله، تمكن وبمساعدة زملائه في اللجنة من وضع حد للشكوك والاتهامات واللاأبالية التي سادت في السجن، وذلك من خلال التخطيط لعقد اجتماعات علنية للقاعات وتدارس مشاكل السجناء والاستماع الى ارائهم وانتقاداتهم ومناقشتها بجدية، واصبحنا اكبر قدرة على طرح مطالبنا للأدارة والعمل على ايجاد حلول افضل لمشاكلنا اليومية من خلال حوار ممثلنا ورفاقه مع الأدارة. ونتج عن هذه الانتخابات الديمقراطية منظمة موحدة وقوية قادرة على تنظيم حياة السجناء، كما تم الاقرار

بضرورة الاستفادة من تعدد مصادر المعلومات لعدم وجود ركيزة واحدة في داخل السجن بسبب الاعتماد على المبادرات الفردية لبعض السجناء.

بعد اسابيع من تولي حميد سعود لمسؤوليته، قرأنا في ألصحف الرسمية براءة بأسم جندي أسمه حميد سعود، وكانت هذه الصحف تطالعنا يوميا بمثل هذه البراءات. وفي اجتماع عام للسجناء بادر حميد سعود لتوضيح هذا الالتباس وقرر ان ينشر توضيحا في نفس الصحيفة، ملخصه بان المدرس حميد سعود من مدينة ديالى والسجين حاليا في سجن الحلة ليس هو صاحب البراءة التي نشرت بأسم الجندي حميد سعود، لم يكن حميد مجبرا على نشر مثل هذا الإيضاح لأن البراءة منشورة بأسم جندي، ومع هذا كان قرار الراحل حميد سعود قرار فيه تحدي لسياسة الدولة التي مارست اسلوب الإسقاط السياسي من خلال نشر البراءات السيئة الصيت، وقد قوبل موقفه الشجاع هذا بإستحسان وتشجيع من قبل الجميع وترك اثره الأيجابي على معنويات الجميع للوقوف بشجاعة والصمود امام اغراءات الدولة للمتبرئين. لم نكن نتوقع ان ينشر ايضاحه، لان ألصحافة في ظل حكم عبد السلام عارف كانت تعبر وتطبل لسياسته ألمعادية لكل ماهو ديمقراطي وتقدمي بالرغم من رفعها شعارات اشتراكية، كما أن نشر ألإضاح يعتبر تحدي لسياسة السلطة التي كان يرأسها عبد السلام عارف وتتنافى مع نهجها في كسر معنويات السجناء وأذلالهم من خلال دفعهم على البراءة السيئة الصيت. نُشر ألايضاح بعد أيام واطلع جميع السجناء عليه وقرأ في القاعات. وكان الثمن الذي كلف حميد سعود لنشر ايضاحه هو إبعاده الى سجن نقرة السلمان، حيث وصل كتاب رسمي من وزارة الداخلية بعد ايام من نشر الايضاح لنقل حميد سعود الى سجن نقرة السلمان.

ودعنا رفيقنا حميد سعود اسفين لفراقه وابتعاده بعد ان ساهم بفعالية في تقوية وحدة

السجناء، وتاسيس لجنة قوية وواعية سياسيا لأدارة شؤننا. وكانت من أهم نشاطات هذه اللجنة متابعة مشاكل السجناء وتقديم العون الاقتصادي للمحتاجين منهم. وواصل سجناء سجن الحلة ألتقاليد ألشيوعية في كتابة نشرة ألأخبار، لإطلاع ألسجناء على مايدور في ألعالم. لم تكتب نشرات على عدد ألقاعات بسبب كثرة ألقاعات وصغر بعضها، فكنا نكتب ثلاثة نسخ ويتم تداولها بين ألقاعات. عندما تصل نسخة ألأخبار ألى ألقاعة يخرج أحد نزلاء ألقاعة ألى خارجها لينادي بصوت عال: زملاء قاعة رقم (2 مثلا) حلويات، والكل يعرف أن ألمقصود بالحلويات يعني وصول نشرة الأخبار وسوف تقرأ. وكان ألسجانة يسمعون يوميا دعوة نزلاء القاعات للحلويات ويستغربون ويتسائلون عن سبب كثرة تناولنا للحلويات!.

بعد سفر حميد سعود مصطحبا معه عددين من الصحيفة الرسمية التي نشرت فيها البراءة و الأيضاح، معتقدا ان هذا الموقف الجريء والمتحدي منه سيعزز ثقة سجناء نقرة السلمان به. وقد تفاجأ رفيقنا بموقف المنظمة في نقرة السلمان، وشككوا بمصداقية ادعائه وما نشر في العددين واعتبروا ذلك عملية مرتبة ومفتعلة لكسب ثقتهم والاندساس! كما كانت لجنة التنظيم في نقرة السلمان متحفظة عل خطوة سجناء الحلة في اجراء ألأنتخابات لأختيار ممثلي القاعات ولجنة ادارة شؤونهم الحياتية، واعتبروا عملية اجراء الانتخابات يراد منها ابعاد جماهير الحزب في السجون عن الحزب وشق وحدة السجناء، واعتبروا هذا التصرف مخالف للتقاليد الشيوعية في السجون والتي اعتاد عليها السجناء منذ ايام مؤسس الحزب الخالد فهد. لذلك اتخذوا منه موقفا سلبيا ومشككا ولم يثقوا به مطلقا، وخصصوا له مكانا في قاعة رقم واحد وهي قاعة خصصت للعناصر الضعيفة والمترددة والمنهارة والتي تعاونت بلا حدود مع السلطات التحقيقية، وكان يطلق عليها بعض المتشددين من السجناء اسم المستنقع!!

وتقبل الراحل هذا الموقف بصبر وسعة صدر وتفهم وسكن في القاعة رقم واحد دون ان تتأثر معنوياته او ان يتخذ موقفا سلبيا او معاديا من المنظمة. وكانت منظمة الحزب في نقرة السلمان من المنظمات الأكثر تنظيما لوجود رفاق قياديين فيها امثال الراحل عبد الوهاب طاهر والراحل سامي احمد والراحل عباس بغدادي وغيرهم الكثيرين من الذين نجوا من تحقيقات الحرس القومي واساليبه البربرية في التعذيب، اضافة الى عدد غير قليل من الكوادر الحزبية المجربة والمتحمسة لمعاودة نشاطها وعملها في صفوف الحزب. لم تكن منظمة النقرة قادرة على استيعاب وفهم دوافع قرار اجراء انتخابات في سجن الحلة، لذلك كان موقفهم سلبيا من العملية، وكان موقف منظمة سجن النقرة طبيعيا في تلك الفترة كونها منظمة قوية ويقف على رأسها رفاق مرشحين للجنة المركزية واعضاء منطقة ولم يتعرضوا للتحقيقات ولهم دورا مشهودا في اعادة تنظيم الحزب خارج السجن.

كانت سياسة السلطة ذات التوجهات العروبية برئاسة عبد السلام عارف، تعمل على كسر شوكة الشيوعيين من خلال نشر البرآءات ألسيئة الصيت في الصحف الرسمية وغير الرسمية، وكانت تطلب البرآءة من كل مواطن سبق وان اعتقل واطلق سراحه وبدء رحلة البحث عن عمل، لمساومته أما البرآءة او البطالة وتعريض عائلته الى ألجوع والفقر، أي كانت تساوم المناضلين بالبراءة مقابل عودتهم للعمل. حتى المجلس العرفي الاول والثاني، في كثير من جلساتهما كان رئيس المحكمة يساوم المتهمين من شيوعيين واصدقائهم على الافراج عنهم مقابل اعلانهم البراءة من الحزب الشيوعي العراقي. وللاسف ولاسباب كثيرة، منها شراسة الضربة التي وجهت للحزب الشيوعي والحقت اذا كبيرا في تنظيماته واستشهاد قادته في التصفيات البربرية، كل ذلك ادى الى الاحباط، والضعف والتردد وحتى التشكيك بالقيادات الجديدة، وفي احيان كثيرة أثرت

بصورة سلبية الظروف المعاشية الصعبة التي يعاني منها صاحب البراءة وعائلته، لذلك كانت البراءات تطالعنا في الصحف يوميا حتى جاءت قصيدة الشاعر الرائع مظفر النواب (ألبراءة) وأنتشرت بين السجناء، فكانت العلاج لهذا ألاسلوب اللانساني والمسيء لكرامة الانسان العراقي وهو سلب رخيص لانسانية المواطن العراقي وحرمانه من حرية التفكير. كان تأثير قصيدة مظفر النواب على جميع السجناء تأثيرا سحريا، فرفعت من معنوياتهم وصمودهم، وكنا نتغنى بها ونتلوها في اجتماعاتنا الترفيهية. وقد تجاوز تأثير القصيدة حدود واسوار السجن وتناقلها ألأصدقاء خارج السجن، واصبحت هذه القصيدة شهادة ادانة قوية لنظام سياسي يريد ان يمسخ الشخصية العراقية من خلال اذلالها بإسم العروبة والدين. ورغم مافي القصيدة من معان ومفاهيم قاسية، كانت وليدة ظروف دموية وشاذة، ورد فعل على ممارسات مذلة ومهينة، سادت فيها مفاهيم الصمود والتحدي لأثبات الوجود والمواصلة، فقد تقبلها الجميع سجناءً واحراراً بما فيهم هؤلاء الذين اعلنوا براءتهم. كانت قصيدة مظفر بصورتين الاولى الام والثانية الاخت وأجد هنا ضرورة نشر القصيدة لأطلاع أجيالنا الشابة عليها:

ألام

يابني ضلعك من رجيته

لضلعي جبرته وبنيته

يبني طش العمه بعيني

واجيتك بعين الگلب (القلب) أدبي علَ الدرب المشيته

شيلة العلاگه يبني

أذكر جفوفك عليهن وبيك أناغي لكل فرح عرسي النسيته

يبني والليل اللي تنامه الناس فصلته سهر لخطوط حزبك

والحجي ألزين الحجته

يبني ابني الجلب يرضع من حليبي

ولاابن يشمرلي خبزه من البراءة

يبني ياكلني الجرب لحم وعظم

وتموت عيني ولاالدناءة

يبني لا تثلم شرفنا

يبني ياوليدي البراءة تظل مدى الايام عفنه

تدري يابني بكل براءة

كل شهيد من الشعب

ينعاد دفنه

وخلي ايدك على شيبي

واحلف بطاهر حليبي

كطرة ...... كطرة

وبنظر عيني العميته

كلي ما أهدم حزب بيدي بنيته

ألاخت

خويه گابلت السجن حر وبرد

اتحملت لاجلك شتايم على عرضي واحرگت بالليل ناري

تالي تهتكني بخلك وصلة جريده

بهاي ياخويه جازيت أنتظاري

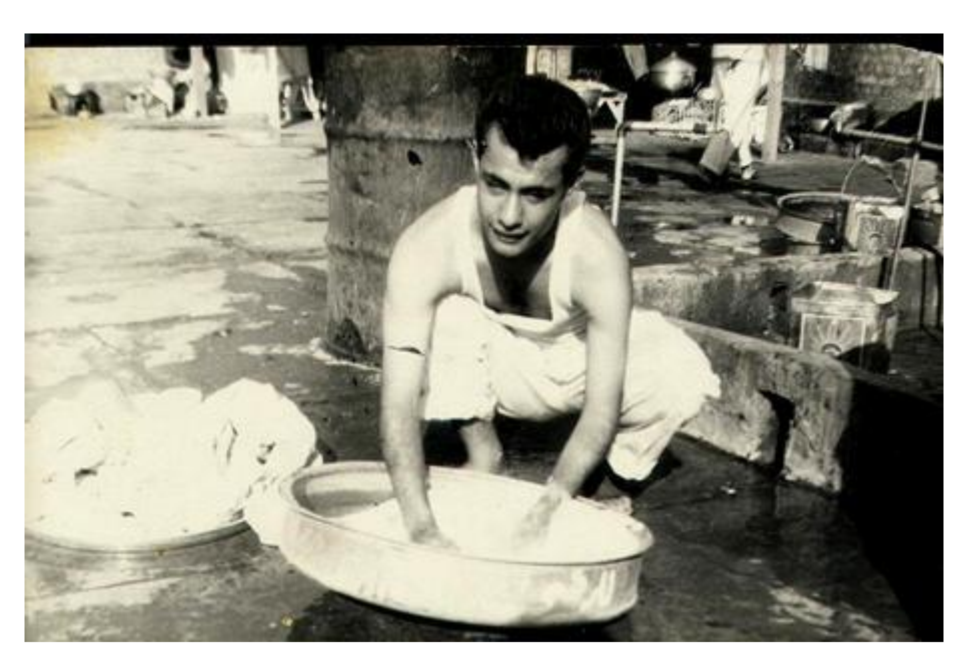
وبهاي ياخوية جزات الخير ودموعي ومراري
جنت ارضه تذبح بطني جنيني
ولابرآءة عار متبرگع تجيني وهاك اخذ عار الجريده
ولف ضميرك وعار أسمنه ياشعب هذا التشوفه موش ابنه

وبالمناسبة اتذكر مواقف شقيقات وزوجات وامهات لسجناء ومعتقلين كان لمواقفهن الشجاعة والمشجعة اثر كبير على صمود ازواجهن واشقاؤهن وابناؤهن. ومن هذه المواقف زوجة فلاح كان معتقلا معنا في كربلاء، فصنع قلادة من النمنم لزوجته وقدمها لها اثناء زيارتها له، فرفضت الزوجة استلامها معلقة: البس انت هذه القلادة! مشيرة لموقفه الضعيف في التحقيق! وكان هذا الموقف من الزوجة ايام الحرس القومي وقبل قصيدة مظفر النواب.

تولى مسؤولية تمثيل السجناء بعد ابو سلام المهندس شاطى عودة (ابو سمير) طيب الله ثراه، وكانت تربطنا به علاقة صداقة قبل ان نلتقي به في السجن، تميز ابو سمير بهدوءه، وحديثه ألدافئ مع ألاخرين، وأهتمامه بملاحظات ألسجناء، إضافة الى إلتزامه ألفكري. واصل شاطيء عودة السير على نفس النهج في ادارة شؤون السجناء وتعزيز وحدتهم وثقتهم بالقيادات التنظيمية. واستمرت لجنة شؤون السجناء المنتخبة بعقد لقاءات دورية واستثنائية كلما اقتضت الضرورة لمناقشة مشاكل السجناء والقاعات والمقترحات لتطوير وتحسين حياتنا وادارة اسلوب التعامل المجدي مع الأدارة.

وتمكنا من اقناع الادارة لبناء حممامات جديدة، وقد ساهم الزملاء المهندسون والفنيون في تصميم وبناء هذه الحمامات في السجن الجديد. وتم انجاز هذا المشروع واصبح

بأمكان السجناء السياسيين والعاديين من الأستحمام بالماء الحار وكأننا في حمام السوق (الحمام العربي). ويسع هذا الحمام بحدود 8 اشخاص للوجبة الواحدة. ونظمنا ادارته والاشراف عليه من خلال خفارات شارك فيها حتى السجناء العاديون. استقرت الاوضاع في السجن واصبح دور التنظيم اقوى وتوحد السجناء حول تنظيمهم. وشجعت المنظمة النشاطات الثقافية الهادفة، وبادر الكثيرون لأقامة نشاطات ادبية وشعرية من خلال ندوات عامة او ندوات خاصة لبعض القاعات. كما كانت النشاطات الرياضية هي الاخرى احد جوانب حياتنا اليومية، فكانت هناك فرق لكرة الطائرة وكنا نتمتع بمشاهدة هذه السباقات عصرا، وحتى الملاكمة كنا نتمتع بمشاهدة منافساتها وكان فريق الملاكمة لايخلُ من ابطال عراقيين في الملاكمة مثل الملاكم سامي (لا أتذكر اسمه الكامل للأسف) واعتقد انه كان من ابطال فريق الجيش بالملاكمة.



كاتب المذكرات في وسط ساحة ألسجن ألجديد في الحلة يغسل ملابسه عام 1964
ومن ألخلف بعيدا يظهر جزء من القهوة الخاصة بتحضير ألشاي

تجاوزت علاقتي بوالدي علاقة الأب بإبنه، فكان لي ألأب والأخ والصديق. وكان يناديني بكلمة زميل مثلما كنت اناديه، وكثيرا ماكنا نتبادل المزاح والنكات بإحترام متبادل مما يثير دهشة بقية الزملاء، وكنا نمضي كثير من الوقت نتمشى في ساحة السجن وقد تشابكت ايدينا وهو يقص علي تجاربه الحياتية كأننا صديقين يحسدنا الكثيرون على هذه الصداقة. كنت اهتم به فأقوم بغسل ملابسه وترتيبها، وتحضير وجبة الطعام او تحسينها من خلال اضافة ماتوفر لنا من معلبات وغيرها من مواد غذائية. وكنا دائما نذهب للاستحمام سوية مع مجموعة من الاصدقاء من بينهم جواد الرفيعي، والشيخ الشهيد عبد الجبار الاعظمي طيب الله ثراه الذي قتل بعمل اجرامي من تدبير المخابرات العراقيه كان الهدف منه اغتيال القائد الكردي مصطفى البرزاني، وكان يمازحني ألوالد بقوله لي سوف تشتغل حمامجي. لكثرة ملازمتي للوالد واهتمامي به، وكان هذا الاهتمام متبادل، اصبحنا افضل زميلين حتى انه في احد نشاطات القاعة منحنا جائزة كافضل زميلين بالرغم من فارق السن كبير بيننا!! حيث ان عمر والدي 50 بينما انا 19، وهذا الاختلاف الكبير بالسن يتناقض مع الانسجام والاحترام الذي كان سائدا بيننا. وكان كثير من الزملاء الذين لم يسبق ان تعارفنا معهم معجبون بزمالتنا ويعتقدون انه لاتوجد اية رابطه بيننا سوى زمالة السجن .

كانت زيارات العوائل لمقابلتنا مرة واحدة في الشهر. وكنا نتهيأ لهذه الزيارات من الليل، وذلك بكوي ملابسنا من خلال ترتيبها ووضعها في طيات الفراش الذي ننام عليه! والكثير منا وخاصة الشباب تجده ممسكا بالمرآة ليحدد شاربه ولحيته استعدادا لمقابلة حبيبته او شقيقاته وامه وربما حتى اصدقائه. وفي صباح يوم الزيارة نستيقض مبكرين لنحلق لحانا ونغسل رؤوسنا ونتعطر ونلبس اجمل ملابسنا التي كويناها بثقل

اجسامنا. كانت الزيارات تتم في الرواق العريض الذي يحيط بأقسام السجن، والرواق عرضه يزيد عن 3م وهو يفصل أقسام السجن عن مباني السجن الأدارية. يسمح للعوائل بالدخول الى الرواق بعد تفتيش افرادها وتفتيش حتى المواد الغذائية، واحيانا يتخابث بعض افراد الشرطة بفتح وتهشيم الكبة والكيك والدولمة بحجة البحث عن رسائل حزبية، وكثيرا مايكون التفتيش استفزازيا وخاصة مع النساء. وفي أيامنا هذه نسمع بالأدانات لمدعين عروبيين واسلامين في العراق وفي الدول العربية للممارسات الامريكية المهينة لأبناء شعبنا اثناء دخولهم البيوت، وهذه الممارسات كان العروبيون خلال سلطة انقلاب 8 شباط وبعدها في عهد عبد السلام عارف سباقون اليها وربما استفاد المحتل من خبرتهم في مجال انتهاك حقوق الانسان، وهذا لايعني ابدا انني مع هذه الممارسات المذلة والمهينة للمجتمع العراقي تحت اي ظرف كان ومن اية جهة كانت، ولكن اين كانوا العروبيون والاسلاميون عندما انتهكت كرامة الانسان العراقي وانتهكت نساء العراق في تلك الازمنة السوداء. بعد دخول العوائل تفتح ابواب الاقسام ونخرج لمقابلة عوائلنا ونحن نحمل معنا البطانيات لنستعملها كفراش للجلوس. فتكون اللقاءات حارة وقلبية، ترى الام والاخت والابنة فيها تحتضن الابن والزوج والاخ والاب، وكثير من الزوجات اعتقل ازواجهن يوم دخلته او زفافه فتجد الزوجة تجلس بالقرب من زوجها خجولة تشد من معنوياته وتعاهده على الوفاء. تجلس العوائل متقاربة وتتبادل الاحاديث والاخبار والنكات وتتعارف وتقيم صداقات جديدة فيما بينها. وخلال وجودنا في السجن ورغم الصعوبات الماليه التي تعاني منها العائلة بسبب فصل والدي وانحسار دخل العائلة الى اقل من النصف، كانت والدتي وشقيقاتي لايتخلفن عن اية زيارة لنا، واحيانا تزورنا عمتي فضيلة (ام فردوس) وخالتي أم عبودي طيب الله ثراهن. وفي كل زيارة كانت الوالدة تجلب لنا الطعام، والفاكهة وما نحتاجه من صابون وشامبو وملابس وغيرها من احتياجات .

كانت حياتنا في السجن حياة تضامنية بحيث يخرج للمواجهات حتى السجناء الذين لم تاتي عوائلهم لزيارتهم لظروف قاهرة وكانوا هؤلاء الزملاء يشاركون عوائلنا الجلسات والاحاديث. وبعد انتهاء الزيارات، نسلم الاطعمة التي وصلتنا للجنة القاعة والتي تقوم على توزيعه على سفرة جماعية لتناول وجبة الطعام بشراكة الجميع. واذكر في احدى الزيارات وصلنا من فاكهة المشمش كمية كبيرة جدا. ولما كان الجو حار ولانملك ثلاجات لحفظه وخوفا من تلفه، قرر المشرفون على المخازن الاستفادة من الناضج جدا منه وتحويله الى شربت. واكثر الزملاء من تناول هذا الشربت حتى اخذ مفعوله في الجو الحار، وتزاحم معظم السجناء للانتظار امام المرافق الصحية وهم يتندرون على بعضهم !

– (1)في الواقع ان غرف (ردهات، او القاووش، او القاعات) السجن لاتسع هذه الاعداد التي ذكرتها، وحتى لاتسع نصف الاعداد المذكورة، لكن الازدحام في السجن يضطرنا الى التراصف بحيث اصبحت في بعض الاوقات ان عرض المسافة المخصصة لكل سجين لاتتجاوز 40 سم وحتى اقل من ذلك!!

(11)

في سجن نقرة السلمان

في يوم من ايام نيسان 1965 بلغت انا ومجموعة من السجناء بقرار نقلنا الى سجن ألنقرة ألصحراوي. وبذلك خسر والدي زميلا ورفيقا وابنا، كان دائما بجانبه يقدم له المساعدة ويتسلى معه. كان ألوالد مطمئناً من وجودي بالقرب منه لأكون تحت رعايته وتوجيهه، وإن وجودي معه في سجن واحد يخفف من متاعب العائلة في الزيارات وتكاليفها بينما انتقالي الى سجن اخر صحراوي وبعيد يشتت امكانيات العائلة الاقتصادية والمتواضعة جدا، اضف ألى هذه ألمصاعب مشكلة ألزيارات الى سجن نقرة السلمان والتي لآ تتم إلا بموافقة ألحاكم ألعسكري في بغداد واعتقد كان حينها رشيد مصلح. انتابت الوالد مسحة من ألحزن والقلق، وجاءه بعض ألزملاء واخذوا يهدؤنه، وقال له أحدهم: لاتحزن زميل ابوكفاح سنعوضك عن خسارتك للزميل محمد ونهتم بك وبإحتياجاتك!. إبتسم الوالد لهم بألم واضح وقال انني لست زميله فقط وانما أنا والده وبنقله يكونوا قد ابعدوه عني وعن والدته المسكينة، وسوف تفتقده ولا يمكنها زيارته.

بعد اربعة ايام من تبليغنا تم تسفيرنا في سيارة مشبكة خاصة لنقل ألسجناء. كنا أكثر من عشرة سجناء، اتذكر منهم جواد الرفيعي، محمود الحبوبي ورزاق من ألنجفيين، ومن الكربلائيين عباس واخوه اسماعيل الجصاص، محمود الصافي وعبد الأمير قنبر

وكذلك المعلم مضر من الديوانية واخرون. سارت السياره مخترقة شوارع الحلة باتجاه مدينة السماوة، وكنا ننشد الاناشيد الثورية وكان أهالي الحلة يحيوننا فيشدون من عزمنا ويرتفع صوتنا عاليا ونحن ننشد:

ألسجن ليس لنا نحن الاباة ألسجن للمجرمين ألطغاة

أو ننشيد نشيد الاممية:

هبّوا ضحايا ألإضطهاد ضحايا جوع ألإضطرار

بركان ألفكر في اتقاد هذا آخر انفجار

بجموع قوية هبوا لاح الظفر

وما ان ننتهي من هذا النشيد ألاممي حتى ننشد للجبهة الوطنية:

جبهة ألشعب وحدي كادحيه

ووطدي في ألنضال قوى الشعوب

في سبيل السلام والارض والخبز والوطن

قد كفى الشعب ما احتمل

وهكذا ودون كلل وبحماس متصاعد ننتقل من نشيد ثوري لآخر، حتى أن حراسنا يستغربون من كلمات اناشيدنا وحماسنا المتصاعد وكأننا ذاهبين لنزهة وليس لسجن صحراوي، ونحس بنظرات اعجابهم واحترامهم لنا، وهم في حيرة من هذا العناد والتصميم في السير بهذا الطريق الصعب. كان حراسنا يجلسون معنا في نفس (المقصورة) ويحتلون ألطرف الخلفي قرب الباب المقفل بمفتاح يوجد لدى احد الحراس المرافقين والجالسين بجانب السائق. وصلنا الى مركز شرطة ألسماوة، وعلمنا بمحاولة ألهروب ألفاشلة للشهيد وعد الله النجار من موقف السماوة ونقله قبل وصولنا بيومين

الى بغداد، حيث وشى به أحد ألمعتقلين ألعاديين وكشف امر محاولته للهرب، وقد نفذ .به حكم ألأعدام في زمن عبد ألسلام عارف

بعد يوميين من وصولنا تم نقلنا الى النقرة بمرافقة سيارة من شرطة البادية لمعرفتهم الطريق الصحراوي بشكل جيد، فاحيانا كثيرة تمحو الرياح ألشديدة اثار الطريق ويصعب على السائق القليل الخبرة معرفة الطريق الصحراوي المؤدي الى نقرة السلمان. التحق بنا في السماوة بعض مراجعين المستشفى من نزلاء النقره اتذكر منهم الملازم الطيار خالد حبيب. مع انطلاق السيارة لتشق شوارع السماوة انطلقت حناجرنا :وبحماس ننشد أغانينا ألثورية مجددا

يالرايح للشعب خذني وبنار المعركه ذبني

بركبتي دين اريد اوفي على عوام ألمضت مني

حزبك دوم غانم وسالم شوكه بعين كل عدو ظالم

:ثم ننتقل لاغنية

على يامال يردونه نوقع هالبراءة

شعبنه الأبي مانعوفه ولا نرضه بدناءة

رفيق انخاك دوم اصمد ولا تحني الهامة

يزول اللي يعادينه ونظل احنه النشامة

كان الحرس يطلبون منا ألسكوت لان هذا قد يعرضنا لعقوبات وكنا نجيبهم هل يوجد سجن اسوأ من النقرة؟ كما ان السلطة لايمكنها اسكاتنا، فنحن سجنا لأننا رفضنا السكوت والمهانة!؟ وترتفع اصواتنا ويشتد حماسنا كلما حيانا اهالي السماوة وهم

يرفعون قبضات اياديهم تعبيرا عن المساندة والتأييد. وعرفت السماوة واهلها بمواقفها الوطنية الشجاعة، والتي كللوها بتحديهم ايام حكومة شباط الدموية، عندما خرجوا متحدين الارهاب البعثي ليقدموا مساعداتهم لركاب قطار الموت من عسكريين ومدنين وطنيين، كان يراد لهم الموت في تلك المقبرة الحديدية.

ابتعدت السيارة عن مدينة السماوة تتقدمها سيارة شرطة البادية. أختفت عنا معالم الحضارة وساد امامنا منظر الصحراء ألقاسي على مد البصر. في أول الطريق كنا نرى بعض الطيور وبعض الجمال، وكلما اخترقت السيارة عمق الصحراء واقتربت للحدود السعودية، اصبح منظر الطيور نادرا، ولم نعد نرى حتى الجمال واصبحت الارض خالية حتى من الشوك البري. وبرزت طبيعة الصحراء بقساوتها وكأنها تتحدانا، ونحن نرى كيف ان الكثبان الرملية تتحرك كأمواج البحر. وصلنا السجن بعد الظهر وكان الراحل عباس بغدادي طيب الله ثراه، ممثلنا لدى ألإدارة، ومسؤولين من أدارة السجن في انتظار النزلاء الجدد وبعد الترحيب اخذنا عباس الى داخل السجن وكان في استقبالنا صفين من السجناء للترحيب بنا، وهي عادة اعتادها سجناء النقرة في استقبال زملاؤهم الجدد، ومن ثم وزعنا على ألقاعات (القواويش او الردهات). كنت انا وألأستاذ جواد الرفيعي وهو استاذ لغة عربية وكان آمر المقاومة الشعبية في النجف وصديق لابي وزميلي وزميل الوالد في سجن الحلة، من نزلاء القاعة رقم 3. وكان من نزلاء ألقاعة بعض الاصدقاء من كربلاء وهم ابراهيم كرماشه وجاسم فرحان وكذلك النقابي والشخصية ألوطنية صادق جعفر ألفلاحي، والطيب الذكر مصطفى عبود، والمهندس صباح محمود شكري.

كان فراشي الى جانب ألمقدم ألحقوقي نوري عبد الرزاق ونه طيب الله ثراه، عضو

لجنة تحقيق محكمة الشعب، كان كبير السن ومريضا وكنت اقدم له ألمساعدة كلما اراد، من يراه يقدر عمره اكثر من 80 عاما، بسبب مرضه وما قاساه في السجن، واعتقد انه لم يتجاوز السبعين. في احد الايام تدهورت صحته ولم ينقل بالسرعه اللازمة الى مستشفى السماوة، لان نقل السجين الى مستشفى السماوة يتطلب إرسال برقية الى بغداد ليأتي الجواب بالموافقة من الحاكم العسكري، رشيد مصلح، وهذه البيروقراطية كان يراد بها زيادة الضغط النفسي على السجناء، بدون أي شعور بالمسؤولية على حياة السجناء. نقل نوري الى مستشفى ألسماوة متأخرا فوافاه ألأجل بسبب التسمم الكلوي ولم يعد الاطباء قادرين على انقاذ حياته. وكان مرضه نتيجة حتمية لما عاناه في قطار ألموت ألسيء الصيت، خيم الحزن في السجن على فقدان زميلنا وهو بعيد عن اسرته وابنائه، وفي قاعته اقمنا له الفاتحة واستقبلنا زملاؤنا من القاعات الاخرى بتقديم التعازي المتبادلة لفقدان هذا الرجل الطيب.



مجموعة من سجناء النقرة عام 1964 في وسط ساحة سجن نقرة السلمان وخلفنا تظهر بعض القاعات، الواقفون من اليمين محمد الشبيبي وعلى يمينه مؤيد من الموصل وبجانبه جبار واخرون

كتب الكثير عن قطار الموت، ولابد هنا من الأشارة ولو بإختصار شديد الى هذه الجريمة التي اقترفها انقلابيوا 8 شباط عام 1963 من بعثيين وقوميين. اطلق مصطلح قطار ألموت على قطار حمولة لنقل ألبضائع، خصص لنقل مايزيد عن

ضابطا وجنديا وسياسيا من ألشيوعيين وأصدقائهم، اختيروا من بين1200 (1) 500 معتقل أو أكثر موجودين في سجن رقم واحد في معسكر ألرشيد بعد حركة ألشهيد حسن سريع في 3 تموز 1963. اطلق على القطار هذه ألتسمية لأن سلطة 8 شباط الفاشية كانت تهدف من عملية ألنقل هذه ألقضاء على حياة هؤلاء ألمناضلين. بعد ان جربوا عدة انواع من القتل منها تحت التعذيب بأنواعه، او الاعدام، أرادوا ان يجربوا القتل الجماعي بقطار الموت. فقد حشر هؤلاء ألمناضلين في عربات ألقطار الحديدي الخاصة لنقل البضائع والمواشي، بإشراف رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ورئيس اركان الجيش طاهر يحيى والحاكم العسكري العام رشيد مصلح، وبمشاركة كوادر بعثية وبعلم قياداتهم. وهي عربات حديدية تخلو من ألعازل ألحراري والكراسي، وكان معظمها مطلي بالقار ولايوجد فيها أي منفذ للهواء أو ألنور ماعدا الثقوب ألصغيرة والنادرة بين بعض مفاصل ألعربة. حُشِرَ هؤلاء ألمناضلون في تلك ألعربات بعد منتصف ليلة 3 تموز واقفلوا ابوابها، وبقوا داخل العربات عدة ساعات قبل ان ينطلق القطار في صباح 4 تموز حوالي الرابعة صباحا. كما طلب المسؤولون من سائق القطار (عبد عباس ألمفرجي) أن يسير ببطء للحفاظ على ألبضاعة !!، بحيث ان الوصول للسماوة سيستغرق عشر ساعات لقطع مسافة 290 كلم!! كانت العملية مخططة من قبل مجرمين احترفوا القتل، مستغلين ما ستسببه أشعة شمس تموز ألحارقة وتحويل العربات ألى فرن حراري ومن ثم قبرا جماعيا. لكن بعض ألشرفاء والطيبين من عمال ألسكك، والذين عرفوا بتعاطفهم مع ألحزب الشيوعي وبغضهم ألذي تضاعف لحزب ألبعث بسبب ممارساته ألدموية، أسرعوا وأخبروا سائق القطار بطبيعة حمولته

البشرية ليسرع بها لإنقاذهم من موت محقق، وتمكن الشرفاء من المواطنين من ابلاغ سائق القطار بطبيعة حمولته بعد ان توقف في احدى المحطات بعد ساعات من بداية رحلته، كما بادروا وابلغوا أهالي مدينة السماوة لإنتظار ألقطار وتقديم ألمساعدة لراكبيه. وهكذا أُنقذ هولاء الضباط من موت محقق ماعدا الرائد يحيى نادر حيث توفى في المستشفى. وما ان وصل الخبر الى اهالي السماوة الطيبين حتى خرجوا نساءً ورجالا وشبابا متحدين بشجاعتهم سلطات 8 شباط الدموية، يحملون معهم المياه والمواد الغذائية لتقديمها للسجناء واسعافهم لانقاذهم من موت محقق، ولولا توجيهات الدكتور رافد صبحي (احد ركاب قطار الموت) ورفاقه من اطباء للمسعفين لكانت نتائج اسعافاتهم عكسية، حيث طلب من المسعفين الامتناع عن سقي المعتقلين بالماء وانما بالماء المركز بالملح لتعويض الجسم بما فقده من املاح. وقد يتسائل البعض عن ألسبب وراء مبادرة عمال ألسكك وسائق القطار لإنقاذ حياة ألركاب المعتقلين، ويرون ان العملية مجرد صدفة وليس فيها اي دافع سياسي او اي حب وتعاطف مع المناضلين، فأقول لهؤلاء أن تعاطف ألشعب مع ألحزب والقوى الديمقراطية وعزلة حكام شباط جماهيريا ومكانة الحزب الشيوعي التأريخية بين عمال السكك هي التي كانت وراء تصرف هؤلاء الشجعان ألمجهولين من عمال ألسكك لإفشاء سر حمولة قطار ألموت، وسيبقى اسم سائق القطار عبد عباس المفرجي خالدا في قلوب ركاب قطار الموت وفي قلوب كل ابناء الشعب العراقي لتصرفه الشجاع وستذكره الاجيال بفخر واعتزاز.



في سجن نقرة السلمان وبين الشجيرات التي زرعناها، محمد الشبيبي وخليل الفخري جالسانوالواقفون من اليمين خلف جودة طيب الله ثراه، خضير عباس (ابو سهيل) وكريم حسين

بعد ايام من وصولي بلغت بواجبي في العمل بتهيأة وجبات الشاي للقاعة، وكان عليَّ تحضير ثلاث وجبات شاي يوميا لزملائي في القاعة البالغ عددهم اكثر من 170 زميلا. لقد أحببت هذا العمل وكان كل مايهمني ان اقدم لزملائي شايا صافيا وبنكهة طيبة. فالماء الذي نستعمله كثير الاملاح حتى أن الشرب منه اول الايام يسبب إسهال شديد مصحوب بآلام معوية أحيانا، لذلك ينصح القادمون الجدد بعدم الاكثار من شرب الماء في الايام الاولى، حتى تتعود المعدة على املاحه. يوم خفارتي لتحضير الشاي اهيأ الاواني والماء اللازم من الليل، فأقوم بغلي الماء الضروري لوجبة الشاي الصباحي واتركه لتركد في قعره الاملاح التي يحتويها الماء، لأن هذه الاملاح تفقد الشاي طعمه ولونه الزاهي. احيانا استغل عملي في المطبخ الصغير الخاص بالقاووش لصناعة الروبة (اللبن) من الحليب الباودر مستفيدا من الحرارة بقرب قدر الشاي، خاصة في الشتاء حيث الجو البارد، كي تساعد وتسرع عملية التخمير. نقوم بإعداد ألشاي وحفظ ألأواني ألخاصة بالقاعة في ملاحق بمساحة 6 متر مربع بنيناها ملاصقة للقاعات من

ألجهة ألخلفية ألقريبة للسياج الخارجي. وكان نشاطنا في تنظيم حياتنا اليومية واضحا وذلك من خلال بناء المرافق الضرورية لتسهيل معيشتنا في هذا السجن الصحراوي .

بذلت منظمة الحزب في السجن من خلال ممثلنا جهودا لأقناع إدارة السجن بمطالبنا في توفير الكهرباء والماء للسجن، كانت إدارة ألسجن هي الاخرى تعاني من شحة ألماء. تمكنا أخيرا من الحصول على ألعدة اللازمة لتمديد الكهرباء الى السجن كذلك حصلنا على إمكانية سحب المياه من ابار قريبة ومد أنابيب الماء الى السجن، كانت نوعية الماء رديئة ولا يصلح للشرب بسبب كثرة أملاحه، مما اضطررنا لاستعماله للغسيل والتنظيف فقط، وبذلك نكون قد سهلنا مشكلة كبيرة، كنا نعاني منها وهي شحة ألماء. ونكون نحن سجناء نقرة السلمان أول من أسس الكهرباء والماء في هذا السجن الصحراوي ألمقيت. وهذا لايعني اننا استغنينا عن جلب الماء الصالح للشرب من مسافات بعيدة، وهو ليس صالحا 100% فما يحتويه من املاح ليست قليلة وتاثيرها على الصحة واضحا، ولكنه افضل من الماء الذي توفره لنا الابار القريبة واقل ملوحة منها. لذلك كان ينقل الماء بالتنكرات الى السجن ويقوم الزملاء الخفراء بملأ اواني الشرب الفخارية (ألأحبوب) الموزعة بين القاعات، وتزويد المطبخ بالماء الكافي لأنجاز وجبات الطعام، وتخزين مايحتاجونه في خزانات خاصة. اما الماء الذي تمدنا فيه الابار القريبة فهو لايصلح حتى للأستحمام، لكننا كنا مضطرين للاستحمام به لعدم توفر الماء الجيد، وكان هذا الماء سببا في تساقط شعر رؤوس الكثيرين (طبعا انا واحد منهم)، وحتى الملابس التي نغسلها به لم تتحمل أملاحه، وتهتري بسرعة! اما بالنسبة للكهرباء فلم يكن سجن نقرة السلمان موصل بالكهرباء ماعدا الادارة التي كانت تتمتع بالكهربة وبالماء الصالح ، وكان هذا اسلوبا للأنظمة الأستبدادية للامعان في أضطهاد المناضلين والضغط عليهم. وبجهود ممثلينا لدى الادارة ومطالباتنا المستمرة والدؤبة

وبوحدتنا حول التنظسم، تمكنا من اجبار السلطات على الموافقة على تمديد الطاقة الكهربائية الى داخل السجن، فأستغنينا عن الفوانيس واللوكسات في انارة القواويش وبقية الملاحق من الابنية .

كانت أعدادنا في السجن في إزدياد ووصل عددنا الى اكثر من الفين بقليل. ازدحمت القاعات وسبب هذا الازدحام بعض الاحتكاكات والمشاكل بين سكان القاعة ألواحدة. قررنا في قاعتنا، وكذلك في معظم القاعات، ان يتم تحديد عرض فراش كل سجين وقمنا بهذه العملية عدة مرات، حيث نسلم يطغاتنا (فراش النوم) لأحد زملاؤنا الندافين وهو حمد النداف الكربلائي لأعادة ندفها ليصبح عرضها متماشيا مع شروط القاعة، واخيرا تقرر ان لايتجاوز العرض 40 سم، وبامكان القارئ ان يتصور مشاكل ومتاعب هذا ألضيق، خاصة اذا تواجد في ألقاعة مجموعة من كبار السن واصحاب الكروش ويعزفون سمفونياتهم بشخيرهم اثناء النوم، وتكون انت وسط اثنين من العازفين البارعين، أو أذا نشبت ألحرب بين مجموعة وهم يغطون في نوم عميق وبسبب امراض المعدة وطبيعة الطعام تبدأ مدافعهم بالقصف ألعشوائي، وكانت كل هذه الاحداث، بما فيها ألآحلام المسموعة، محل تندر وتعليق من قبل الزملاء الخفراء في الليل، خاصة ان بعض الخفراء يحاول المبالغة وتزويق كلامه ليجعل حديثة مسليا ومشوقا. كان لكل قاعة خفراؤها ليلا، كل خفر عليه ان يتنقل داخل القاعة بهدوء ودون ازعاج النائمين لمراقبة مايحدث في القاعة او تقديم المساعدة لزملائه اذا اقتضت الضرورة، وتدوم الخفارة لساعة، بعدها يوقض الخفر التالي وهكذا تكون الخفارات من الساعة الثانية عشر ليلا وحتى السادسة صباحا ويوميا. ويمارس هذا العمل كل زملاء القاعة. وهناك خفارة اخرى على مستوى السجن بكامله، حيث يتناوب كل ساعة زميلين في الخفارة، مهمتهم مراقبة الاوضاع خارج القاعات وحتى داخل القاعات،

وتقديم المساعدات الطارئة اذا ماطلب منهم احد السجناء والتبليغ عن كل حدث غير طبيعي يشاهدونه .

– (1)لاتوجد مصادر تحدد بدقة عدد الضباط المنقولين، حتى ان المنظمة الحزبية في نقرة السلمان للأسف لم تحاول ان تجري احصاء وتثبت العدد بالاسماء وتدون تفاصيل الحدث والمشرفين عليه ودور كل ولحد منهم، وقد ذكر الدكتور الراحل علي كريم سعيد في مؤلفه (العراق البرية المسلحة، حركة حسن سريع وقطار الموت 1963 في الصفحة 250) عدة ارقام من عدة مصادر، منها من كانوا مسؤولون في سلطة 8 شباط كحازم جواد وطالب شبيب وغيرهم، واخرون كانوا من ضمن الضباط المنقولين بالقطار، ورجح الراحل الرقم (1150) الذي ذكره الضابط الطيار عبد النبي جميل، ولاحظت ان كريم سعيد يخلط في ذكر الارقام بين عدد العسكريين الموجودين في سجن رقم واحد في معسكر الرشيد وبين عدد الذين نقلوا بقطار الموت.

(12)

في سجن نقرة السلمان

كل قاعة مسؤولة عن تأسيس مكتبتها الخاصة وتعمل على تطويرها وإغناءها من خلال استنساخ بعض الكراريس والكتب وتبادل هذا النشاط مع القواويش الاخرى، او بمبادرة بعض الزملاء بتكليف عوائلهم ليجلبوا معهم اثناء الزيارة بعض الكتب الأدبية. استلمت أنا مسؤولية مكتبة ألقاعة، إضافة لمسؤوليتي عن تحضير وجبات الشاي والخفارات الليلية. تحتوي مكتبة القاعة على قصص وروايات وكراريس سياسية واقتصادية بخط اليد، وكان بالإمكان الاستعارة من مكتبات القاعات الاخرى. مسؤوليتي عن مكتبة القاعة وفر لي فرصة المطالعة واختيار الكتب والكراريس كلما وجدت مؤلفا غير محجوز، أدبيا كان او سياسي، لأنكب على قراءته. وقمت بإستنساخ بعض الكراريس وبادلتها مع المكتبات الاخرى وبذلك اغنيت المكتبة بكراريس جديدة. وفي احد المرات فُقدَ من المكتبة احد الكراريس وازداد الطلب عليه واحرجت امام زملائي من القاووش لعدم قدرتي على المحافظة على موجودات المكتبة. اخذ الشك يساورني بأن احد الزملاء (جبار) وراء اختفاء الكراس لإحراجي واظهاري بمظهر المهمل، وطلبت من المسؤول عن القاووش ان نطلب من الجميع ان يفتشوا اماكنهم جيدا بمشاركة جيرانهم، وعثرنا على الكراس واعترف جبار انه تقصد اخفائه لأنه كان يطمح بإستلام المكتبة بدلا عني وقدم اعتذاره امام القاووش.

كانت حياتنا اليومية منظمة، فالاعمال والواجبات موزعة على السجناء حسب امكانياتهم مع مراعات رغباتهم. العمل بالمخازن والمطبخ واختيار الاشخاص المناسبين والقادرين على توفير الوجبات الثلاثة لجميع السجناء وامكانية التقنين بالمواد والتغلب على شحتها من المهمات الصعبة. فمخصصاتنا اليومية كما اتذكر كانت105 فلس او اقل للسجين الواحد. كان اختيار العاملين والمشرفين على عمل المطبخ وإدارته والاشراف على المخازن لتدبير العمل المطبخي من الامور الصعبة والتي تحتاج الى مخططين جيدين في هذا المجال، وكان الزميل حاتم من الموصل احد العاملين النشطين والجيدين في عمله. العمل في المطبخ لم يكن سهلا، فالتخطيط لوجبات الطعام وتنويعه على مدى الاسبوع مع الامكانيات المحدودة يقيد من حرية المخططين. اما الطباخين، الذين يطبخون لأكثر من 2000 سجين، فعليهم تقع صعوبات اخرى، يجب ان يكون الطعام لذيذا، لازيادة ولا نقصان في الملح والحامض، وان يكون الرز معتدل الطهي، وغيرها من متطلبات الذوق في الطبخ والاكل. وعلى من يوزع الرز والمروقات وما تحويه من خضروات ولحوم ان يكون عادلا في توزيعه يتناسب مع ساكني كل قاعة، وهذه مهام صعبة وعلى العاملين في المطبخ ارضاء كل الأذواق. كان العاملون في المطبخ يبذلون كل جهودهم من اجل توفير وتقديم الطعام على افضل وجه ويستغلون كل مايتوفر لديهم للإستفادة منه وعدم التبذير، فمثلا لم يهملوا بقايا الذبائح كرؤوس الغنم، فينظفونها ويطبخونها وتقدم كوجبة (باجة) للفطور لأحدى القاعات، وكانت هذه الأكلة المحببة للعراقيين تحصل عليها القواويش بالتتابع. ويمكنني ان اشهد بدون تحفظ بعد هذه السنوات الطويلة بأن زملاؤنا العاملين في المطبخ بذلوا كل جهودهم واخلصوا بعملهم بنكران ذات وهم يستحقون الشكر والتثمين.

في المناسبات الوطنية، كذكرى تأسيس الحزب وثورة 14 تموز وثورة اكتوبر الروسية، كانت هناك اعمال اضافية لزملاؤنا في المطبخ، فعليهم تقع مسؤولية تحضير وجبة طعام متميزة عن الوجبات العادية وتتناسب مع المناسبة الوطنية. وكانت المنظمة تعمل جهدها لتوفير المال اللازم لتغطية مصاريف مثل هذه الوجبة المكلفة نسبيا، مستفيدة من ارباحها الشحيحة من محل المبيعات وتنظيم صرفيات المطبخ على طول الفترة السابقة. فمثلا تقدم وجبة طعام السمك رغم غلائه وصعوبة نقله، فتكون وجبة ذلك اليوم الاحتفالي عبارة عن سمك بالرز والكشمش واللوز (مطبك)، او دجاج بدل السمك، ولا تخلو هذه الوجبة من الفاكهة الاضافية. لم تكتف المنظمة بتقديم الوجبات الخاصة في المناسبات وانما كانت تمنح الكثير من الزملاء من عجزت عوائلهم عن مساعدتهم ماليا بتقديم الملابس الجديدة لهم وحسب احتياجاتهم كهدية بالمناسبات. ولا بد من الاشارة الى ان المنظمة كانت تبذل جهودا جبارة رغم الظروف التي نعيشها من تقديم المساعدات للزملاء المحتاجين وتوفير السكائر للمدخنين منهم، وذلك من خلال تنظيم نشاط الحانوت وتبرعات المتمكنين.



مجموعة من سجناء نقرة السلمان عام 1966 يحضرون وجبة الطعام في مطبخ السجن (1) يتوسطهم الزميل عدنان محمد السعيد

تشييد ألابنية الضرورية لحياتنا ونشاطاتنا كانت مستمرة وذلك بالاستفادة من المهندسين والبنائين ذو الخبرة. كنا نستفاد من خبرات جميع الزملاء المهندسين، وكان الجميع يقدم خبراته ومقترحاته في طريقة البناء واختيار المواقع والتخطيط، ويتم هذا من خلال لقاءاتهم ودراسة المقترحات، ولا ينسى سجناء نقرة السلمان دور المهندسين عصام غيدان، وكاظم مكي وعمله اليومي دون كلل، وعبد الرزاق مطر وغيرهم من لاتسعفني الذاكرة بأسمائهم. وكان البناء يتم حسب خطة مدروسة وليس عشوائيا بحيث تكون الأبنية المنشأة تستجيب للأحتياجات. شيدنا مستوصفنا الخاص ، ويتكون من غرفة استقبال واخرى للفحص والعلاج، وبجانبه يوجد المذخر. ويشرف على المستوصف مجموعة من الزملاء الاطباء، كالدكتور عبد ألصمد، صلاح ألهاشمي، رافد صبحي، سعيد غدير،عبد الصمد وسالم سفر وأخرون لاتحضرني للأسف أسماؤهم من ضمنهم اطباء ألأسنان. وكان هذا المستوصف بإمكانياته المتواضعة قادرا على توفير الظروف البسيطة للأطباء لاجراء بعض العمليات الجراحية الصغيرة. كما كلف ألبعض

من ذوي ألإختصاص بإدارة مذخر ألأدوية، التي كنا نوفرها من خلال المساعدات ألتي تصلنا من ألأصدقاء من خارج ألسجن. لم يعالج ألاطباء في سجن ألنقرة زملاؤهم من السجناء فقط وإنما تمت معالجة حراس ألسجن وعوائلهم. وليلا كان هناك دائما خفر من احد الاطباء، لأستقبال الحلات الطارئة ومعالجتها، كما كنا نبلغ الخفراء الليليين باسم الطبيب الخفر ورقم قاعته وكان الطبيب الخفر يسهر ليلا بجانب فانوسه ألأحمر ليسَهل على المراجع ألأهتداء اليه من دون ازعاج الاخرين او الاستعانة بهم. وفي النهار يتناوب ألأطباء والممرضين في العمل في المستوصف.

كانت حياتنا أليومية كلها نشاط وحيوية، صباحا وأثناء تناول الشاي الصباحي نستمع لنشرة ألاخبار التي تعدها اللجنة المسؤولة عن رصد ألاذاعات وتدوين أهم ألاخبار وبأشراف ألمنظمة ألحزبية للسجن. ولا تخلو هذه ألنشرة من ألمزاح والنكتة لنشر الفرح والابتسامة على وجوه الزملاء، مثلا كان في قاووشنا الزميل عباس مرعب من مدينة الحلة وهو من قيادة المنظمة الحزبية لكلية التربية وزميل لأخي همام، كان يقرأ دائما نشرة ألأخبار ويرد في نطقه بحرف ألراء، فحشرنا مع ألنشرة هذا ألخبر (قرر نيريري في مارس قرارا تحرريا ثوريا لتطوير الزراعة)، وعندما وصل لهذا ألخبر وقرأه ضحك ألجميع، حتى هو لم يتمالك نفسه فشارك ألاخرين بالضحك، وعرف ان الخبر حشر من اجل النكتة والمزاح، وطلب من زملائه الهدوء لأعادة قراءة الخبر وإستيعابه!. بعد النشرة والإستراحة بقليل توزع علينا المواد الأولية لتحضير وجبة ألطعام أليومية. هذه المواد تشمل ألحبوب بأنواعها والخضروات، حسب احتياجات وجبة أليوم، فتكون مهمة إدارة القاعة توزيع هذه المواد على نزلآئها لتنظيفها من ألشوائب أوتقليم وتقطيع ألخضروات كالبامية والباذنجان، وتتناوب ألقاعات على هذه الخدمة، ففي كل يوم تكون عدد من القاعات مسؤولة عن هذا العمل، وألعمل هذا لايأخذ

من وقت ألسجين أكثر من نصف ساعة. اذا لم تكن علينا واجبات اضافية نستغل الفترة الصباحية بالمطالعة وتبادل الزيارات او انجاز بعض المهمات الخاصة كغسيل الملابس .او زيارة الاصدقاء في القواويش الاخرى



سطح المطبخ ومن مجموعة من العاملين في المطبخ من سجناء نقرة السلمان سنة 1967/1966 وهم فوق بعيد تظهر بعض اجزاء قرية السلمان وسط الصحراء

رياضة المشي هي من الرياضات الشائعة والمستحبة للسجناء. خلال المشي نلتقي بكل ألاصدقاء ونتبادل معهم مختلف ألاحاديث والنكات واخبار ألاهل والاصدقاء واهم احداث واخبار القاعات ألاخرى، ونتناقش حول اخر الاخبار السياسية، فننجز أكثر من مهمة خلال رياضة المشي. بعضهم يتمشى برفقة اصدقاء وهذا هو ألسائد، ولكن تجد ألبعض احيانا يفضل ان ينفرد في ألمشي، فيترك ألعنان لأفكاره بالإنفلات لتعبر سياج ألسجن وربما تقطع الصحراء هائمة تبحث عن ألحرية. اثناء السير خلال اليوم كنا نلتقي ببعض ألاصدقاء يسيرون فراداً، بعضهم يسرع في سيره كأنه يريد ان يمسك بهدفه، وآخر يسير الهوينة مهموما يفكر بمستقبله وهو في ربيع شبابه او في مصير عائلته التي تركها تعاني دون اي مورد مالي، كنا نمزح معهم ونقطع عليهم افكارهم بكلمة

واحدة كلما قابلناهم (هسيس) ونقصد بها أسرح بأفكارك. أذا وجدنا ان بعضهم استغرق طويلا في انفراده نبادر الى مقاطعته ومرافقته والحديث معه لأنتشاله من وحدته وانعزاليته وتفهم معاناته .

ينقسم سجن ألنقرة الى قسمين، القلعة وهي الجزء القديم ومن مخلفات العهد الملكي ويقطنها السجناء الشيوعيين واصدقاؤهم من كل القوميات اضافة لسجناء من القومين الديمقراطين الاكراد حيث يسكنون احدى قاعات السجن القديم، وتقع بين الأدارة والسجن الجديد وهي شبه معزولة عن السجن الجديد ولكن بابها الوحيدة مفتوحة دائما على السجن الجديد، ويتنقل سكانها بكل حرية بينها وبين السجن الجديد. والسجن ألجديد يكون الدخول اليه عبر القلعة وهو كبير جدا. يتكون من عشرة قاعات مستطيلة الشكل (ردهات او قواويش)، وتتوزع هذه القاعات على جانبي السجن الجديد، خمسة قاعات على كل جانب وتفصل بينها ساحة واسعة بمساحة ملعب القدم تقريبا نستغلها للنشاطات الرياضية ولمباريات كرة القدم ولرياضة المشي. والقاعات متساوية المساحة ومتشابهة بالتصميم بحيث ان عرض القاعة 5,2م (2) تقريبا وطولها اعتقد يزيد عن 40 م وللقاعة بابين من كل جانب عرضي، الباب الأمامي يشرف على ساحة السجن الكبيرة ويقابل القواويش في الجانب الاخر، والباب الخلفي من الجانب المعاكس للقاعة ويشرف على الطريق الفاصل بين القاعة وسياج السجن وتكون هذه الباب قريبة لمصادر المياه (الحنفيات) او ألأحبوب (اواني فخارية كبيرة) المخصصة لماء الشرب. قرب الباب الخلفي وملاصق للقاووش يوجد ألملحق المستعمل لطهي الشاي وخزن الآواني. وبين كل قاعتين توجد ساحة يتجاوز عرضها 12 م، مفتوحة من الأمام على ساحة السجن الكبير ومن الخلف تشرف على الطريق الفاصل بين سور السجن والقاعات، تستغل هذه الساحة صيفا للنوم وسهرات السمر الليلية وحتى في الشتاء

حيث ينصب المتسامرون خيمة من البطانيات لتقيهم برد الشتاء الصحراوي القاسي للسهر مع صوت ام كلثوم في حفلاتها الاسبوعية والتي نلتقطها من احد المحطات بمذياعنا الخاص. توجد ساحة نستغلها في لعب كرة السلة، حيث ثبتت على طرفيها اهداف لكرة السلة وبقياسات نظامية. وتقع الساحة بمحاذات سجن القلعة ومفتوحة من جهاتها الثلاثة ومتصلة بساحة السجن الكبيرة، لكنها شبه معزولة عن الساحة الكبيرة. وبين القاعات الخمسة من كل جانب وسياج السجن مسافة تتجاوز ثمانية امتار، اصبحت كطريق يلف حول القاعات والساحة الكبيرة، ويستغل من قبل الرياضيين والاخرين للتدريب على الركض وتحسين اللياقة وتخفيف الوزن، وكذلك يمكن ممارسة رياضة المشي على هذا الطريق او اجراء سباقات الركض والماراتون. سياج السجن مبني من الحجر وارتفاعه يزيد عن 5م وتعلوه شبكة من الاسلاك الشائكة، وفي اركان هذا السياج توجد ربايا صغيرة للمراقبة .

معظم بناء السجن من الحجر، وقاعات السجن الجديد مستطيلة ومرتفعة نصف متر عن ساحة السجن. وللقاعة من جوانبها الطولية شبابيك، بعرض لايزيد عن 50 سم وطول لايتعدى 1,5 م، ومرتفعة عن ارض القاعة بأقل من متر. وللشبابيك من خارج القاعة توجد شبكة من القضبان الحديدية مثبتة بالجدران بحيث تكون متعامدة مع بعضها بمسافات لاتتجاوز العشرين سنتمترا، وكنا نستغل هذه الشبابيك لتعليق أوعية حفظ ماء الشرب (الجوت) كي تتعرض للهواء لتبريد الماء. وبين شباك واخر قد لاتتجاوز المسافة 4 م. في موازاة القاعة رقم 5 وبعيدا عنها تم بناء مجمع لعدد غير قليل من المرافق الصحية .

في الجانب الاخر البعيد عن الادارة والقلعة اي بموازات قاعة رقم 10 شيد السجناء

مطبخهم والمخازن والمركز الصحي (مستوصف السجن) والملاحق الضرورية لكل قسم منها. اما بالجانب الاخر وبمحاذات قاعة رقم 6 فكانت هناك مجموعة ابنية، منها ورشة الخياطة، ورشة النجارة، صالون الحلاقة، محل الخياطة، محل بيع المواد الغذائية والسكائر والمعلبات وغيرها ، وخلفها توجد الحمامات وشيدنا بعض الغرف الخاصة كالصفوف او غرف للإجتماعات. وكان الاستحمام يتم من خلال منح السجين تنكة ماء ساخن (حوالي 60 لتر) ليتدبر فيها نفسه، واحيانا نحصل على كمية اضافية ان توفر الماء ويتم هذا بالتفاهم مع الزملاء العاملين في خفارة الحمامات. ومقابل الحمامات وبمحاذات جدار القلعة خصصت المنطقة لغسل الملابس وبين منطقة الغسيل هذه والحمامات ساحة استغلها بعض الزملاء المحبين للزراعة بحرثها وزرعها بالرغم من رداءة التربة، ونمت بعض النباتات والازهار بالرغم من المياه المالحة ومياه الغسيل التي تتسرب للمنطقة .

– (1)جزيل الشكر للصديق والزميل السابق عدنان محمد السعيد (ابو محمد)، والذي عاش في سجن نقرة السلمان بين الاعوام 1963 و 1968 وكان احد اعضاء الفريق الرياضي ومن شغيلة المطبخ، لتزويدي بمجموعة من الصور التي تعكس حياة السجناء في سجن النقرة .

– (2)القياسات التي ذكرتها في الحلقات الاخرى او في هذه الحلقة هي قياسات تخمينية اعتمدت فيها على الذاكرة ونظام معيشتنا وسكننا.وانا ارجو من جميع الزملاء اللذين سبق وان قضوا محكومياتهم في سجن النقرة وتوفرت لديهم بعض المعلومات الدقيقة او انهم وجدوا ان معلوماتي غير دقيقة الكتابة لي لتصحيح او اضافة بعض المعلومات، وسأكون شاكرا لهم .

(13)

في سجن نقرة السلمان

وجود كادرا مجربا ومتقدما من اعضاء اللجان المحلية والمنطقية في المنظمة الحزبية في سجن النقرة امثال عبد الوهاب طاهر وسامي احمد وعباس بغدادي طيب الله ثراهم جميهم كان سببا رئيسيا لقوة المنظمة وتماسكها بالرغم من شراسة ودموية الضربة التي وجهت للحزب. اضافة لوجود الكثير من الكوادر الحزبية الوسطية، وكثير من القيادات والوجوه السياسية الوطنية، والتي لم تتعرض لتحقيقات الحرس القومي في مقرات التعذيب مما جعلها بعيدة عن الأسقاط السياسي الذي تعرض له الكثيرين بسبب التعذيب البربري فكان لها ألتأثير النفسي ألإيجابي على معنويات الآخرين والتفافهم حول قيادة المنظمة. ان من عاش احداث 8 شباط 1963 يعرف ان الكادر الحزبي وخاصة القيادات المتقدمة اذا ماتعرضت للإعتقال والتحقيق في مقرات الحرس القومي لم يبق امامها إلا أحد خيارين قاسيين أحلاهما مر، اما الأستشهاد تحت التعذيب وهذا ماحدث للكثير من اعضاء اللجنة المركزية واعضاء المناطق وحتى اعضاء القواعد، وفي مقدمتهم الشهيد الخالد سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية والشهداء جمال الحيدري، حمزة سلمان، حسن عوينة، محمد صالح العبلي وغيرهم من شهداء صمدوا ببطولة وشجاعة وحافظوا على اسرار الحزب، بينما الخيار الثاني كان هو الانهيار المعنوي والسياسي وبدرجات متفاوتة، فكثير من القيادات الحزبية لم تتمكن من

الصمود وتحمل التعذيب فإنهارت ولم تتمكن من المحافظة على الاسرار الحزبية، بل ان البعض قد انهار حتى قبل ممارسة اي تعذيب معه كما حدث لهادي هاشم الاعظمي والذي كان يلقب بأسد السجون لمواقفه البطولية في سجون العهد الملكي، وسبب انهياره كشف الكثير من البيوتات الحزبية وادى الى القبض على سكرتير الحزب ورفاقه من اعضاء اللجنة المركزية، ويذكر طالب شبيب في مذكراته بأن الأعظمي تطوع في الأعترافات بدون تعذيب!. ان وجود بعض القيادات الحزبية في المعتقلات منذ عهد عبد الكريم قاسم ساعد الحزب كثيرا في المحافظة على بعض كوادره وانقاذها من احد خيارين، الأستشهاد تحت التعذيب او الإنهيار (والسقوط) السياسي، وكانت القيادات الموجودة في سجن النقرة محظوظة من هذه الناحية، ماعدا الشهيد حمزة سلمان الذي استدعي الى بغداد وعذب حتى الموت. لذلك حافظ سجن النقرة على الكثير من الكوادر الحزبية التي ساعدها الحظ ، الحظ لاغيره، على تجنب نتائج تحقيقات الحرس القومي والخيار القاسي. وبجهود هذا الكادر والذي كان يمتلك الشرعية الوحيدة والقدرة على قيادة المنظمة وحتى المساهمة الفعالة في إعادة بناء الحزب وجمع شتات الاعضاء، خارج السجن، حيث تقطعت بهم العلاقات الحزبية بسبب شراسة الضربة. وهذا ماساعد المنظمة من امكانية توحيد جميع السجناء ورفع معنوياتهم ومواصلة قيادة العمل الحزبي داخل السجن، والاستفادة من كل الامكانيات المتوفرة من اجل اعادة بناء الحزب داخل وخارج السجن، وشكلت المنظمة لجانا حزبية لدراسة مواقف الرفاق اثناء التحقيق وتقييمها مجددا، وإعادة الكثيرين منهم الى العمل الحزبي المنظم مجددا.

وبذلت المنظمة الحزبية جهودا واضحة بإتجاه تطوير امكانيات الرفاق والاصدقاء نظريا، في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية. واستفادت المنظمة من امكانيات الرفاق والاصدقاء في تلك المجالات وفتحت صفوف دراسية ، لتدريس الأقتصاد، القضية الزراعية، المادية التأريخية والديالكتيك وغيرها من مواضيع وعلى

مختلف المستويات، ولهذه المهمة تم تشييد مجموعة من الصفوف. وكانت هذه الدورات فرصة للكثيرين في تطوير امكانياتهم النظرية والثقافية، وساهم الكثير من ألأساتذة السجناء في تدريس اللغات كالإنكليزية والروسية والعربية، وحتى الأميون استفادوا من دورات محو الامية. ودورات التثقيف لم تعتمد فقط على ماتخططه المنظمة من دورات واسعة وانما كانت هناك نشاطات تخص كل قاعة للعمل من اجل تكليف احد نزلائها من تقديم محاظرات تثقيفية وندوات خاصة بها. كما استفاد بعض الطلبة، بعد انتقالهم الى سجون اخرى، ممن كانوا في الصفوف المنتهية من الثانوية (الخامس الإعدادي) من انجاز امتحانات البكالورية بالاستفادة من مساعدة زملائهم من الأساتذة المتخصصين في المواد العلمية والأدبية، وقد حصل الطلبة السجناء بعد ضغوطهم على إدارة السجن للسماح لهم للمشاركة في إجراء امتحانات البكالورية. وهكذا حول السجناء الشيوعيون السجون التي عاشوا فيها الى مدارس لتطوير امكانياتهم النظرية في جميع المجالات مستفادين من ابسط الامكانيات المتوفرة لديهم.



فريقان من سجناء نقرة السلمان عام 1966 يمارسان لعبة كرة القدم في ساحة السجن الجديد

كانت النشاطات ألرياضية من اهم النشاطات اليومية وذات شعبية واسعة. فريق كرة القدم من ألفرق ألقوية، ومن ابرز لاعبيه جمولي من منتخب ألشرطة واخرون غيره

من لاعبي كرة ألقدم في منتخبات مدنهم أتذكر منهم جميل، أحد شغيلة المطبخ، من مدينة الناصرية. كرة ألسلة لنا منها اكثر من فريق، وتوجد فرق خاصة لأكثر من قاعة، وكان مسؤول المنظمة الراحل عبد الوهاب طاهر (ابو خلوق) احد اللاعبين اضافة لمجموعة من الملازمين الطيارين والملاحين الشباب ومنهم موفق ...... ، حيث يتميز لعبهم بالخفة والفن والحرفية مايثير حماس المشاهدين واعجابهم. وكانت لدينا فرق كرة الطائرة وضمت بينها لاعبين متمكنين. تجري ألمباريات بين قاعات السجن كل يوم تقريبا حيث تتنافس الفرق فيما بينها ، بشكل دوري وفي كل ألألعاب، والمنافسات تكون قوية ومشوقة، وكان حكم معظم هذه ألألعاب حليم من قاعة رقم 3 وهو رائع ودقيق وغير متحيز في تحكيمه. في ايام ألمناسبات كالأعياد وذكرى تأسيس ألحزب وغيرها ننظم دورة مباريات في مختلف ألألعاب، وتوزع ألهدايا، وسمعت من احد الزملاء القدماء والذي عاش لسنوات في نقرة السلمان ان مدير ألسجن عبد ألرحمن جاسم وكان بعض الزملاء .(1)حضر بعض هذه النشاطات الرياضية وقام بتوزيع ألجوائز الملاحين يقدمون مساءً في ايام الاحتفالات عروضا جميلة لبعض الحركات الجمبازية، ويشارك فيها كل من الملازم الطيار (او ملاح) موفق ..... مع زميل طيار اخر له لا اتذكر اسمه. لابد من ألأشارة ألى ان منظمة الحزب نجحت في تكوين علاقة جيدة مع إدارة ألسجن ممثلة بمديرها. تفهم ألمدير لنا ربما ناتج من شعوره بأنه هو أيضا يعاني .مثلنا من العيش في هذه ألصحراء النائية

كانت لعبة الشطرنج شائعة، وكان بيننا من الزملاء الفنانين والمتخصصين بصناعة أحجار الشطرنج والتفنن بها لتكون جميلة ومتناسقة وكأنها صنعت في معمل متخصص. يعتمد هؤلاء على بقايا حشوة الصمون (نوع من ألخبز العراقي) لتشكيل منه عجينة بخلطها بالسكر والصبغة المطلوبة لصناعة الأحجار حسب الألوان التي

تتطلبها اللعبة. كان خوشابة (للاسف لا أذكر اسمه الكامل) أحد البارعين في صناعة احجار الشطرنج، فقد تعلم صناعة احجار الشطرنج منذ دخوله السجن ايام العهد الملكي. قضى خوشابة سنوات من عمره ايام العهد الملكي متنقلا بين سجونه وعاش احدى مجازر السجون واصيب بعدة جروح وكسور اثناء وقوفه وزملائه بشجاعة ضد اعتداءات ادارة السجن ايام مديرها عبد الجبار ايوب، وقد تعرفت عليه في سجن النقرة بعد ان كان زميلا لعمي محمد علي في سجن الكوت وسجن بغداد المركزي. تستقطب مباراات الشطرنج الكثير من الزملاء، خاصة اذا كان المتباورن بارعون في اللعبة، حينها ينقسم المشجعون الى فريقين، يتحمس فيها كل فريق لتنبيه احد اللاعبين الى بعض كمائن اللاعب الآخر وتحذيرهم من النقلات المغامرة والخاطئة. وتدخل المراقبين في كل ألألعاب يثير في معظم الاحيان غضب أللاعب ألخاسر وحماس وتحدي اللاعب الرابح، وترتفع اصوات المشجعين وتختلط بصياح ورجاء المتباريان بالكف عن التدخل والتشويش ولكن دون جدوى. كان من افضل لاعبي الشطرنج صباح محمود شكري وهو مهندس مدني واصبح لفترة مسؤولا عن ألقاعة 3. وكانت لصباح اهتمامات اخرى كمتابعة ودراسة الكواكب والمجرات وكان يدون مايطلع عليه من معلومات في دفتر خاص يوثقه بصور وأحيانا برسومات يدوية توضيحية جميلة، وكنا نتمتع ونستفاد من معلوماته هذه. ومن ألبارعين في لعبة ألشطرنج ألراحل ذو المواهب ألمتعددة مصطفى عبود طيب الله ثراه ، والذي كرس كثيرا من وقته في الترجمة من ألإنكليزية وقراءة ماتوفر من مقالات ودراسات باللغة الإنكليزية. وشاءت ألصدف أن ألتقي به في بولونيا بعد عشرة سنوات من خروجي من سجن نقرة السلمان. حيث إستضافته صحيفة ألحزب الشيوعي ألبولوني (منبر الشعب) كمحرر صحفي نشط موفد من صحيفة الحزب الشيوعي العراقي طريق الشعب، وكنت مرافقه ومترجمه لأكثر من أسبوعين خلال البرنامج الذي اعد له، فكانت فرصة جميلة أن نستعيد ذكرياتنا عن نقرة

ألسلمان وزملاؤنا هناك ونتابع اخبارهم واين حلَّ بهم الدهر. أما اللاعب الثالث كان ألشيخ عزيز من مدينة السماوة، ألمتحدي ألاكبر لصباح ولمصطفى وبسبب تحدياته وإصراره على ألفوز يخسر كثير من المشجعين ويتكاثر المتدخلون لغير صالحه مما يؤثر على هدوئه ورباطة جأشه. هذه بعض الصور من أجواء ألقاعة (قاووش 3) فالمتسابقين جميعهم من نفس القاعة.

لابد ان اذكر حادثة طريفة قصها علينا شيخ عزيز حدثت له في كربلاء اثناء موسم الزيارة في أيام ألعهد ألملكي. كان متواجداً في كربلاء لزيارة ضريح الحسين (ع) وشاهد تظاهرة ضد حلف بغداد فقرر ألمشاركة فيها واثناء سير ألتظاهرة حمله أحدهم على كتفيه من بين المتظاهرين ليهتف، وتحمس الشيخ وأطال بالهتاف لكنه وجد ان التظاهرة ابتعدت عنه وإذا بحامله يأتي به للرصيف لتكبل يديه ويعتقل ويزور موقف كربلاء بدل زيارته ألمنشودة، فالذي حمله على كتفه كان أحد الشرطة السرية لمدينة ألسماوة.

صباحا او عصراً تستغل ألظلال ألتي توفرها جدران القاعات ليلتقي تحت ظلها المربي يحيى قاف مع ابي نجلاء، والاثنان ربما شارفا على السبعين عاما إذا لم يكونا قد تجاوزا ذلك، يتحديان بعضهما البعض في لعبة النرد (الطاولي). المباريات بينهما لها نكهة ومتعة خاصة تشد الكثيرين لمتابعتها وإثارة أحدهما على ألاخر لزيادة التحدي وسماع تعليقاتهما. حيث يجلس رجلان مسنان انهكتهما الشيخوخة، عاجزان عن القيام بأي عمل ونشاط، لكن النظام الدكتاتوري البعثي ومن ثم العارفي وجد فيهما خطورة فزج بهما في السجن حتى اخر لحظة من حياتهما كما حدث للمربي الجليل يحيى قاف طيب الله ثراه. وبسبب وضعهما هذا تراهما يصبان حقدهما على طاولة النرد ومايجلبه

النرد لهما من حظ سيء. كانا يشترطان على بعضهما استعمال كوب صغير لوضع النرد فيه ورميه بدل مسكه باليد ورميه، ومع هذا كان كل منهما يصد حجر ألاخر بحجة انه يتحايل عليه ويمسكه ويرميه بطريقة فنية بحيث تأتي النتيجة كما يتمنى بالرغم من ألاستعانة بالكوب. مبارياتهم التي تستغرق ساعات وهم في منافسة حادة يتبادلان فيها كلمات التحدي والاستخفاف بقدرة المقابل والقدرة على محاكاة الحجر ليستجيب لأماني اللاعب، وحسراتهما الصادرة من الاعماق بسبب سوء الحظ حتى مع النرد وتعليقات بعضهما على الاخر كانت ممتعة واحيانا تجعلنا متعاطفين مع حسراتهم. لقاءاتهم اليومية على طاولة النرد، متنقلين من مكان ألى آخر بين القاعات إحتماءً بظلالها وبإستضافة محبيهم، فرصة ممتعة وتقضية للوقت للكثيرين منا، فنتجمع حولهم وتزداد متعتنا في مشاهدة مقابلاتهم الجذابة والتمتع بتحدياتهما المتبادلة أو غضبهما أوحقدهما على ألنرد وكيل المسبات لهذا النرد المعاكس. ومايزيد انفعالاتهما هو انقسام المتفرجين وانحيازهما لأحد ألطرفين وتحريض احدهما على الاخر، كان هذا الحال بمجمله يزيد هذه التحديات متعة وانشدادا، خاصة عندما نراقب خفة أناملهم في نقل .ألأحجار وما يرافقها من محاولة غش مقصودة واحيانا غير مقصودة



احد فرق القدم لسجناء نقرة السلمان عام 1966/1965 ويتوسطهم الزميل عدنان محمد السعيد من مدينة البصرة

ألأماسي ألشعرية والأدبية والثقافية كانت من ألأنشطة المعتادة وخاصة في ألمناسبات الوطنية والأعياد. وتكون هذه ألنشاطات ذات نكهة خاصة ليس للسجناء وحدهم وانما لسجانيهم خاصة عندما يحيي هذه ألأماسي ألشاعر ألرائع مظفر النواب وزميله سعدي ألحديثي في إلقاء اشعار مظفر وبصوته ذو النبرة المتميزة بطريقة غنائية يتناوب عليها الإثنان. كان صوتهما يملأ فضاء ألسجن حتى يتخيل لك أن هذا الصوت ألجميل الذي يجمع بين صوت إبن المدينة وصوت البدوي إبن ألصحراء يخترق هذه الصحراء الشاسعة ليصل لأطراف ألقرية التي تسكنها عوائل ادارة السجن. كان صوتهما يشق سكون ليل الصحراء الصيفي ليقول لكل من يسمعه نحن هنا نحطم قيود ألسلطة الدكتاتورية ونتحدى ارهابها بصوتنا، رغم تعسفها وإضطهادها لنا سوف نبق ننشد للحياة وكلنا أمل بأن قضية الشعب ستنتصر. كان الشاعر مظفر النواب لايبدع فقط في غناء اشعاره وانما كان يجيد تقليد غناء المطربة ام كلثوم، وكثيرا مايغني (لسه فاكر) او غيرها من اغاني كوكب الشرق في الاماسي ويبدع فيها وينوع من انشاده ليمتع سامعيه.

وفي المسرح كانت لنا فرقتنا المسرحية وتضم فنانين وممثلين من خريجي معهد الفنون الجميلة او من الهواة المتحمسين، اذكر منهم الصديق العزيز عدنان صاحب الملا عمران من مدينة الناصرية، وكان عدنان مبدعا في مسرحيته التي كان يجيدها ويعرضها في أكثر من مناسبة، وهو يمثل فيها لوحده متقمصا فيها اكثر من شخصية وبعدة ادوار. كما قدمت فرقة السجن مسرحية (البستوكة) المعرقة، وكان بطلها الزميل صباح محمود شكري، وقد مثل فيها ألدور الرئيس (دور الخياط فرفوري) وقد أجاد الدور وساعده على ذلك نعومة جسمه.

كانت اماسي الصيف جميلة، الجميع يفرش فراشه في الساحات المجاورة لقاعته بعد تنظيفها ورشها بالماء لترطيب الهواء حيث يهدء الجو وتصفو ألسماء بعد نهارٍ قائض حمل لنا ماحمله من رمال واتربة، هكذا كان دائما جو الصحراء. نفرش افرشتنا في تجمعات متجاورة، وكل واحد منا يشعل فانوسه النفطي، ووضع بجوار فراشه وبجانب مخدته جوت ألماء. وألجوت كيس من النسيج السميك والذي يسمح بنضوح الماء فيساعد على التبخر الذي يؤدي الى تبريد الماء في داخل الجوت، والبدو وسائقي المقطورات في العراق يستعملونها لتوفير الماء البارد للشرب. وأعتقد ان كلمة جْوتْ حرفت عن (جَوتَ) والاخيرة تعني دعوة الأبل الى الماء، فأصبح المصطلح جْوتْ ويعني إناء الماء من النسيج الذي يستعمله البدو للإرتواء من مائه المبرد بفعل عملية التبخير. من لايملك الجوت يستعمل بعض القناني البلاستك ويغلفها بما توفر لدية من مناشف مستهلكة وترطيبها لكي يبرد الماء في القنينة.

نهارا في الصيف يكون الجو حارا وجافا لايطاق بسبب اشعة الشمس القوية والأتربة.

وفي معظم أيام الصيف تهب خلال النهار رياح وعواصف رملية تزيد من قساوة الجو ويصبح الجو جافا متربا، فيتعرض زملاؤنا المصابين بمرض الربو الى ازمات حادة. حينها يحتمي الجميع في قاعاتهم ولا يخرجون إلا للضرورات، وتغلق الشبابيك والابواب تجنبا للرمال، وحتى ملاحق القاعات تعبث بها الريح والرمال، فأن سلمت الاواني فيها من لعب الرياح بها ودحرجتها خارج الغرفة، فأن الرمال تفعل فعلها مما يضطرنا لغسلها مجددا. بعضنا يغطي الشباك القريب منه ببطانية متهرأة اوبقطعة قماش ويرشها بالماء ليتجنب الرمال وليكسب الهواء البارد نسبيا. اما في الليل صيفا فتهدأ الرياح وتخف درجات الحرارة، حتى ان البعض يستعمل الاغطية للنوم في ساحة السجن. ويكون ليل الصيف ذو سماء صافية ومطرزة بالنجوم المتلألئة والمتناثرة في طول السماء وعرضها، ويزداد جمالها عندما يكون القمر بدرا فيضفي نوره جمالا على الصحراء ويشيع في النفوس الطمأنينة والهدوء والرغبة الرومانسية لكتابة الرسائل والخواطر. واحيانا نستيقظ صباحا وقد سبقت نهوضنا الصباحي المبكر العواصف الترابية، فننهض وقد فعلت العواصف المصحوبة بالاتربة والرمال فعلها في اغطيتنا وأفرشتنا.

ليلا يتوزع السجناء في مجاميع وبين كل قاعتين تجد هناك اكثر من تجمع للسمر وللنقاشات الجدية والمتخصصة، فيجتمع بعض الاطباء لمناقشة امكانية تطوير المركز الصحي وعملهم وكيفية الحصول على المزيد من الادوية، والمهندسين يلتقون ليقيموا عملهم وانجازاتهم اليومية ودراسة المقترحات لبناء المزيد من المرافق الضرورية لحياتنا، وهكذا تجد الجميع يلتقي ويقديم مايراه ضروريا من مقترحات. البعض يحتفظ بحصته من العشاء ويلتحق بإصدقاء له من قاعة اخرى ليتناول عشائه مع اصدقائه بعد اجراء بعض التحسينات والاضافات عليه ومواصلة السمر والسهر واستقبال الزيارات

او زيارة الاخرين للسهر معهم. وبين القاعتين 3 و2 يكون مجلس الخال، والخال هو العميد ابراهيم الجبوري أحد مؤسسي التنظيم الشيوعي في الجيش واحد ركاب قطار الموت. يفرش فراشه قريبا من مقدمة قاووش رقم 2 ويتخذ من جدار القاووش متكئا له، ويحاول ان يفرش اوسع مساحة ليستقبل زواره للسمر، فمساحة السجن تسمح لك ان تعوض الضيق الذي تعاني منه شتاء، يتجمع حول الخال زملاؤه ورفاقه في الجيش وتبدأ النقاشات والجدل في كل شيء وتتخلل النقاشات النكات وتسمع ضحكاتهم وقهقهاتهم. آخرون يتحلقون ليستمعوا لغناء ام كلثوم وقد اخذهم الطرب فيرددون الاغنية معها. البعض يتبادلون ذكرياتهم ويتذكرون احبائهم واصدقائهم. مجموعة اخرى تلتقي ويدور بينها نقاش حول سياسة الحزب واسباب نجاح انقلاب 8 شباط ودور ضباطنا وفشلهم بإحباط الانقلاب. وكان أكثر ألمواضيع السياسية إثارة للنقاشات، أسباب إنتكاسة ثورة 14 تموز ونجاح إنقلاب 8 شباط، أو ماجاء به خط آب 1964 من طروحات يمينية. ومثل هذه النقاشات كانت تثير الكثير من الخلافات والمشاحنات والتوترات بين الزملاء وخاصة بعد خط آب اليميني، وللأسف ان بعض هذه النقاشات والخلافات في المواقف الفكرية والسياسية كانت تؤدي الى مشاحنات ومشاجرات، حتى وصل بالبعض ان يتوج نقاشاته بالاعتداء على احد زملائه وجرحه بالسكين جرحا خطيرا كاد يؤدي بحياته، كما حدث للزميل والصديق الرائد يونس مجيد (ابو فارس). كان ابو فارس هاديء الطباع، حلو المعشر واجتماعيا، ولم يعرف عنه اي تشدد ولم يكن بطبيعته عدوانيا. فقد كنا نحن الشباب نلتقي لنسهر معه وهو يحدثنا عن ذكرياته عن صديقه الشهيد صلاح أحمد ومحاولات هروبه الفاشلة، وعن ذكرياته معه اثناء دوراتهم في الاتحاد السوفياتي وكيف كانوا يكيدوا المقالب لبعضهم في المزاح مع الفتيات السوفيتيات، وللأسف تعرض لمحاولة اعتداء استنكرها جميع الزملاء.

يوميا وبعد الفطور يجلب زملاؤنا المسؤولون عن الاتصال بالادارة ماوصل الى السجن من بريد، والزميل جمعة اللامي هو المسؤول عن احضار البريد. خبرة العاملين في هذا المجال وطول فترة مزاولتهم لهذا العمل، تمكنهم من معرفة البريد لكل قاعة حتى وان لم يكتب على الظرف رقم القاعة. حيث ترسل كل قاعة زميلا كساعي بريد لها، ويلتقي سعاة البريد في قاعة واحدة وتوزع عليهم الرسائل والرزم الخاصة بقاعاتهم ليقوم كل واحد منهم بدوره على توزيعها لزملائه في القاعة. الجميع يتلهف لوصول الرسائل فهي واسطتنا الوحيدة لسماع اخبار الاهل والاحباب والاصدقاء. ومن تصله رسالة يفتحها بلهفة لقراءتها، وربما يشارك جاره او صديقه في قراءة بعض فقراتها او يقرؤها بصوت مسموع اذا لم تحوي بين سطورها خصوصيات عائلية. بعض الرسائل تحمل في طياتها اخبارا سارة ونكات واخبارا عامة عن الجيران والاصدقاء، وبعضها الاخر يحمل مالايسر من اخبار فرضته الظروف القاسية على كاتبها. ويبقى الزملاء من لم يستلم بريدا يلفه الحزن والكابة لحين من الوقت، وخاصة هؤلاء الذين بعثوا مايكفي من الرسائل على امل ان يستلموا جوابا، وهم متشوقون وعطاشى لسماع ماحل بعوائلهم من ضيم وقهر. محاربة السجين بقطع المراسلات عنه، اي جعله في عزلة عن عالمه الخاص من زوجة وابناء ووالدين واشقاء، تهدف منه السلطات الاستبدادية الحط من معنوياته وكسر ارادته.

كنت استغل ليالي صيف النقرة بمراسلاتي للوالد والأهل، فصفاء الجو وجمال السماء والهدوء الذي يسود بعد نهار حار وعاصف بالاتربة والرمال، يثير في النفس الشهية في الكتابة بعيدا عن توتر الاعصاب والإكتآب وانت ممدد على فراشك وبجانبك الفانوس النفطي حيث تتراقص في داخله شعلة النار متجاوبة مع انسام ليل الصيف الصحراوي. اكتب رسائلي للوالد كمعلم وصديق وزميل ، حيث كنت تلميذه في الصف الرابع

والخامس والسادس ألابتدائي، فأكتب له عن مطالعاتي واخبار الأصدقاء واهم الاحداث في سجن النقرة، وعن معارفي الجدد من اصدقاء. وكانت رسائله لي دائما توجيهية، ينتقدني ويناقشني فيها على ما اكتبه او اقرأه ، وينبهني الى بعض الاخطاء في كتابتي ويشجعني على المطالعة والاستفادة من وجودي في السجن. وكان طيب الله ثراه متمكنا من اللغة العربية وقواعدها وهذا مايشهد به جميع طلبته وزملائه من المعلمين، وعندما كانت تجري احيانا مباريات في الخطابة بين المدارس كانت المدرسة التي يشرف فيها والدي على كلمة الخطابة واسلوب الإلقاء هي الفائزة الاوُلى. رسائل ألوالد لي، حتى بعد ان تغربت أثناء دراستي في بولونيا او عملي في ألجزائر بين اعوام (79/84) وعودتي مرة أخرى للدراسة في بولونيا اواخر عام 1984، كانت الوسيلة الوحيدة من عائلتي، للتواصل بيننا واخباري بما يجري في الوطن في ظل حكم نظام البعث الصدامي فيكتب لي باسلوب ادبي ومبطن لاينتبه اليه الرقيب. ومن سجنه في الحلة يكتب لي أخبار ألبيت ومايجري من أحداث في سجن ألحلة، ويرفق رسائله بإرشادات ونصائح لي. وكان معجبا بفلسفة يلخصها ببيت من الشعر ينصحني به دائما :

كن وردةً طيبها حتى لسارقها لادمنةً خبثها حتى لساقيها

لا تخلو رسائله لي وانا في سجن النقرة من النكات والقصص الطريفة، وكتب لي مرة عن حادثة طريفة وصدفة غريبة حدثت له وكان بصحبة ألشهيد ألشيخ عبد ألجبار ألأعظمي طيب الله ثراه (1). يقول فيها: كنت قبل يومين برفقة الشيخ في ساحة سجن الحلة الجديد نشرب الشاي ونتابع في نفس الوقت لعبة كرة الطائرة التي يمارسها اللاعبون عصر كل يوم، واذا بكبسة قوية من أحدهم لم يتمكن اللاعبون من صدها، فأكون أنا ضحية هذه الكبسة ويطير كأس ألشاي من يدي. واليوم كنت والمهندس شاطي عودة عصرا نشرب الشاي ونراقب كالعادة لعبة كرة الطائرة، فحدثت شاطي بما جرى

لي بالأمس وطلبت منه ان نبتعد قليلا لأشرب الشاي بهدوء بعيدا عن منغصات كرة الطائرة الطائشة، وقبل ان اكمل ماحدث لي بالأمس وإذا بكبسة من لاعب تطيّر كأس ألشاي من يدي!!

عندما كنت في سجن الحلة كان جميع السجناء يتذمرون من ضغوط إدارة السجن وتعاملها معنا، حتى عوائلنا تعاني من ألتأخير وألانتظار الطويل تحت أشعة الشمس صيفا او تحت ألأمطار شتاءً ومن التفتيش المهين للنساء اثناء الزيارات الشهرية ، حتى ألأطعمة لم تنجو من خباثات المفتشين والمشرفين عليهم من ضباط، فكانوا يعبثون بالرز والمرق ويخربون حتى الكبة والدولمة والمحشي والكيك بحجة البحث في داخلها عن رسائل. وكان المسطر (مصطلح نطلقه على عملية تعداد السجناء) يجري بتجمعنا في ساحة السجن، وكما أذكر كان يجري في اليوم مرتين، صباحا وقبل انتهاء الدوام الرسمي. والمسطر يتطلب الأنتظام في طوابير من 10 اشخاص على ما اتذكر، ونجلس القرفصاء في ساحة السجن لفترة تتجاوز النصف ساعة تحت اشعة الشمس المحرقة صيفا، او شتاءاً تحت زخات المطر وفي البرد القارص. وكان بعض الحاقدين واللؤماء من الضباط (مأموري السجن) والمشرفين على تعداد السجناء يتقصدون تأخيرنا ونحن جالسين القرفصاء لأنتظار نهاية التعداد ، ويتحججون بعدم تطابق اعدادنا مع العدد الرسمي، وهكذا نبقى جالسين في ظل ظروف قاسية تسبب للكثيرين وخاصة كبار السن آلاما في السيقان والمفاصل والظهر وصداعا وغثيانا. والمسطر مهمة تحتاج للدقة والتأكد من العدد الكلي للسجناء ومطابقته للعدد الرسمي المسجل لدى الادارة. وتكمن صعوبته من اضطرار بعض السجناء لمغادرة اقسامهم، كأن توجد مجموعة من السجناء في المطبخ لتهيأة وجبات الطعام، واخرون في فرن الصمون، وقسم في الحمامات او المرافق الصحية او مشرفين على تسخين الحمامات، وهناك بعض المرضى الغير

قادرين على مغادرة فراشهم، وهكذا يقوم المشرفون على المسطر بجمع كل هذه الاعداد ومقارنتها مع العدد الرسمي فإن تطابقت ينتهي المسطر وان اختلفت يعاد التعداد مجددا ونحن على نفس الوضعية من الجلوس، وقد تتكرر اعادة العد اكثر من اربعة مرات احيانا. كان ممثلينا في سجن الحلة يطرحون كل هذه المشاكل اما ألأدارة لحلها وتجنيب ماتتعرض له عوائلنا من اهانات وطول انتظار اثناء الزيارات، واقترحنا عليهم إجراء المسطر ونحن في غرفنا وعلى افرشتنا تجنبا لحرارة الشمس والبرد والامطار. ولكن ألأدارة كانت دائما ترفض هذه الطلبات. وقد ساءت معاملة العوائل بعد وصول مأمور سجن موصلي ألأصل، ويدعي تمسكه بالفكر العروبي والأسلامي ويقتدي برئيسه عبد السلام عارف، وكان هذا المأمور يتحين الفرص في كل مناسبة ليمارس خبثه وسوء اخلاقه معنا ومع العوائل فينطبق عليه المثل القائل (عصارة لؤم في قرارة خبث).

واشتكت عوائلنا منه كثيرا وخاصة النساء، وكان يتدخل حتى في تفتيشهن بالرغم من وجود نساء من ادارة السجن مهمتهن التفتيش. ولم يعد السجناء يتحملون س المأمور العروبي المؤمن. وامام لا أبالية إدارة السجن مما يحدث من معاملة سيئة واستفزازية من قبل هذا المأمور قرر السجناء ان يقوموا بتأديبه بأنفسهم. هذا ماكتبه والدي في رسالته لي وانا في سجن النقرة من دون ان يكتب عن اسباب ودوافع السجناء لعلمي ومعرفتي بها من خلال وجودي في سجن الحلة، لكنه حدثني بتفاصيل الحادث بعد خروجنا من السجن في ايلول 1965. قرر السجناء ان يكون يوم تنفيذ الخطة اثناء الزيارة الشهرية وامام عوائلنا ، مستغلين الازدحام وتواجد جميع السجناء من كل الاقسام اضافة لوجود جميع العوائل من نساء ورجال واطفال وبذلك يكون من الصعب على إدارة السجن معرفة تفاصيل ماحدث ومن المسؤول عنه. تطوع بعض السجناء للقيام بعملية التأديب (2)، وكان أحد هؤلاء الملازم المدفعي فاضل عباس وللأسف لاتسعفني الذاكرة ببقية الأسماء. كان السجين الملازم المدفعي فاضل رياضيا، ذو جسم

ممتلئ طويل القامة، ويتمتع بقوة وعنفوان الشباب. بدأت الزيارة وخرج السجناء لرواق السجن لمقابلة عوائلهم، وكان المأمور كعادته الإستفزازية يتجول في الرواق بين السجناء وعوائلهم بنظراته الوقحة للنساء وبطريقة استعراضية وإستعلائية وخبيثة، وهو لايعرف ماذا خطط له السجناء الشجعان وماذا ينتظره. حدد فاضل وزملائه المكان الذي يجب ان تتم فيه عملية التأديب، واختاروا المكان الذي تواجدت فيه بعض العوائل والنساء الشجاعات ليساعدن في عملية التغطية والتشويش والأحاطة بهم لمنع تدخل الحرس وابعادهم عن الحادث وعدم فسح المجال للحرس او اي شخص غريب لايثق به. كان المأمور يسير دائما برفقة الحرس، نجح السجناء بإستدراج الحرس وابعاده عن المأمور، وعند اقتراب المأمور من المنطقة المحددة للتأديب قابله فاضل بجسمه الضخم الرياضي وضربه بكتفه ضربة قوية جعلته يترنح ويقع ارضا، ثم امسك به من ربطة عنقه يطلب منه الأعتذار لأن كتفه (كتف فاضل) تأذى من الأصطدام! كان المأمور غير مصدق لما يحدث ومازال على عنجهيته ورد بخشونة على فاضل، فانهالت عليه بدون رحمة الراشديات والبوكسات والرفس بالاحذية من فاضل وزملائه! كانت صرخاته واستنجاداته تضيع بين هلاهل النساء وضحكاتهن وشماتتهن وتشجيعهن لفاضل وزملائه على تأديب المأمور ألتافه. لا بل ان النساء والاطفال وحتى الرجال من الزائرين احاطت بفاضل وزملائه، وعملوا حاجزا من الصعب، على الحرس، الوصول اليهم ومعرفة مايدور في وسط الحلقة، وهكذا اشبع المأمور ضربا بالاحذية، وساهمت بعض النساء بضربه بالاحذية والبصاق على وجهه، وسألنه بإحتقار اين هي شجاعتك التي تتضاهر بها امامنا اثناء التفتيش، وكان يتوسل بالكف عن ضربه واعدا اياهم بأن لا يعود الى الاستفزاز والاساءة. جاء الحرس لكنهم وجدوا صعوبة لأختراق تجمع الزائرين من النساء والرجال والاطفال، وكانت هلاهل النساء وصيحات الرجال المشجعة طاغية على صوت المأمور الجرذ ولم يتمكن الحرس معرفة مايدور ومن هو المستغيث. بعد ان

ادى الملازم فاضل وزملائه المهمة بأحسن وجه واصبح المأمور منهكا بحيث لم يعد قادرا على الوقوف وتشخيص المحيطين به لما سببته اللكمات على وجهه وعينيه من ورم وكان الدم يسيل من فمه وانفه وتهرأت ملابسه، بعد هذا الحال المزري للمأمور الجبان، تركوه متسللين بين الجموع ليختفوا بين السجناء والزوار ويؤدوا واجب اللقاء مع عوائلهم، وبقي المدير محاطا بالنساء والاطفال يكيلون له السباب والتأنيب لسوء اخلاقه ويذكرونه بأن هذا هو جزاء كل متغطرس جبان وارعن. اخيرا تفاجأ الحرس بأن المستغيث كان مأمورهم، وهو ممدد على الارض لايقوى على النهوض. أثارت عملية التأديب ادارة السجن، ووصلت اخبارها الى مديرية السجون ووزارة الداخلية. ارسلت وزارة الداخلية وفدا للتحقيق بما جرى ومعاقبة السجناء. أُستدعي ممثلنا شاطي عودة طيب الله ثراه مع بعض الزملاء في المنظمة للتحقيق معهم لمعرفة القائمين بالاعتداء والكشف عن اسماؤهم. كان موقف ممثلنا والمنظمة وكل السجناء موقفا موحدا وواضحا، الإصرار بإنكار معرفتهم للأشخاص الذين قاموا بعملية التأديب، ومستنكرين تصرفات المأمور اللاأخلاقية اتجاه النساء اثناء الزيارات، وتصرفاته الأستفزازية للسجناء امام عوائلهم واثناء المسطر او خلال جولاته الغير ضرورية الى اقسام السجن والتي كان يقوم بها لغرض التحرش بالسجناء واستفزازهم. ولم تتمكن لجنة التحقيق من معرفة اسماء من قام بعملية التأديب، وخاصة ان الطيب الذكر شاطي عودة وضح للجنة التحقيق، وبالتفاصيل والأمثلة، ان تصرفات واخلاق المأمور السيئة جدا، والمتنافية مع اخلاقنا الاسلامية والعربية، خلقت له اعداء كثيرين بين السجناء والعوائل. وعادت اللجنة الى بغداد ولم تتمكن من معرفة القائمين بالاعتداء، لا بل اضطرت ادارة السجن بمديرها الموافقة على مطالب السجناء. وكانت أهم هذه المطالب، ابعاد المأمور من الاحتكاك اثناء الزيارات الشهرية بالزائرين وخاصة النساء ، ومنع المأمور من دخول الاقسام وخاصة اقسام السجناء السياسيين، وان يتم المسطر (التعداد) في القاعات

والسجناء جالسين او ممددين في افرشتهم وبدون المأمور. كانت هذه اهم الانجازات التي كسبها سجناء سجن الحلة بعد عملية التأديب.

في احد ألأيام استلمت رسالة من البيت وعلى ظرفها توصية كتبها ألرقيب العسكري في مركز بريد كربلاء يطلب فيها من إدارة سجن ألنقرة إيصال ألرسالة لي! وقد اثارت هذه التوصية استغرابي مما زادتني فضولا وتشوقا لفتحها ومعرفة ماتحمله من اخبار من الاهل، بعد انقطاع طويل، ودوافع توصية الرقيب. بعد ان فتحت الرسالة وكانت بخط شقيقتي تخبرني فيها أن الرقيب ألعسكري في كربلاء أتصل بالبيت وسلمهم رسالة وصلت مني وفيها تذمر من ألرقابة وإدارة السجن لعدم أهتمامهم برسائل السجناء وعوائلهم واهمالها او انهم يتلفونها اما بسبب جهلهم او لكسلهم وعدم رغبتهم في ممارسة رقابتهم للأطلاع على رسائلنا بسبب كثرتها. كانت رسالتي هذه بعد انقطاع طويل وفيها نقد وهجوم شديد وقاسي على الرقابة والسلطة، وكانت لاتخلُ من القذف على السلطة وقادتها السياسيين واتهامهم بممارسة الضغوط علينا وسلب ابسط حقوقنا الأنسانية وهي التواصل مع عوائلنا عبر الرسائل. وقد وقعت هذه الرسالة، وهي تحمل بين سطورها شكواي وتذمري من انقطاع رسائل عائلتي لفترة طويلة بيد ألرقيب ألعسكري في كربلاء الذي اطلع عليها وأتصل بعائلتي موضحا لها موقفه، واعتذر للاهل عن كل تقصير واكد لهم انه مهتم بإيصال رسائل العوائل الى ابنائها في السجن وان اي انقطاع للرسائل سببه جهة اخرى غيره!. تكتب شقيقتي في رسالتها ان الرقيب اقسم بشرفه انه لم يحجب اية رسالة وعدم وصول الرسائل قد يكون سببه جهة اخرى غيره، ولكي يثبت لوالدتي صدقه طلب منها ان تكتب رسالة وتسلمها له مباشرة ليهتم هو بإيصالها، فكانت هذه الرسالة مع توصيته ووصلتني فعلا. حين كتبت الرسالة كنت منفعلا بسبب الضغوط النفسية التي اعيشها مع عائلتي وابعادي عن والدي واصبح كل واحد منا في سجن، وعدم امكانية عائلتي لزيارتي في سجن النقرة إلا بموافقة خاصة

من الحاكم العسكري في بغداد، وزاد الطين بلة انقطاع الرسائل لفترة طويلة بالرغم من كثرة مراسلاتي لوالدي ولعائلتي. لذلك عندما كتبت رسالتي كنت منفعلا ولم اكن متهيبا من وقوعها بيد الرقيب، حتى وان كان الرقيب سيئا وحقودا، ففي اسوء الحالات سيتم التحقيق معي وتوجيه اتهام لي بالتهجم على السلطة والمسؤولين واحالتي للمجلس العرفي بتهمة جديدة، وهذا ماكنت اطمح له! فاحالتي للتحقيق وللمجلس يعني نقلي الى بغداد لعدة ايام وبذلك ستسنح لي الظروف بمقابلة عائلتي والتنقل بين المواقف والوصول الى بغداد، وسماع اخر الاخبار عما يجري في الوطن من المعتقلين الجدد في المواقف (المعتقلات)، والتمتع بمشاهدة ابناء شعبنا وشوارع مدننا الحبيبة وعاصمتنا التي احببناها بعد حرماني والزج بي في السجن ، وربما تتم اعادتي الى سجن الحلة لألتقي بوالدي واكون معه مجددا، ولايهمني بعد هذه المتعة ماسيصدره المجلس العرفي من حكم جديد واضافي. ولكن الرسالة وقعت بيد رقيب عسكري يتعاطف مع قضايانا ويتفهم معاناة السجناء. قررت ان اكتب رسالة لطيفة عنونتها للرقيب العسكري في كربلاء شاكرا اياه موقفه النبيل والشجاع. بعد ذلك استمرت رسائل الأهل تصل بإنتظام مع توصية على ظرفها من الرقيب، أما رسائل والدي كانت غير منتظمة، وسبب ذلك لايعود للوالد وإنما لإدارة سجن الحلة والرقيب هناك كما أعتقد.

بعد خروجي من السجن صادفني شاب بملابس عسكرية في صالون حلاقة لصديقي الراحل صادق الحلاق طيب الله ثراه وبارك لي خروجي من السجن بالعبارة التي سمعتها لأول مرة عندما اطلق سراحي من سجن الكوت وهي (يفداك من راعك)، وطلب ان يكلمني على انفراد خارج الصالون، في وقت كان بعض المعارف (والاصدقاء) يتهرب ، حذرا او خوفا، من التحدث معي بكل اسف. خرجت معه من الصالون وقدم لي نفسه، انه الرقيب العسكري (للأسف لم اعد اتذكر اسمه) الذي اتصل بعائلتي واعتذر لهم وكتب

ملاحظته على ظرف رسالة شقيقتي. شكرته لموقفه النبيل والشجاع، لكنه رد علي بأن ماقام به يمليه عليه واجبه وشعوره الوطني اتجاه قضايا الشعب وابدى رغبته باستمرار العلاقة معي ملمحا لي بطريقة حذرة برغبته على الأرتباط بالحزب وطلب مني مساعدته في ذلك!. فاجأني بطلبه هذا ولم اكن متهيأ لمثل هذا الطلب بسبب عدم مضي وقت طويل على اطلاق سراحي، 3 – 4 اسابيع ومازلت لم ارتب حياتي بعد، كما اني مازلت مقطوع الصلة بالحزب، واوعدته بالتواصل. وبعد استقراري وعودتي للتنظيم الحزبي (في بغداد) لم اتمكن من الاتصال به وانقطعت اخباره، وبعد متابعتي لأخباره من الأصدقاء علمت للأسف انه معتقل بتهمة الشيوعية!، ولم التقي به من بعد مطلقا فالف تحية وشكر لهذا الجندي الشجاع والشهم وليعذرني لعدم تذكري أسمه.

(1) – الشيخ عبد الجبار الأعظمي رجل دين وصاحب مجلة الثقافة الاسلامية وامام وخطيب جامع الوزير ببغداد وواعظ لواء (محافظة) بغداد العام. له مؤلفات في الدين والأدب واشهرها تفسير للقرآن الكريم بما يلائم روح العصرفي كتاب ضم ثلاثين جزءا. وله ايضا مؤلف عن(الاسلام والحرية) منع تداوله في الاسواق، و(تحت راية القرآن) مؤلف آخر صدر عام 1961 وحَرَمتْ مديرية الاستخبارات العسكرية تداوله بين صفوف الجيش، وهو احد اعضاء مجلس السلم الوطني في العراق. حكم عليه المجلس العرفي الاول في زمن سلطة البعث في ايلول عام 1963 بالحبس عشر سنوات مع الاشغال الشاقة. (المعلومات مؤرشفة من كتاب شهداء الحزب شهداء الوطن صفحة 298 والكتاب من اصدار الحزب الشيوعي العراقي، وفي الكتاب نص محاكمة الشيخ الشهيد) استشهد الشيخ في عملية اجرامية مخططة من قبل المجرم صدام حسين في محاولة لأغتيال القائد الكردي مصطفى البرزاني، وذلك بخداع مجموعة من رجال الدين البارزين والشيخ من بينهم وارسالهم بحجة التفاوض مع البرزاني من اجل الحل السلمي للمشكلة الكردية بينما خطط صدام ومخابراته في التضحية بكل هؤلاء الرجال من اجل اغتيال البرزاني. وقد فشلت العملية وسلم القائد الكردي وراح ضحية المخطط القذر كل اعضاء الوفد طيب الله ثراهم.

(2) – ادعو جميع الزملاء الذين عاشوا تلك الفترة في سجن الحلة ان يكتبوا تفاصيل الحادثة هذه ليطلع شعبنا والعالم على نضالات هذه القوى الديمقراطية الخيرة ومعاناتها، في الوقت الذي غاب عن الساحة المدعين بالاسلام والعروبة، لا بل كنا نسجن ونعذب وتضطهد عوائلنا وتهتك اعراض العشرات من النساء بأسم الأسلام والعروبة، وإدعى بعض قادة السلطة استحصال الفتاوي لتبرير عمليات القتل ضد الحزب الشيوعي واصدقائه.

في سجن نقرة السلمان

بعد انقلاب شباط الدامي تشكلت خارج العراق وفي براغ وبمبادرة من الحزب الشيوعي العراقي والقوى الديمقراطية العراقية لجنة الدفاع عن الشعب العراقي، ففي اجتماع عقد في براغ القى الجواهيري الكبير قصيدته العصماء (أمين لاتغضب) جوابا على مقالة امين ألأعور في صحيفة النداء البيروتية ومطلعها:
أمين لاتغضب فيوم الطغام آتٍ وانف شامت للرغام

كان للقصيدة وقعا قويا على المستمعين، وتناقلها المستمعون من الحاضرين بسرعة، حتى في داخل الوطن تناقلها الشعب لما فيها من اتهام وادانة ووصف لائق لعبد السلام عارف ، كونه رئيسا للجمهورية التي جاء بها انقلاب 8 شباط الدموي وفي ظل رئاسته انتهكت اعراض النساء واقترفت ابشع الجرائم بحق ابناء الشعب البررة. كان الاجتماع رائعا عبر فيه التجمع عن تضامنهم مع الشعب العراقي من خلال تبرع النساء بكل مايملكن من حلي وتبرع الطلبة (عرب واجانب) براتب شهر (1) لتمويل اللجنة. وقد تشكلت اللجنة في الايام الاولى من انقلاب 8 شباط الفاشي، حيث تم الاعلان عنها قي براغ وفي مؤتمر صحفي. واتخذت اللجنة من شقة ذنون ايوب مقرا لها. وتمكنت الجنة من جمع التبرعات لتغطية تكاليف نشاطاتها وتحركاتها على المجال العالمي. واصبح الراحل وشاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري رئيسا لها وضمت من بين اعضاؤها، الملحق الصحفي السابق في السفارة العراقية ذنون ايوب، والدكتور فيصل السامر، جلال الطالباني والفنان محمود صبري ونوري عبد الرزاق (رئيس اتحاد الطلاب العالمي) واخرون. وتحركت اللجنة على المستوى العالمي واصبح من اهم الشخصيات العالمية والتي تبنت الحملة الفيلسوف البريطاني برتراند رسل. ونشطت

اللجنة في فضح اساليب النظام الفاشية في التعذيب والتصفيات الجسدية، وقدمت الدراسات والمعلومات عن احوال السجناء وظروف معيشتهم الصعبة في السجون العراقية، ووثقت الكثير من جرائم نظام العهدين البعثي والعارفي، ونشرت اسماء بقوائم الشهداء الذين قضوا في التعذيب البربري او الاعدامات، كما نشرت نصوص للمحاكم القرقوشية للمجالس العرفية بحق المناضلين الشرفاء من رجال ونساء وشيوخ واطفال. وقد لعبت منظمات الحزب الشيوعي والجمعيات الطلابية في الدول الاوربية دورا كبيرا في فضح جرائم النظام البعثي والعارفي بحق ابناء الشعب، واصبحت هذه المنظمات الحزبية والديمقراطية الوجه الاعلامي ألاخر والاقوى للجنة الدفاع عن الشعب العراقي وذلك من خلال نشاطاتها الطلابية في تلك الدول، وبحكم علاقات منظماتنا الطلابية الجيدة والواسعة مع مختلف التنظيمات الطلابية من مختلف انحاء العالم والمتواجدة على ساحة تلك البلدان. وكان تأثير هذه النشاطات واضحا خاصة بعد انقلاب عبد السلام عارف في 18 تشرين الثاني 1963، وسببت هذه النشاطات على المستوى العالمي احراجا لنظام الحكم العارفي. وامام هذه الضغوط تظاهرت حكومة عبد السلام عارف امام الرأي العام العالمي والعربي وكأنها قد تجاوبت مع الضغوط، من خلال ارسالها لجانا الى السجون العراقية، وبإشراف وزارة الداخلية لمساومة السجناء على كرامتهم وانسانيتهم مقابل الافراج عنهم. وقد وصلت اوائل عام 1965 لجنة وزارة الداخلية الى سجن نقرة السلمان برئاسة انور ثامر (اعتقد انه كان حينها مدير الأمن العام) لمساومة السجناء.

كان موقف منظمة الحزب في سجن نقرة السلمان واضحا وحاسما، وهو عدم ألتعاون مع لجنة وزارة الداخلية أوتسهيل مهمتها، وترك اللجنة بأن تقوم بإستدعاء من تريد من ألسجناء. أبلغَت منظمتنا ألحزبية عبر ممثلنا عباس بغدادي طيب الله ثراه إدارة السجن بعدم استعدادنا بالقيام بساعي البريد لمثل هذه ألمهمة، التي تنتقص من كرامتنا

وانسانيتنا، كما استنكرت المنظمة مهمة اللجنة وقدمت لها مذكرة إحتجاج مطالبة بأطلاق سراحنا بدون شروط. عدم تعاون المنظمة مع ادارة السجن سبب صعوبة جدية لإدارة ألسجن واللجنة، فليس من السهل أن تقوم ألادارة بإستدعاء أي سجين، لأنها تجهل في اي قاعة يوجد هذا السجين، فتوزيع ألسجناء في القاعات كانت من مهمة اللجنة ألسجنية المسؤولة عن إدارة شؤننا، ويتم تسهيل مهمتها من خلال ألتنسيق مع ممثلي ألقاعات. كان من غير المعقول ان يدور الشرطي (السجان) على كل القاعات العشرة في السجن الجديد اضافة لقاعات السجن القديم للبحث عن ألاسماء التي يستدعونها، وهم لايعرفون في أية قاعة يوجد هذا السجين، وقد لايكون المستدعى متواجد في قاعته. بالرغم من الصعوبة المتوقعة قررت إدارة ألسجن ان تجرب حظها بإرسال أحد ألسجانين لإستدعاء بعض ألأسماء. دخل أحد ألحراس الى ساحة ألسجن الجديد، وهي اكبر من ساحة كرة القدم وتحيطها عشرة قاعات، يعيش في كل قاعة أكثر من 180 سجين، وبين كل قاعتين ساحة أكبر من ملعب كرة ألطائرة، ووقف وسط ألساحة ونادى ببعض ألأسماء، لم يستجب أحد إلا بعض السجناء القلة ممن نسقوا مع عوائلهم وكانوا ينتظرون وصول اللجنة من اجل التجاوب معها مقابل الافراج عنهم. حينها قرر ألوفد ألدخول الى السجن وتجربة حظه في ألحديث مباشرة مع ألسجناء.

التقت اللجنة بالسجين كاظم أو هادي لاأتذكر اسمه بالضبط وهو شاب أخرس من مدينة ألكاظمية، محكوم بعشرة سنوات، سألوه عن مدة محكوميته وهل لديه رغبة بأن يغادر ألسجن، أشارَ لهم بتشوقه للحرية، عرضوا عليه ألإفراج عنه مقابل ألبراءة، وكونه اخرسا اشاروا بإبهامهم كمن يوقع. سخر منهم بطريقة غاضبة وهو يحرك بسخرية قبضة يده ويُعَفط لهم وتركهم ساخرا.

بعدها توجهوا الى تجمع أثار انتباههم، وربما اعتقدوا أن في مثل هذا التجمع قد يجدوا أكثر من سجين مستعد للبراءة من ألحزب. كان هذا التجمع حول لعبة النرد بين يحيى قاف وأبي نجلاء وصوت المشجعين والمتحديان يختلط في فضاء السجن ويصعب على المستمع عن بعد معرفة مايدور. توجه الوفد نحو هذا ألتجمع، وكان كل السجناء يعرفون بقدوم هذا ألوفد لكسر شوكة هؤلاء ألمناضلين، تفاجأ الوفد بالشيخين وربما كان ألوفد يعرف من هما. وجهوا حديثهم ليحيى قاف وكان يلعب النرد محاولين اغرائه بالحرية المشروطة والعودة ليكون بين احضان وحب عائلته وهو في سن بحاجة لرعايتهم، وسألوه عن اسمه ومحكوميته؟ فأجابهم بمقولته الشهيرة والمتحدية وبلهجته الموصلية: أنا يحيى قاف يقول الكلمة وما يخاف! عرضوا عليه حريته مقابل براءته من الحزب الشيوعي مادام غير ملتزما ولا منتميا. كرر مجددا مقولته بغضب وتحدي، ورفض عرضهم واستنكر قدومهم من بغداد الى سجن النقرة لمساومة السجناء واذلالهم، وأكد لهم ان صموده في السجن ورفضه البراءة خير من العيش خارج السجن بدون كرامة خاذلا رفاقه وشعبه! ولما حاولو الاشارة وتنبيهه الى انه قد يموت وهو في السجن بعيدا عن عائلته محذرينه من هذه النهاية! رد عليهم انه يعيش هنا مطمئنا مع زملائه في السجن وقد كلفوا احدهم ليرعاه ويهتم به وكأنه وسط عائلته، والجميع هنا يكن له الاحترام والحب، ولايريد ان يخسر هذا الحب والاحترام، وانه في السجن ينام مرتاح ومطمأن وبدون احلام مزعجة او مرعبة، وان عائلته بخير وان الخيرين والشرفاء من ابناء الشعب لم يتركوا عائلته بأي عوز، ولكن رئيسهم عبد ألسلام عارف الذي لاينام ليلا مرتاح ألضمير إلا في ظل حمايته المشددة من الحرس وان الاحلام المزعجة لاتجعله يغفو ويتمتع بنومه بسبب خوفه وقلقه على كرسي الرئاسة ، لذلك يعيش في قلق دائم وخوف مرعب ، وهو لايجرء على الخرج الى الشارع إلا بحراسة مشددة خوفا من شعبه وان حرسه الجمهوري لايفارقه، وهذا حال كل دكتاتور، بينما انا

انام واتنقل مطمأنا بدون حراسة حتى لو افرج عني ولا أخاف احدا إلا الله سبحانه وتعالى لأني لم اسبب الأذى لأحد.

بعد هذه المحاولات الفاشلة عاد الوفد خائبا الى بغداد ، وهذا لايعني أنهم لم يحصلوا على بعض ألبراءات، أو أنهم لم يفلحوا في إستدعاء ألبعض، لا بل ان البعض (وهم قلة جدا) كان ينتظر وصول الوفد ليبادر في إعلان براءته. وهناك مجموعة ليست قليلة من السجناء زج بهم في السجن ولم تكن لهم ادنى علاقة بالحزب الشيوعي حتى لم تكن عندهم اهتمامات سياسية، والبعض كان غير قادر على تحمل السجن وما يترتب عليه من مصاعب له ولعائلته. وللأسف ولأسباب عديدة، كان بعض ألسجناء مستعد لتقديم البراءة مقابل ألأفراج عنه، ولكن وحسب ما أذكر لم يتجاوز عدد ألمتبرئين عن 40 سجيناً من مجموع مايزيد عن ألألفين سجين. لقد فشلت مهمة ألوفد وجوبهت برفض وصلابة ووحدة ألسجناء.

لم تلق خطة الحكم في الافراج عن السجناء مقابل البراءة قبولا من السجناء، ولم يطلق سراح الكثيرين بموجب هذه الخطة. وبقية سلطة عبد السلام عارف محرجة امام الرأي العام العالمي والعربي، خاصة بعد مهرجان الشباب العالمي الذي اقيم في الجزائر، حيث نشطت شبيبتنا بين الوفود العالمية لشرح معاناة شعبنا وفضح جرائم النظام العارفي بحق المناضلين. وكان للمعرض الفني الذي اقامه اتحاد الشباب الديمقراطي العراقي، احد انشط الوفود، وفيه مساهمة سجناء النقرة بانجازاتهم الفنية المتواضعة اضافة الى ندائهم الموجه الى وفود الشبيبة العالمية من سجنهم الصحراوي، كرسالة لشبيبة وشعوب العالم للوقوف الى جانب نضال شعبنا من اجل الحرية والسلام. كل هذه النشاطات مجتمعة اجبرت حكومة عارف ان تصدر قرارات بالافراج عن المحجوزين سياسيا. والمحجوزون سياسيا هم مجموعة من المواطنين احتجزوا في عهد الراحل عبد

الكريم قاسم او في زمن البعث والحكم العارفي ولم توجه لهم اية تهمة، وكانت هذه ممارسات اجهزة الامن التسلطية ورثتها من العهد الملكي، وكان المحجوزون يبقون في المعتقل الى اجل غير مسمى خلافا للقانون. كما افرجت عن بعض السجناء ممن لم يتبق لأنهاء محكومياتهم إلا أيام.

في احد الايام الشتوية الباردة من عام 1965 انتشر خبر بين السجناء بوصول برقية بالافراج عن مجموعة من المحجوزين. وسادت الفرحة بين السجناء، وتبادل السجناء التهاني وعرفت معظم الاسماء المفرج عنها. بجهود وعمل زملاؤنا الجنود الأشاوس الذين كانوا في صنف الاتصالات (المخابرات)، وصل خبر ألإفراج الى السجناء وبالأسماء كاملة بسرعة وربما قبل ان يصل الى الأدارة ، فكان زملاؤنا يراقبون وينصتون على جميع المراسلات اللاسلكية التي تصل للإدارة عبر اجهزة الراديو البسيطة المتوفرة في السجن حيث يلتقطون موجة البث اللاسلكي ويطلعون على الرسائل الواردة للإدارة. وكان الحرس يراقبون السجناء والفرحة تعم السجن ويتبادلون التهاني وينشدون الاغاني بطريقة لم يسبق لهم مشاهدتها من قبل مما أثار استغرابهم وتساؤلهم عن اسباب هذا الفرح. لم يكن فرحنا بسبب الافراج فقط وانما كانت دوافعه معنوية لان صلابة موقفنا وعدم رضوخنا لسياسة الذل والاهانة قد انتصرت. وان نشاط لجنة الدفاع عن الشعب العراقي والحملة الموازية التي شنها الحزب والقوى الديمقراطية في معظم بلدان العالم الغربي قد اتت بأُكلها، وها نحن نحصد نتائج تلك النشاطات الانسانية. عشنا اياما سعيدة كلها افراح وتبادل للتهاني، ولقاء الاصدقاء المفرج عنهم من مدننا لتكليفهم بإيصال الرسائل والوصايا الشفهية للاهل. قد تأخر تنفيذ ألقرار عدة أيام لعدم توفر وسائط ألنقل واحتفلنا بمغادرة رفاقنا وعودتهم لأحضان شعبهم وحزبهم.

خلال وجودي في النقرة والتي تجاوزت ألسنة، تمكنت والدتي وشقيقتي هناء مع والدة فيصل ألشامي من ألحصول على موافقة ألحاكم ألعسكري ألعام رشيد مصلح لزيارتنا، وذلك بمساعدة مدير تجنيد كربلاء (ابو مشرق). لم تكن إمكانية ألحصول على ألموافقة سهلة، خاصة لعائلة مثل عائلتي تفتقد رجل ألبيت الذي يكون بمقدوره التنقل بين بغداد وكربلاء ومراجعة الاجهزة الامنية للحصول على الكتب والموافقات الرسمية للزيارة. لم يبق حرا إلا أخي كفاح، وقد غادر ألى ألعربية ألسعودية للعمل بعد أن فصل من عمله في ألتدريس. وقد تمكن أخي همام بوساطة بعض ألمعارف وألرشاوي من الحصول له على جواز سفر وألغاء ألمنع، وقد كلف ذلك ألعائلة وهي تعاني من ندرة ألمورد ألمالي بسبب فصل ألوالد. فالأحوال ألإقتصادية ألسيئة ألتي تعاني منها ألعائلة أجبرت ألوالدة أن ترهن ماتبقى لديها من حُلي كي تتدبر سفر أخي كفاح للعمل كمدرس في ألسعودية.

كانت ألعوائل ألتي تتوجه لزيارة أبنائها ألسجناء في نقرة ألسلمان تتجمع في مدينة ألسماوة وتنطلق سيارتهم من ألسماوة بصحبة سيارة من شرطة ألبادية ألخبراء بالطريق ألصحراوي إلى سجن نقرة السلمان. أغلب ألأحيان يكون وصول ألعوائل قبل يوم في المساءً، ويُخَبَر ألسجين مساء ذلك أليوم بوصول عائلته. تقضي ألعائلة ليلتها في فندق قريب من ألسجن، ولا أعتقد إن حال ألفندق أفضل من حال ألسجن، لكن تشوق ألأهل لأبنائهم بعد هذا ألسفر ألمرهق وألذي استغرق أكثر من 10 ساعات مصحوبة بعواصف رملية جافة تتميز بها صحراء ألمنطقة، جعلهم لايفكرون إلا بصباح أليوم ألتالي ليلتقوا مع أحبتهم بعد فراق طويل. أما بالنسبة للسجين، وهذا ماحدث لي، يقضي ليلته ساهراً يتنقل من صديق لآخر، مرة ينفرد مع نفسه مستلقيا وهو يتخيل لقاءه بأهله محدقا بسماء الصحراء وصفائها متمنيا لو كان هذا ألأستلقاء على سطح داره بين

شقيقاته ووالديه وهم يتسامرون ويمزحون، ومرة يترك العنان لرجليه آخذا ساحة ألسجن ذهابا وإيابا كأنه يتسابق مع ألزمن للقاء أهله. بعد ان يقضي ألسجين ليلة قلقة تختلط فيها ألكوابيس مع ألأحلام ألجميلة يستيقظ صباحا ويعد نفسه للقاء أحبائه بعد ان يحلق ذقنه ويرتدى أفضل ملابسه. كانت القاعدة الجارية في السجون ايام العهد الملكي والجمهوري الاول ان يمنح السجين ملابس خاصة بالسجناء ويمنع من ارتداء ملابسه الشخصية. وكانت هذه الملابس خشنة الملمس بيضاء تميل الى السمرة ومخططة بخطوط طولية بلون بني غامق او سوداء، وتكون من لباس طويل اشبه بالبنطلون وقميص اشبه بقميص البيجاما. وكان بعض السجناء يجرون بعض التعديلات في فصال وقياسات هذه الملابس لتكون اكثر اناقة. وفي سجن النقرة عندما استلم بعضنا هذه الملابس، قبل ان تصبح الدولة عاجزة عن توفيرها، كانا رفاقنا العاملين في ورشة الخياطة يقومون بإعادة خياطة هذه الملابس حسب الذوق لتبدو اكثر اناقة. لم تكن لدينا ملابس خاصة بالسجناء، لأن كثرة ألسجناء والذي تجاوز عددهم ألالاف، توزعوا في مختلف ألسجون ألعراقية، جعل الدولة تهمل مسألة الملابس لاحبا بالسجناء وإنما تلافيا لتكاليفها ونفس ألشئ كان في سجن الحلة وبقية السجون.

صباح أليوم ألثاني التقيت بوالدتي وشقيقتي هناء، كذلك ألتقى فيصل ألشامي بوالدته وخطيبته (شقيقتي هناء كانت مخطوبة لفيصل)، كما ان المربي الكبير يحيى قاف التقى بعائلته وابنته، اضافة الى عائلتين أُخرتين. لااريد ان اصف أللقاء، يكفيني ماأحسسته من ألم وانا ارى دموع والدتي وشقيقتي والعبرات تحول دون امكانية نطق الكلمات وايصال ألرسائل الشفوية وامسكت بي الوالدة تقبلني وتشمني وهي تبكي فرحا غير مصدقة لقائها بي بعد اشهر من الفراق الأجباري. قصت علي اخبار البيت والوالد وسفر أخي كفاح وشكت من عجزها ألمالي لتحرير الذهب الذي رهنته من اجل سفر أخي كفاح، وقد يباع بسبب عجزها عن تسديد ثمنه للبنك. كانت هموم ألوالدة كثيرة ومسؤولياتها

اكبر وعليها تدبير شؤون البيت بسبع بنات ورعاية سجينين، زوجها وإبنها ألاصغر وكل واحد منهما في سجن. كان لزاماً علي أن اشد من عزيمتها وألا اتذمر او ابدو ضعيفاً امامها. اتبعت اسلوب والدي، عندما يهوَن عن نفسه في ألشدائد، فيقول إني افكر بمصائب من هم أعظم مصيبة من مصيبتي، حينها تهون مصيبتي. حدثتها عن يحيى قاف وعن ألشهيد وعدالله ألنجار والشهيد صلاح ومحاولاته للهرب وفشلها واخرها محاولة هربه من ألنقرة رغم مرضه الكلوي ولكن محاولته هذه هي ألاخرى لم تنجح بسبب اشتداد آلام الكلى فعثروا على جثمانه الطاهر وسط الصحراء بعيدا عن الطريق قرب شجيرة التجأ اليها بعد ان اشتدت عليه آلام الكلى، ولولا الغربان التي كانت تحوم طائرة فوقها لما اكتشفوا وجود جثمانه. حديثي هذا جعلها تشكر الله سبحانه وتعالى ان تراني امامها. نقلت لي أخبار ألأصدقاء من كربلاء، وكيف أن احد سائقي سيارات الباصات ألصغيرة تبرع بنقلها وشقيقاتي لزيارة والدي في سجن ألحلة بسعر خاص مخفض كل شهر، فكان يحضر كلما حل موعد الزيارات للبيت لياخذ العائلة للزيارة ثم يعود بالعائلة بعد إنتهاء ألمواجهات، كان رجلا مثالا في الشهامة والطيبة.

احضر الزملاء الغداء وكان عبارة عن رز وقيمة، وبعد ان تذوقته الوالدة سألتني هل دائماً نحصل على نفس الكمية والنوعية. شرحت لها كيف ان حياتنا منظمة، واننا نقدم مساعدة مالية لمن قطعت عنهم مساعدات الأهل، وعن نشاطاتنا الرياضية والفنية واحتفالاتنا، والاصدقاء الجدد الذين تعرفت عليهم بعضهم اصدقاء طفولة لإخوتي كفاح وهمام وبعضهم زملاء دراسه او رفاق. مرّ الوقت سريعا وعدنا للسجن مودعين ألاهل ومحملين بما جلبوه لنا من ملابس ومواد غذائية.

(1) – محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي / الجزء الثاني –حركة الدفاع عن الشعب العراقي-

16

في سجن نقرة السلمان

نزلاء السجون، ألسياسيون والجنائيون، يتواجد بينهم اشخاص يتركون في الذاكرة انطباعات قوية ولايمكن نسيانهم لدورهم في حياة السجناء ولشخصياتهم ألمتميزة، ايجابية كانت او سلبية. والانطباعات التي سأتحدث عنها الان في هذه الحلقة وماورد منها في الحلقات السابقة وحتى القادمة، هي انطباعات شاب بدأ تجربته في السجون قبل ان يبلغ 17 عاما بسبب معتقداته السياسية، وعاش ظروف التحقيقات والسجون في ايام الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم، وايام البعث بعد انقلاب 8 شباط الدموي، وايام نظام الاخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف، فانا عشت حياتي منذ شبابي في المعتقلات بدل ان اعيشها بحرية واتمتع بشبابي كما هو حال ألأجيال الشابة في كل انحاء العالم المتمدن، واضعت بسبب ذلك ستة سنوات دراسية. وللأسف مازالت اجيالنا الشابة لغاية اليوم ولأسباب عدة يفتقدون طعم الحرية والامان والاستقرار. فكنت حينها قليل التجربة ونظرتي للآخرين من رفاق واصدقاء نظرة مثالية منطلقا من طبيعة معتقداتي وتربيتي العائلية التي اعتز بها. وقد اصطدمت هذه النظرة المثالية في كثير من الاحيان بالواقع لكنها لم تصل لحد الاحباط بفضل مواقف بعض الطيبين من رفاق واصدقاء، وتفهمي التدريجي بأن الانسان مهما حمل من مباديء انسانية سامية او ثورية ومهما كان مركزه القيادي، لابد ان يتأثر بمواقف ذاتية وانانية تسيء له ولمبادئه. وسأتطرق في هذه الحلقة لعدة شخصيات اخترتها من بين الكثيرين من سجناء النقرة لأسباب عدة، منها احتكاكي المباشر معها او انها شخصيات تلفت النظر وتدعو للأهتمام، ومازالت صورهم راسخة في ذاكرتي رغم كل هذه السنين.

الراحل المقدم نوري ونه طيب الله ثراه، لم يسبق لي ان عرفته او سمعت بإسمه، سوى ان الصدف جعلت فراشي بجانب فراشه في قاووش 3 في سجن نقرة السلمان لفترة لاتتجاوز الشهرين قبل ان يودعنا اسفين على فراقه والى الابد. الراحل من مواليد 1916 ، نشأ في الكوت وسلمان باك، دخل المدرسة الحربية وتخرج ملازما في عام 1936 صنف المشاة. خدم في الحرس الملكي، وفلسطين في عام 1948، وفي مناطق مختلفة من الوطن وتولى رئاسة الهيئة التحقيقية في القضايا التي تهدد الامن العام. عوقب ايام العهد الملكي ونقل من مكان الى اخر واجلت ترقيته عدة مرات. حاول احالة نفسه على التقاعد ولكن طلبه رفض الى ان وافق الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم على احالته على التقاعد عام 1961/ 1962 أي انه كان متقاعدا عندما اعتقلوه انقلابيوا 8 شباط، وزجوا به في سجن رقم 1 ومن ثم في قطار الموت الى سجن نقرة السلمان. قدم اكثر من طلب لرئيس الجمهورية عبد السلام عارف لأحالته الى اي محكمة او الافراج عنه ولكن عبد السلام عارف، ولموقف شخصي منه، رفض جميع طلباته حتى وافاه الاجل من دون ان يحاكم وهو في سجن النقرة (1).

لم يكن للراحل دور كبير في حياة السجناء، فقد كان مريضا ومتعبا لدرجة انه يتعب حتى عندما يتحدث، وقليل الحركة والتنقل بين القواويش، ولذلك كان معفوا من الخفارات او الاعمال الاخرى البسيطة. مازلت اتخيله بالبيجاما البيضاء المخططة طوليا بخطوط زرقاء غامقة. بالتأكيد لم تكن هذه البيجاما الوحيدة التي يرتديها ولا أدري لماذا اتخيله لغاية اليوم بتلك البيجاما، ربما لأنه بعد اسبوع من سكني بجانبه، كلفني في احد المرات بغسلها مع بعض الملابس الداخلية، وفعلت ذلك بكل سرور. كان هذا الرجل (المسن) وقد بان عليه التعب والانهاك الى درجة حسبته فيها قد جاوز السبعين واحسست بالتعاطف معه بقوة وصدق وكنت دائما عندما انظر اليه اتخيل والدي إلا أن والدي كان يبدو اصغر

منه سنا وافضل صحة واكثر نشاطا. وبالرغم من ان فراشه كان بجانبي لم ابادله الحديث كثيرا، ربما لتهيبي واحترامي لسنه وندرة تحدثه مع الاخرين، فقد كان قليل الكلام والحركة، وكنت دائما حريصا على عدم التطفل في علاقاتي مع الاخرين، وهذه عادة لازمتني لغاية اليوم، لذلك لم اكن فضوليا واحرجه في اسئلة قد لايرغب في الاجابة عليها. كنت انظر اليه نظرة احترام واعجاب وانا اراه ممدد على فراشه يطالع كتابا اويحدق بالسقف حالما، واذا مانهض احس وكأنه يحمل في داخله كل هموم ومتاعب الدنيا.

بعد ان اعدت اليه ملابسه وهي نظيفة ومرتبة، بادرني شاكرا وبإبتسامة كلها حنان وعطف سألني مجموعة من الأسئلة، كان يريد من خلالها معرفة من اكون واسباب سجني وغيرها من اسئلة كانت تثير فضوله. حينها عرف اني تركت والدي في سجن الحلة، واني اقضي عقوبة السجن خمس سنوات، وشرحت له جو المحاكمة ودور سمسار المحكمة المحامي جمال بابان. ومن خلال حديثي معه عرفت انه كان احد اعضاء لجنة التحقيق في محكمة الشعب، وقال لي، مامعناه، ليت محاكمهم اليوم تكون مشابهة لمحكمة الشعب، فمحكمة الشعب كانت علنية، والشعب يرى ويسمع مايدور فيها من مداولات، والقضايا التي تناولتها دامت اسابيع وبعضها اشهر، والمتهمون ووكلاؤهم كانت لهم كل الحرية للمناقشة، بينما انت تقول ان المجلس العرفي اصدر حكمه في قضيتكم والتي شملت 48 مواطنا خلال نصف ساعة تقريبا، وأن المحامي لم يقم بواجبه للدفاع عنكم مطلقا، فاية عدالة هذه، ومن المؤسف مازالوا ينتقدون محكمة الشعب!
نشأت بيننا صداقة منذ ذلك اليوم ولكن الحديث بيننا كان نادرا بسبب مايعانيه من مرض وكنت اتجنب المبادرة في التحدث معه إلا في الضرورات لأني كنت احس حتى خلال اجابته انه منهك وانفاسه تتسارع. وفي يوم من ايام تموز 1964 تدهورت صحته واهتم

الاطباء والسجناء بوضعه، وطالبوا من ادارة السجن نقله الى مستشفى السماوة بأسرع وقت، لكن الأجراء التعسفي وللا إنساني المتبع في سجن النقرة لايسمح لأدارة السجن بنقل المريض الى المستشفى إلا بموافقة من الحاكم العسكري العام! وهذا يعني الحكم على السجين المريض بالموت خاصة اذا كان مرضه خطرا. وبعد يومين وربما اكثر من مرضه ومعاناته وتحمله للآلام وصلت موافقة الحاكم العسكري (رشيد مصلح)، حين ابلغ بالموافقة لأخذه للمستشفى لم اكن متواجدا في القاووش لتوديعه لذلك احس بعذاب نفسي خاصة بعد ان وصلنا خبر وفاته بسبب التسمم الكلوي وعدم قدرة الاطباء من انقاذ حياته لتأخر وصوله للمستشفى. كنت جاره في القاووش لفترة قصيرة جدا لاتتجاوز الشهرين، ولكنها تركت في ذاكرتي اثرا كبيرا، لذلك اندفعت وبدون تخطيط لكتابة هذه السطور، فقد فقدت زميلا بعمر والدي صبورا تحمل عذابات الاعتقال وقطار الموت والسجن الصحراوي من اجل مباديء واخلاق كان يؤمن بها وفضل الموت، بعيدا عن عائلته وابنائه، مفضلاً البقاء في السجن رافضا حياة الذل والخنوع للأوباش من بعثيين او عروبيين اسلاميين لم يخلصوا لمباديء العروبة والاسلام بقدر اخلاصهم للرياء والحقد والنفاق السياسي. في مخيلتي صورة الراحل وكأنه قد تجاوز السبعين، ربما هذا انطباع شاب لم يتجاوز 19 عاما، وغير قادر على تقدير السن جيدا بسبب ما تركه انقلاب 8 شباط من اثار نفسية ومعاناة، ورحلة قطار الموت وماتركته من امراض في كليتيه، حتى وصلتني من نيوزلاندا رسالة الدكتور وشاح نوري ابن الراحل ليخبرني بأن والده لم يتجاوز عمره حينها 48 عاما! وعلى القاريء ان يتصور اي عذاب ومعاناة عاشها هذا الرجل الوطني بحيث اثرت الى تلك الدرجة عليه وكأنه كبر عشرون عاما خلال سنة ونصف من الاعتقال. هكذا ودعنا زميلا وابا وطنيا تحمل بصبر الاضطهاد رغم مرضه واثقا من ان الاوضاع لابد ان تتغير نحو ألأفضل.

ابو وميض (سامي أحمد) طيب الله ثراه أحد هذه الشخصيات الإيجابية المؤثرة والتي التقيتها في سجن النقرة. كان المسؤول الحزبي الثاني في منظمة السجن بعد الراحل ابو خلوق (عبد الوهاب طاهر)، ولكنه كان اكثر نشاطا وحيوية ورعاية لمشاكل ألسجناء، هذا مالمسته انا وربما لمسه الاخرون. انه انسان وشيوعي رائع ولا ابالغ لو قلت ان سامي احمد ترك مثل هذا الانطباع عند كل من تعرف عليه. كان بسيطا في علاقاته، هادئا في معالجاته، يشعرك بحنوه ورعايته واهتمامه ومسؤوليته عنك كرفيق حتى وان لم يكن على علاقة مباشرة معك ، وهو رحب الصدر دقيقا في ملاحظاته ومتأنيا في مناقشاته وطروحاته. كان يوميا يدور بدون كلل بين السجناء ويتحدث معهم ويستمع لمشاكلهم دون استعلاء وكأنه المسؤول الوحيد عن السجن. وخلال تجربتي الخاصة وتنقلي بين السجون لابد ان اشير الى قلة من القادة الذين تمتعوا بصفات شخصية مثل ابو وميض. وهذا لايعني ان الحزب خال من أمثال أبو وميض، فقد التقيت خلال تنقلي في المعتقلات وحتى في عملي الحزبي خارج السجن برفاق جيدين ورائعين ومازلت اكن لهم الاحترام والتقدير، بغض النظر عن مواقعهم الحزبية، بعضهم استشهد، بينما اخرون خانتهم قدراتهم ومعنوياتهم على البقاء في صفوف الحزب واخرون مازالوا في صفوف الحزب يعملون بنكران ذات وهدوء بعيدا عن حب الظهور واحتلال المراكز الحزبية المتقدمة. وانا اذ اتذكر كل هذه الشخصيات لا لكونهم شيوعين يتحركون وينشطون داخل منظمات حزبية يقودونها وانما لسلوكهم كبشر عاشوا وسط مجتمع (السجن) خليط من مستويات ثقافية مختلفة وانحدارات اجتماعية وقومية متباينة، وقدرتهم على القيادة لابحكم سيف القيادة وانما بقدراتهم على كسب احترام الاخرين لهم بمنطقهم ومتابعاتهم وبساطتهم ونكران الذات الذي يتمتعون به. تعرفت داخل السجون على قادة حزبيين يتنقلون بين السجناء ويشاركونهم في الطعام متنقلين بين مجاميع السجناء ويرفضون الامتيازات ويسهرون ليلا ليهتموا بشؤون المعتقلين الجدد وتنظيم نومهم مثلما كان

يفعل صاحب الحكيم (ابو بشرى) ايام الحرس القومي، وتعرفت في الغربة على قادة يتجنبون سياقة السيارة لخمسة ساعات ويطلبون من رفاقهم ان يأتوا لأخذهم واعادتهم وكأنهم مدراء ومالكي شركة وبدون اي حرص على حياة رفاقهم، وبعضهم يطالب بأن تقدم له الخدمات (الطوعية) من قبل الاخرين لخدمة سيادته، بينما يوجد من هو احوج منه للخدمة ولا يحصل عليها. وهذه انطباعات لااريد التفصيل فيها، فالشيوعيون هم بشر تجد فيهم كل ايجابيات وسلبيات البشر. ما اكتبه عن سامي احمد الانسان في هذه السطور القليلة هو متابعته وكيفية معالجته لمشكلة عانيتها بعد وصولي لنقرة السلمان بأيام، فترك عندي انطباعا ايجابيا لايمكنني نسيانه، وهو درس لي وللآخرين للإهتمام حتى بدقائق المشاكل وعدم تركها حتى تنفجر ويصعب معالجتها ومن ثم نخسر الكثير.

عندما وصلت النقرة كان عمري 19 عام، اي مازلت شابا قليل التجربة والخبرة في فهم الاخرين، ونظرتي للحزب ولكادره مازالت نظرة مثالية بالرغم ما أفرزته احداث 8 شباط من انهيارات. زارني احدهم (س.ت) من قاووش اخر، وقدم نفسه لي كمرسل من المنظمة لمساعدتي، رحبت به وشكرت المنظمة لأهتمامها. في نفس اليوم زارني ايضا اثنان، هما (ص.ز) و (خ.ف)، من قاعة اخرى وقدما نفسيهما لي على انهما كانا من اصدقاء الطفولة لأخي الراحل همام في مدينة الناصرية، وانهما اعتقدا بأنني همام لشبهي به عندما شاهداني حين وصولي، وسألاني ايضا ان كنت بحاجة للمساعدة. هذه الزيارات رفعت من معنوياتي واكدت لي الانطباع الإيجابي السابق عن منظمة وسجناء النقرة. وهكذا استمرت زيارات (س) المستمرة لي وكذلك زيارة الزميلين الاخرين (خ) و (ص). لكن (س) لم يعد يتحمل زيارات الزميلين الاخرين، وحذرني من علاقتي بهم، مشيرا الى سوء اخلاقهما وضرورة مقاطعتهما والابتعاد عنهما!. تفاجأت بهذه الصورة السيئة عنهما وانتابني شعور بأن (س) غير صادق وان دوافعه شخصية وكيدية.

استفسرت من عدة مصادر موثوقة من ضمنها مسؤول قاعتنا ابراهيم علاوي ومن الزميل مضر الذي رافقته من موقف السراي وحتى النقرة واخرين، والكل اكد على ان الزميلين يتمتعان بثقة جيدة لدى المنظمة ولا توجد اية شائبة في اخلاقهما، وحتى ان موقف احدهما (خ) في سجن بعقوبة والرمادي وما تحمله من ضرب وتعذيب رافضا البراءة يشيد به الجميع، وهو احد الرفاق المعتمدين في خط نشرة الاخبار اليومية، وهذه مهمة لايكلف بها احد سوى من تثق بهم المنظمة من رفاق. واجهت (س) بكل هذه المعلومات واخبرته اني لن اقاطعهما إلا اذا كان فعلا القرار من المنظمة وانا بدأت اشك به كمرسل من المنظمة. اغتاض (س) من حديثي وشن حملة تشهير بالزميلين ومنددا بموقفي بين كل معارفي. وقد استغل علاقة سابقة له بأحد الأصدقاء النجفيين (محمود الحبوبي) والذي قدم معي من سجن الحلة وطلب منه ممارسة ضغوطه عليّ، وحرضه على الكتابة لوالدي عن علاقتي بالزميلين!. وسببت ضغوطه علي ومحاولاته لثني عن علاقتي مع الزميلين حالة من الاحباط وعدم الثقة. وهددني محمود بالكتابة الى والدي واصدقاءه، وكأنني طفل، ان استمرت علاقتي بالزميلين!

اصبحت في وضع لا احسد عليه، الزميلان مستمران بزيارتي ولم يبدر منهما مايسيء وسلوكهما ليس فيه اي غموض كي ابتعد عنهما، ومن جهة اخرى استمرار (س) وبعض من حرضهم بالضغط علي. اخيرا تحدثت مجددا مع مضر بما اعانيه، وهو معلم من الديوانية وطيب جدا وخلوق، وفاجئني بأنه كان يعرف ان كل هذه الزوبعة مصدرها (س) مستغلا عدم معرفة الاخرين بالزميلين ومستغلا موقعه بالمنظمة (كان س احد كوادر المنظمة). وصلت الاخبار للمنظمة، ولا انسى موقف الزميل خضير عباس (ابو سهيل) ومؤازرته لي ومتابعة ذلك في المنظمة بالرغم من عدم معرفتي الشخصية له. رفضت المنظمة ما اشاعه (س) عن الزميلين وطلبوا مني مقاطعته بدل مقاطعتهما، لكن

(س) استمر في زيارتي والضغط علي مكذبا موقف المنظمة مدعيا انه مرسل من المنظمة وكل مايصلني عن غير طريقه غير صحيح! لم اكن اتصور ان كادرا يسجن في سبيل مبادىء سامية ويتحمل التعذيب والقهر من اجل قضية الشعب، في نفس الوقت يضمر لرفاقه مثل هذا الكره ويكون انانيا لهذه الدرجة، فأين هو الخطأ؟ هل في طريقة تقدمه الحزبي!؟ ام في تربيته خلال سنوات انتمائه وصعوده!؟ ام في الاخرين أوالظروف ام في كل هذه مجتمعة!؟. المشكلة ليست في مقاطعة الزميلين، ففي السجن العشرات من الزملاء الجيدين وبامكاني اختيار اصدقاء من بينهم، ولكن ان يتم الطعن بأخلاقهم وبأسلوب تشهيري يسيء لسمعتهم مما يضع علامة استفهام بعلاقتي بهم وانا في ذلك السن مما يسبب لي احراجا وإساءة غير قادر على مجابهتها. كانت زياراته وضغوط الاخرين تضايقني وقررت الاعتزال ومقاطعة الجميع وفقدت ثقتي حتى بمصداقية المنظمة، فهل يجرؤ كادر بالمنظمة في التمادي في سلوكه، والإدعاء انه مرسل من قبلها لولا التردد وعدم الحسم الذي يرافق عمل المنظمة، ولماذا كل هذا السوء؟ ومن اجل ماذا؟ هل ان هذا له علاقة بالقضية التي سجنا من اجلها؟ اسئلة كثيرة لم اتمكن الاجابة عليها، لولا موقف سامي احمد الذي وضع حدا لمهزلة (س).

في احدى الليالي كنت اسير وحيدا افكر بمضايقات (س) وتحريضه لمعارفي وردة فعل والدي اذا ماوصلته رسالة من احدهم تحرضه وترسم له صورة سيئة وسوداوية عن علاقاتي واختياراتي لمعارفي واصدقائي الجدد، وكم ستسبب مثل هذه الرسائل من قلق وعذاب لوالدي وقد تزعزع الثقة التي بيننا. وشعرت لأول مرة بحاجة ان يكون والدي قريبا مني لأكون تحت حمايته ورعايته واستفاد من خبرته الحياتية في فهم الاخرين ومقاصدهم، حينها لا يجرأ احد ان ينتقدني او يلومني او يسيء لي. وبينما كنت سارحا بهذه الافكار وانا اتمشى وسط ساحة السجن ليلا، واذا بسامي يمسك بيدي ويشدني اليه

وكأنه كان يقرأ افكاري وهواجسي، ويسألني عن حالي وعن (س) والزميلين، واخبرته بكل القصة. واثناء سيرنا في وسط الساحة، قال لي سوف اختصر الحديث معك بموقف عملي يضع حدا لسلوك (س)، هل ترى من يقف هناك مشيرا لي باصبعه، قلت له انه (س)، فقال لي إذهب اليه وبلغه موقف المنظمة بجملة واحدة وهي: ان المنظمة لاتشتري كلامك عن الزميلين بفلس واحد! واخبره بعدم رغبتك في صداقته! وقل له ذلك امام زملائه الواقفين معه! في البداية ترددت ولاحظ ابو وميض ترددي، فأضاف: رفيق هذا هو قرار المنظمة، ونحن كنا نتابع كل تصرفاته، ولاحظنا تماديه، وعليك ان تنفذ القرار واذا سألك من بلغك أخبره بأني بلغتك بالقرار! ذهبت محرجا واحسست بصعوبة الموقف وقسوة المعالجة، ولكنني اقتنعت ان سلوك (س) كان يستحق هذه القسوة. اخبرته بموقف المنظمة واشرت له بأن سامي هناك وهو الذي بلغني بالموقف، ورد علي بعجل: زين زين بعدين نتفاهم. وهكذا وضع سامي حدا لعقلية انانية متناقضة جمعت بين حب الحزب والتفاني في سبيل مبادئه والتضحية حفاضا على اسراره وحياة رفاقه وبين انانية مدمرة لرفاقه وحزبه دون ان يحسب لتأثيراتها السلبية اي حساب.

في سنة 1962 وفي موقف كربلاء، اعتقل فلاح مسن من ناحية عين ألتمر (شفاثة). تميز بهدوئه ورزانته والتأني في حديثه ورغبته في ألإستماع للآخرين. عرفناه بأبي أسلم (مهدي)، انسان كله طيبة ونبل واذا ماتحدث معك ينسيك انه فلاح وذلك لثقافته الواسعة وقدرته الجيدة على توصيل معلوماته للآخرين بسلاسة وبأسلوب ممتع. كان ابو أسلم شيوعيا وكانت أحاديثه معنا في الموقف تعويضا عن النقص الذي نعاني منه من إنقطاع الأدبيات، فيحدثنا عن بعض ألروايات والقصص ألتجسسية بين ألسوفيت والأمريكان، وعن الأصلاح الزراعي والعقبات والاخطاء في تنفيذه، وكيف لعب بعض رجال الدين المنافقين في استغلال بساطة وايمان الفلاحين في نهيهم وتحريم صلاتهم في

الاراضي التي شملها الاصلاح الزراعي بحجة ان الله لايتقبلها!!!!! وانعكاسات ذلك على الوضع السياسي والاقتصادي. كان متأني في حديثه وكأنه يختار كلماته بحذر. وكان أبا حنونا وعطوفا لآيتركك تشرد في أفكارك بعيدا، فيحاول أن يتقرب إليك لمعرفة مايشغل بالك، ليقدم نصيحته وكأنه حكيم يشدك للإستماع اليه والأخذ بنصائحه. والتقيت بأبي أسلم بعد سنتين عام 1964 في نقرة ألسلمان، فقد بقي محجوزا منذ زمن عبد ألكريم قاسم كما اعتقد، وتنقل بين المواقف والسجون حتى أستقر به المقام في سجن ألنقرة. كنا نلتقي به نحن الكربلائيون، فيحدثنا عن جمال مدينة عين التمر وواحات نخيلها ألجميلة وعيون مياهها ألصافية وهي تكّون بحيرات صغيرة تزيد الناحية جمالا. كان يقول لنا وكأنه خبير سياحي، لو كنت مسؤولا لجعلت من هذه ألناحية ألصغيرة المنسية مركزا سياحيا مشهورا يرتادها السواح من كل انحاء العالم، ولكن للأسف حكوماتنا شاطرة في بناء السجون فقط.

يحيى قاف (أبو سعد) هذا الرجل المسن ألموصلي ألأصل، اشتهر بجملته ألشجاعة والرافضة للظلم الذي عاناه كل الشرفاء من أبناء شعبنا. ما أن يصطدم بجلاوزة النظام ألبعثي أو ألعارفي من حرس قومي أو شرطة أمن أو حتى مسؤولين حتى يصرخ بوجههم بمقولته الشجاعة: أنا يحيى قاف يقول ألكلمة وما يخاف!. عرف يحيى قاف كونه شخصية اجتماعية وطنية ومعلم قدير له طريقته في ألتعليم، وقد اعتمدت في التعليم الإبتدائي. رغم كبر سنه زج به نظام البعث بعد انقلاب 8 شباط 1963 في ألمعتقل، واستمر حكم عبد السلام عارف في إبقائه في السجن رغم شيخوخته ولم تحترم او تقدر خدماته كونه مربيا قديرا وشخصية وطنية واجتماعية. وبقي أبو سعد صامدا قويا مؤمنا بقضية ألشعب وانتصارها، رغم شيخوخته رفض تقديم اي تنازل مهين لكرامته مقابل الافراج عنه، حتى فارق ألحياة وهو بين ألناس الذين أحبهم واحبوه،

توفى ألمربي والوطني الكبير في سجن الحلة. فارق ألحياة بعد سماعه خبر وفاة عبد السلام عارف في حادث طائرة محروقا. وكان يحيى قاف يلعن يوميا النظام ورئيسه عبد السلام عارف لزجه خيرة ابناء الشعب العراقي بالسجن لمواقفهم الوطنية ورفضهم التخاذل واصرارهم على الصمود، وقد حرمه عبد السلام عارف من رعاية عائلته والعيش بينهم وهو في أواخر عقده الثامن. وعندما بشره زملائه باحتراق عبد السلام عارف بطائرته، علق يحيى قاف بقوله: من اليوم وصاعدا سوف لن اشتم هذا الرجل!! أي نبل ورجولة هذه!؟ نعم هكذا كان هذا الإنسان من النبل حتى أنه لم يظهر شماتته بمن زج به في ألسجن رغم شيخوخته وخدماته في التعليم ، هل يتصور القوميون والمدعون بالاسلام ان الوطنيين من امثال يحيى قاف بالرغم مما عانوه من اضطهاد بسبب حكمهم العروبي والمتمسك جدا بالمفاهيم الاسلامية انهم متسامحون ولايضمرون احقادا وأنهم نبلاء في علاقاتهم الانسانية وخاصة اتجاه الاموات منهم. لقد فارق الحياة بعد سماعه خبر موت عبد السلام بساعات وكأنه قد اجل رحيله عن هذه الدنيا ليرى نهاية من تامر على ثورة 14 تموز وزج بخيرة المخلصين من ابناء شعبنا في السجون.

أبو غازي ألشخصية الفلاحية البسيطة كنا نتناقل اقواله وتعاريفه ألبسيطة والنادرة لبعض ألمصطلحات ألسياسية، وربما كان البعض يعيد صياغاتها ليزيدها طرافة. اعتقل أبو غازي، ايام حكم عبد الكريم قاسم، في إحدى القرى ألجنوبية (ألتابعة لمحافظة الناصرية). كانت الشرطة تبحث عن سرقة راديو، وداهموا صريفة (بيت من ألقصب) أبو غازي للبحث عن ألسرقة، ولم يكن ألرجل له علاقة بالسرقة، فعثرت الشرطة على محاضر اجتماعات حزبية لخلية شيوعية بين طيات فراش البيت. وهكذا اعتقل أبوغازي وعذب من قبل جهاز ألأمن القاسمي لمعرفة اعضاء ألخلية وبقية التنظيم والاسماء الحزبية الواردة في محضر الاجتماع. لم يحصلوا على اية معلومة من أبي غازي، لأنه

لم يكن حزبيا ولايعرف ماهية هذه ألأوراق ومن الذي تركها بين طيات فراشه. وأُحيل ابو غازي للمجلس العرفي، اصدر شمس ألدين عبدالله ألحكم عليه بعشرة سنوات! شعر ابو غازي بقساوة الحكم وظلم المحكمة، وهو ألذي لم يقم بأي جرم، سوى انهم وجدوا في بيته مجموعة من ألأوراق الرقيقة برقة ورق لف السكاير التي يستعملها. دهشته من قساوة الحكم أعادت له الذاكرة ونشطتها، هذه الذاكرة ألتي عجزت هراوات ومسبات وإهانات شرطة ألأمن من إعادتها وتنشيطها! استيقظ ابو غازي من سباته وتذكر صاحب هذه ألأوراق ألمشؤومة والتي بسببها سيسجن عشر سنوات. فكان رد فعل ابو غازي سريعا، بعد نطق شمس الدين بالحكم، علق أبو غازي قائلا بلهجته الريفية: يامنعول ألوالدين عذافة (ألوجه ألفلاحي ألمعروف عذافة حمود)، وريقات خفاف حكموني بسببها عشرة سنوات، لوكانت وريقات سماك (سميكة) كم كانت ستكلفني من سنوات؟!! استفسر منه شمس الدين عما قاله، فلم يرد عليه ابو غازي، وفضل السجن على افشاء سر عذافة ليبدأ طريقا جديدا في حياته. كان يعتقد ان عدد سنوات سجنه تتناسب مع سمك وعدد الاوراق، لذلك استغرب الحكم عليه. وعاش ابو غازي كسجين سياسي تنقل بين عدة سجون، وقد رعاه واهتم به ألسجناء ألشيوعيون، وتعلم على أيديهم ألقراءة والكتابة، وواظب على جلسات التثقيف وسماع نشرات ألأخبار ألمعدة من قبل منظمة السجن، وسمع لأول مرة بمصطلحات واسماء لم يسبق ان سمعها من قبل، واوجد لها تعاريفا تنسجم وثقافته البسيطة. فإذا سألته عن معنى ألماركسية، اجاب بلا تردد وبإختصار شديد يدل عن إستيعاب مبسط وقناعة مطلقة: ألماركسية هي حجي ترهدن (أي كلام منساب) ما به غلط!! أما ألإشتراكية يختصرها بعائلة واحدة تأكل من قدر واحد. ومن شدة حبه وإعجابه ببطولة وشجاعة ودور الخالد فهد مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، فيحاول ان يقنع محدثيه بأن الخالد فهد هو مؤسس الماركسية وان ماركس سرق المعلومات منه وساعدته الحضارة والتكنولوجية الغربية بنشر الفكر

الماركسي والدعاية لماركس!! بالطبع كان يحب النكتة ويحاول إضفاء مسحة من الطرافة والنكتة على تعاريفه النادرة واحاديثه ليتداولها من حوله الاخرون وتتناقلها ألقاعات، وربما كان يبالغ في بساطته متقصدا، وكان البعض يحرف أحاديثه وينشرها بين ألسجناء ليزيدها طرافة. وكان الزميل المهندس كاظم مكي وبما يتمتع به من روح خفيفة وحب للنكتة هو مصدرنا، لعلاقته القوية به وقدرته على تحريكه في خوض النقاشات السياسية معه، في نقل اقوال ابو غازي وتعاريفه الطريفة وربما كان يحرفها ويعدلها لزيادة تأثيرها وقوة طرافتها.

كاكا درويش الرجل المسن ذو اللحية الكثة البيضاء والرأس المشتعل شيبا والجسم المربوع الممتلئ، كنا نحن الشباب ننظر اليه بإعجاب واحترام لمواقفه الشجاعة في محاكم المجالس العرفية رغم شيخوخته. ربما كان عمره قد تجاوز السبعون عاما، هكذا كان يوحي لنا منظره، لكنه كان نشطا وحيويا. أُحيل كاكا درويش الى المحاكمة عدة مرات وبعدة قضايا، جمعت ضده من قبل اجهزة الامن منذ ايام عبد الكريم قاسم.

وتجاوزت مجموع محكومياته المائة عام، حتى اصبح زبونا معروفا لشمس الدين عبد الله، لكنه كان زبونا صعبا لايهاب ولايحترم المجلس العرفي ولا رئاسته ولا يأبه لسنوات الحكم التي يصدرها. فكلما دخل القفص واصدر رئيس المجلس حكمه عليه، بادر كاكا درويش لخلع نعاله ورميه على رئيس المجلس وهو يبصق في وجوههم ويشتمهم، مستهينا بالحكم وساخرا من المحكمة واعضاؤها، ويهتف بحياة الشعب ومتوعدا المحكمة ورئيسها بعقاب الشعب لهم. وبقي كاكا درويش في النقرة حتى سقوط حكم عبد الرحمن عارف، وقد علمت من بعض الزملاء انه في سنواته الاخيرة ساءت صحته كثيرا وعمل لنفسه خيمة بجانب القلعة القديمة (السجن القديم) يقضي معظم نهاره وليله فيها ليجنب زملاؤه شخيره وما تسببه امراض معدته من ازعاجات بسبب شيخوخته وتدهور صحته.

(1) – جزيل الشكر للدكتور وشاح نوري ونه، لمساعدته من خلال تزويدي بصورة والده وتقديم المعلومات عن حياة الراحل نوري ونه طيب الله ثراه.

ألعودة

في يوم من أيام آب 1965 أستلمت رسالة من أخي همام طيب الله ثراه يبشرني فيها بقرار رئيس الجمهورية (عبد السلام عارف) بالإعفاء عني لصغر سني، بعد أن قضيت أكثر من سنتين في السجن!!! ولولا الحملة العالمية للجنة الدفاع عن الشعب العراقي، وضغط الرأي العام العالمي والعربي لما أنتبه رئيس الجمهورية لصغر سني، بعد أن قضيت هذه السنين في السجون والمواقف متنقلاً بين الكوت والحلة ونقرة السلمان إضافة لما تحملته من تعذيب جسدي ونفسي وضياع ثلاثة سنوات دراسية. أرفق أخي قصاصة من الصحيفة وفيها ألقرار وقد نص ايضا على إعفاء والدي عما تبقى من محكوميته، حيث لم يبق للوالد لإنهاء محكوميته غير خمسة أيام!. وقد علمت بعد إطلاق سراحي أن عائلة الزميلين الاخوين عباس الجصاص وأخيه إسماعيل السجينين معي قدمت طلبا إلى رئيس الجمهورية عبد السلام عارف تلتمسه فيها بإصدار عفو عن أبنائها، كما حذوت حذوهم عوائل اخرى، وإن رئيس الجمهورية بعد إطلاعه على ملف قضيتنا والتي شملت 48 شخصا، قرر الافراج عني لصغر سني، كما عفى عن الذين حكموا لمدة سنتين حيث لم يتبق سوى أيام معدودة لأنهاء محكومياتهم.

أطلق سراح والدي بعد نقله من سجن الحلة إلى مديرية الأمن العامة في بغداد بدون أية عرقلة، وسافر في نفس اليوم إلى كربلاء. في سجن النقرة لم يصل قرار الإفراج عني إلى إدارة السجن رغم مرور أكثر من إسبوعين على صدوره، بينما أنا أنتظر وصوله على أحر من الجمر لأعيش مجددا بين أحضان عائلتي ولأعود إلى مدرستي لإكمال دراستي. وعندما وصل القرار إلى إدارة السجن كانت تعليمات وزارة الداخلية تنص على عدم إطلاق سراح السجين إلا بعد إرساله مخفورا لمديرية أمن مدينته، ليتحققوا من عدم

وجود قضايا أخرى ضده، حينها يتم الافراج عنه! هكذا سُفِرتُ إلى مركز شرطة كربلاء، متنقلا بين مواقف السماوة وموقف السراي في بغداد وأخيرا موقف شرطة كربلاء، وأنا واثق من أنهم سيفرجوا عني لعدم وجود أي إتهام آخر ضدي. في موقف شرطة كربلاء الكبير التقيت مع مجموعة من البعثيين ممن كانوا مشرفين على إعتقالنا أيام الحرس القومي بعد إنقلاب 8 شباط، وهم الان معتقلين. كان جميعهم يتحدثون عن الأخطاء التي إقترفها حزبهم بحق الشيوعيين ويعلنون ندمهم ويتحدثون عن الخط اليساري في حزبهم، وكانوا يحاولون التقرب مني من خلال مزاحهم وكأنهم لم يمارسوا يوما التحقيق والتعذيب الهمجي مع الشيوعيين وأصدقائهم وإني أحد ضحاياهم.

لابد من الإشارة الى ان سلطة عبد السلام عارف وبعد إنقلابه على حلفائه في 18 تشرين الثاني 1963 شنت حملة إعتقالات خجولة ضد حزب البعث وبعض قياداته في كربلاء. وربما أن بعض الكوادر البعثية في المدينة وبعض أفراد الحرس القومي ممن مارسوا التعذيب والقتل وأستهتروا في تصرفاتهم كانوا يتمنون الاعتقال لأنقاذهم من غضب الجماهير الكربلائية. وما زلت أتذكر كيف حاصرت الجماهير المتجمعة يوم الانقلاب أمام المكتبة العامة تطالب الحرس القومي بالاستسلام وتهددهم بالقصاص، بينما كان بعض أفراد الحرس القومي متجمعين داخل المكتبة وقد أغلقوا الأبواب عليهم لمنع إقتحام الناس المكتبة وإخراجهم. وكان أحد افراد الحرس القومي (أبو حدبة) للأسف لا أتذكر اسمه وهو من محلة السعدية يتوسل بالجماهير ويعلن تبرؤه من البعث ويرجو الجماهير بالعفو عنه، ولم يتم العفو عنه إلا بعد إستجابته لطلب المتجمعين بالرقص مقلدا القرد من على شرفة المكتبة المطلة على الشارع العام! ورغم التظاهر الجماهيري الغاضب لم يمس البعثيون بأي أذى، ماعدا رقصة أبا حدبة، ولا أدري لماذا طلب المتظاهرون منه هذا الطلب ولماذا وقع عليه الأختيار ليقدم رقصته مقلدا القرد. كما

لم تمارس سلطات الأمن ضدهم أي تعذيب مثلما مورس مع الشيوعيين وأصدقائهم، ومعظمهم أطلق سراحه من دون محاكمة وأعتقد انهم لم يقدموا الى أية محاكمة لأن الجميع أفرج عنهم وخاصة قياداتهم بينما بقى ضحايا إنقلاب شباط يرزحون في السجون! وأعتقد ان موقف سلطة عبد السلام، بعد إنقلابه، من البعثيين في بقية المدن العراقية كان متشابها إلا في حالات نادرة.

في اليوم الثاني من وصولي إستدعاني مفوض الأمن لطيف، وتحدث بأسلوب منافق متظاهرا بتعاطفه معي لضياع سنوات عديدة من دراستي ومن شبابي في أقبية السجون، وأستدرك في حديثه ليمتدح رئيس الجمهورية وعطفه عليّ وان هذا الموقف من رئيس الجمهورية يتطلب مني الأعتراف بهذا الجميل والعطف الكبير من رئيس الجمهورية، ثم وصل الى خلاصة بأن رد الجميل لا يكون إلا بإعلان البراءة من الحزب الشيوعي. قلت له وبنبرة جادة، لو كان عندي الإستعداد للبراءة لفعلت ذلك يوم المحاكمة وتجنبت السجن أو لأعلنتها يوم زارتنا لجنة وزارة الداخلية إلى سجن النقرة، ثم ان قرار رئيس ألجمهورية لآ يشترط عليّ البراءة، بل يفهم من صيغة القرار أنه يحملكم مسؤولية تقديمي للمحكمة بسبب صغر سني. بعد أن سمع ماقلته تغيرت ملامح وجهه وظهر مجددا على حقيقته التي إعتدتها وقابلتها من قبل، وأعادني للموقف غاضباً وهو يصرخ بعصبية وحقد: لاتنفع معكم الرحمة والعفو، للأسف مازلت كما كنت ولم يغيرك السجن، وستبقى تتعفن هنا أو تعلن براءتك وتبتعد عن السياسة.

كرر لطيف إستدعائي مساء نفس اليوم، ولم أعد أرى في وجهه تلك الملامح اللطيفة المنافقة والتي قابلني فيها صباح اليوم. بدأ حديثه معي متصنعا الجدية والصرامة محاولا الضغط علي لأعلان البراءة. ولم يخلُ حديثه من تهديد بإستمرار حجزي وتلفيق تهمة

جديدة لتقديمي للمحكمة والزج بي في السجن مجددا. قررت ان أكون قويا وصلبا في ردودي معه متمسكا بقرار رئيس الجمهورية وهو قرار واضح. قلت له مامعناه: أنتم تعرفونني جيدا، وسبق أن إعتقلتموني وحققتم معي ومارستم الضرب والتهديد اللاأخلاقي معي وكنت أصغر سنا وفشلتم في كسر إرادتي، فهل تتوقع مني التخاذل بعد أن قضيت مايقارب ثلاثة سنوات صامدا في السجون، أنصحك أن لاتتعب نفسك معي، وأنتم أحرارا في تنفيذ قرار رئيس الجمهورية أو عدم تنفيذه! لم يناقشني وطلب من الشرطي أن يعيدني للموقف وهو يتوعدني.

قررت ألاضراب عن ألطعام وأبلغت والدي عند زيارته لي في اليوم الثاني، ووافقني على قراري لا بل شجعني وأوعدني بأنه سيواصل تحركه من أجل الإفراج عني. صباح اليوم الثاني رفضت الفطور وأبلغتهم بقراري بالإضراب إلى أن يطلق سراحي بدون قيد أو شرط، وقد أرفقت ذلك بمذكرة. زارني جارنا الجديد الراحل حميد نادي طيب الله ثراه وطلب مني عدم الإضراب والإنتظار لجهوده، حيث كانت له علاقات جيدة مع المسؤولين في دائرة الأمن، وأنهم بالتأكيد سيطلقون سراحي، وأبلغته بتصميم إن إضرابي لايعرقل جهود الافراج عني وإنما يخدمها. قابل والدي مفوض الأمن لطيف وسأله عن سبب حجزي وعدم تنفيذ قرار رئيس الجمهورية. برر لطيف إستمرار حجزي لأني غير شاكر لرئيس الجمهورية وأرفض إعلان براءتي من الحزب. وأستدرك لطيف سائلا والدي: هل هذا يعقل ياأستاذ أبو كفاح، يرفض البراءة بعد أن عفى عنه الرئيس؟! قال له والدي وبصلابته المعهودة نعم يُعقل، فأنا أطلق سراحي بدون براءة، وبلغ محمد بأني لن أُسامحه لو أعلن براءته، وأنتم ستتحملون مسؤولية أي مكروه يحدث لولدي بعد إضرابه وقد أضطر الكتابة عبر الصحافة لرئيس الجمهورية وأروي مايجري من عرقلة لقراراته من قبل جهاز الأمن هنا. بعد ثلاثة أيام من الأضراب عن الطعام قرر والدي

طلب المساعدة من طيب الذكر مدير تجنيد كربلاء (أبو مشرق)، وهو عسكري من أنصار الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم وقد لعب دورا شجاعا في كربلاء عندما قام عبد السلام عارف بإنقلابه حيث بادر مديرالتجنيد بالتحرك مع جنوده وحرر إحدى محطات البانزين في كربلاء من سيطرة بعض أفراد الحرس القومي وأستسلم البعثيون بسرعة وبدون أن يطلقوا طلقة واحدة. لم تكن لنا أية معرفة بمدير التجنيد، وقد سمع بما جرى لنا من إعتقال وفصل وسجن عن طريق السادة (آل طعمة) أصحاب مخزن كماليات الرافدين الموجود قرب قبلة باب العباس في كربلاء، فتعاطف مع العائلة وعرض إستعداده لتقديم المساعدة، وهو الذي ساعد الوالدة للحصول على موافقة الحاكم العسكري لزيارتي في سجن النقرة. توجه والدي له وطلب تدخله، وفعلاً تدخل وأطلق سراحي بعد 5 أيام من الأضراب عن الطعام، وهكذا عدت لأعيش مجددا بين أهلي وأصدقائي في محلة العباسية الشرقية.

بعد خروجي من السجن برزت أمامي مشكلة العودة للدراسة لإكمال الثانوية. حين حكم علي من قبل المجلس العرفي بخمس سنوات كنت في الصف الخامس العلمي في ثانوية كربلاء للبنين. كان عليَّ مراجعة إدارة الثانوية لمعرفة الأجراءات اللازمة لعودتي للدراسة، بعد إنقطاع قسري قضيته بين السجون والمواقف لأكثر من سنتين. راجعت مدير الثانوية الاستاذ علي جواد الخياط وهو يعرفني جيدا كوني كنت أحد طلبته لأكثر من سنة كما كان زميلاً لأخي كفاح في نفس الأسرة التدريسية، متوقعا منه أن يساعدني ويرحب بعودتي للدراسة كي أعوض السنوات ألتي خسرتها. عرضت عليه مشكلتي ورغبتي للعودة لإكمال الثانوية وسألته عن الإجراءات اللازمة. فأجابني بأني أُعتبر راسبا لمدة سنتين ولم يبق أمامي سوى الدوام في المسائي، أي أن هذه السنة ستكون محاولتي الأخيرة، وأي فشل يعني التحاقي بالخدمة ألعسكرية، بمعنى آخر ان كل

مستقبلي الدراسي سيكون مهددا بالضياع. حاولت محاورته لأن الإنقطاع كان خارج إرادتي لكنه أصر على رأيه معتمدا على فقرة في القانون تنص على إعتبار الطالب راسبا لمدة سنتين إذا إنقطع عن الدوام الرسمي مدة تزيد عن 60 يوما.

راجعت وزارة التربية بصحبة أخي همام ، وعرضنا المشكلة وهي ليست أول مشكلة تصادفها الوزارة، تعاطف معي الموظف المسؤول بالرغم من عدم معرفتي السابقة له، وعلق بإستهجان إن مدير مدرستك لم يفهم القانون جيدا أو أنه لايرغب بمساعدتك، وإن الفقرة تنطبق على الطلبة المهملين والغير جديين ويتغيبون وينقطعون عن الدوام بدون أي عذر ولاتنطبق على المعتقل لأن غيابه ليس بإرادته. سلمتني الوزارة كتابا إلى ثانويتي ينص بعدم ممانعة الوزارة لعودتي للثانوية مادام إنقطاعي كان بسبب السجن، وأن قرار العودة يكون من صلاحية مجلس المدرسين. عدت إلى كربلاء مسروراً وأنا متسلح بكتاب وزارة التربية وهو يؤيد حقي في مواصلة دراستي في نفس الثانوية. في اليوم الثاني سلمت الكتاب إلى الأستاذ علي جواد الخياط، قرأه بتمعن وهو يرفع عينيه من لحظة واخرى يحدق بي ثم قال: أذهب ألان إبني وسوف ندرس الكتاب ونعطيك الجواب في الأسبوع القادم. رجوته بالأسراع لأنه لم يبق لي وقتا والدوام يبدء في الأسبوع القادم. للأسف دراسة الكتاب والجواب عليه إستغرق أكثر من إسبوع، وكان الجواب لايختلف عن سابقه برفض عودتي باعتباري راسب لمدة سنتين. ناقشته كوني لست راسبا ولم أداوم بسبب سجني وكتاب الوزارة واضح وهو لمصلحتي، وأنا أنتظر مساعدتك كونك أستاذي ومثل أبي فهل ترضى أن يضيع مستقبلي. ردَّ علي بجملة واحدة لخصت لي شخصية أستاذي الجليل ودوافع رفضه بقوله: إبني تقبل أن يتهمونني بالشيوعية وأدخل السجن!! حينها تأكد لي أن موقف أستاذي نابع من خوفه أو أن هناك زملاء أو أصدقاء له ربما يضغطون عليه لعرقلة عودتي، ومهما يكن من سبب فلم أتوقع

من أستاذ أعتبره بمثابة والدي أن يقف من مشكلتي هذا الموقف وخاصة إني معروف في المدرسة من الطلبة الجديين والمهذبين. كان بالأمكان أن تقنع أي إنسان ولكن أن تقنع أستاذي ألذي سيطر عليه الخوف والبعبع من الشيوعية فهذا شبه مستحيل. لاأدري لماذا لم أفكر حينها بألإستعانة ببعض الأساتذه الطيبين ممن يعرفونني ويحترمونني مثل ألطيب الذكر أستاذي بالفيزياء مهدي هادي حلمي، وأعتقد أنه سيتفهم مشكلتي ويتعاطف معي خاصة إني كنت من الطلبة المتفوقين في مواده العلمية، وقد بلغني تأثره عندما سمع بصدور الحكم عليّ، وكان قادرا على التأثير على المدير!!

عدت خائبا بسبب موقف مدير ثانويتي ومربي الأجيال القادمة. خذلني موقفه ولم أتوقع منه أن يكون هو العقبة في إستعادة حقي في مواصلة دراستي في ثانويتي التي أُجبرتُ على تركها بسبب إعتقالي. وموقفه هذا يتناقض مع ماكان يدعو اليه في مواعضه لنا اثناء تدريسه، فإيمانه بالله ودعوته الدائمة بعمل الخير ومساعدة الاخرين تتناقض مع موقفه من مشكلتي. سافرت إلى بغداد لمراجعة الوزارة مجدداً. إستغربوا من موقف المدير، وسألني بعضهم عن دوافع المدير وإصراره وهل توجد بيني وبينه مشكلة محددة. وضحت لهم إني لم أكن متوقعا منه هذا الموقف مطلقا، وموقفه ناتج من خوفه أو أن هناك من يدفعه لهذا الموقف. بادر المسؤول في الوزارة إلى إصدار كتاب واضح، مفصلا لأدارة المدرسة الخطوات التي يجب إتباعها لإعادتي للمدرسة وفق القانون، مؤكداً أن هذا الكتاب سيضع حدا لتخوف المدير، ويبعد عنه اية مسؤولية. مازلت أتذكر كل بنود الكتاب الوزاري وكأنه حدث بالأمس لإني قرأته عشرات المرات وأنا في طريقي من الوزارة إلى فندق كوكب الفرح في بغداد حيث أخي همام بإنتظاري، وكنت أحس بسعادة لاتوصف لهذا القرار العادل والمسؤول، وهذه أهم أسس كتاب الوزارة حسب ماتسعفني بها الذاكرة:

1- إذا تغيب الطالب لمدة أكثر من 60 يوما متواصلة يفصل من المدرسة.
2- إذا لم تتخذ إدارة المدرسة قرارا في فصله في حينها، فمن حق مجلس المدرسين وفق الفقرة .... أن يجتمع ألآن ويتخذ قراراً بفصله حتى وإن مرَّ على إنقطاعه سنوات.
3- أذا كان الغياب بسبب الأعتقال أو السجن يحق لمجلس المدرسين بعد فصله إتخاذ قرارًا بإعادة الطالب للدراسة إلا في حالة تجاوزه السن المسموح به في تلك المرحلة الدراسية.

أن من أتخذ هذا القرار يحس بالمسؤولية التربوية في إعطاء الفرصة لمن أجبره النضال ضد الإستبداد والظلم للإنقطاع عن مواصلة دراسته، بمنحه الفرصة مجددا لمواصلة دراسته، لا أن يمارس الظلم والإضطهاد ضده حتى من قبل أساتذته في المدرسة. كان أخي همام في إنتظاري في الفندق، قرأ أخي الكتاب وربت على كتفي وحثني على السفر بسرعة إلى كربلاء لأن المدارس بدأت منذ أكثر من إسبوعين وأنا مازلت في المراجعات، مؤكدا لي أن هذا ألكتاب سوف لن يعط مجالاً للمدير بالتهرب من إعادتي.

صباح اليوم الثاني راجعت المدرسة وسلمت الكتاب إلى كاتب المدرسة فاضل الربيعي الذي أكد لي أن الكتاب سيضع حد لمشكلتي ولصالحي. إستغرق إعطائي جواب إسبوع آخر كنت فيه مواضب على الحضور للمدرسة يوميا واقفا أمام غرفة المدير علَّه يتخذ قراراً شجاعا مستندا فيه على كتاب الوزارة. مرة اخرى تخاذل أستاذي الجليل علي جواد الخياط ورفض طلبي مؤكدا لي بأنه يعرف القانون أفضل من موظفي الوزارة وإن أي قرار يتخذه هو يتحمل مسؤوليته، ورفض عرض الكتاب على مجلس المدرسين!!. عدت مذهولا من موقف مديري هذا الذي كنت أكن له كل الإحترام، وخلال طريقي إلى البيت قررت أن لا أضيع الوقت في المراجعات وقد بدء الطلاب بالدوام منذ أسابيع.

قررت الإنتقال والعيش في بغداد مع أخي همام تجنبا لملاحقات الأمن ومضايقاتهم.
إنتقلت إلى الثانوية الجعفرية الأهلية وسكنت مع أخي همام بمشاركة آخرين في شقة من غرفتين بعگد (زقاق) النصارى. أنا وأخي سكنا في غرفة والغرفة الثانية سكنها ثلاثة أصدقاء، الشهيد كاظم الرماحي (1) ، وصاحب الأسطة البارع الذي إشتهر بين الحرفيين في صناعة الأحذية في شارع النهر لدقته وبراعته في صناعة الأحذية وكان أصحاب المحلات في حينها يتنافسون فيما بينهم على موافقته في العمل لصالح مصانعهم الصغيرة، أما الثالث كان أيضا عامل أحذية وأسمه سعد.

بعد إستقراري في بغداد ودوامي في الثانوية الجعفرية حان وقت العمل من أجل الإتصال بالحزب، هذا ما أوصاني به الرفيق أبو وميض (سامي أحمد) عند توديعي في سجن النقرة هامسا في أذني: أبحث رفيق أنت عن الحزب لتعيد صلتك به ولا تنتظر أن يبحث عنك الحزب، مسألة ترحيلك تطول والوصول إليك قد يأخذ عدة أشهر. سألني أخي إن كنت على علاقة تنظيمية بالحزب وأرغب في الإستمرار، أجبته نعم ولاأعرف أحدا في بغداد وأفضل ان أكون بعيدا عن تنظيمات كربلاء. أوعدني بأنه سيرتب لي علاقة حزبية في بغداد. تم تنظيم إتصالي بالحزب أول الأمر عن طريق (أ.ك) وحدثت في البداية بعض الملابسات وانقطاع (أ.ك) عن حضوره بعض اللقاءات الفردية، وأنا أنتظره على قارعة الطريق في شوارع بغداد، مما سبب لي قلقا وعدم إطمأنان لهذه العلاقة القلقة.
وبمساعدة أخي مجددا إرتبطت عن طريق خط عمالي ـ عسكري يقوده (ح.ج)، وكنت أعرف (ح.ج) منذ إعتقالي في كربلاء أيام الحرس القومي، حيث كان معتقلا معي.
تعرفت عليه لأول مرة في مقر ألحرس ألقومي (المكتبة ألعامة) وكما ذكرت سابقا كانت مركزا للتحقيق والتعذيب. عرفنا منه بعد أن تعرض للتعذيب وسألناه عن سبب تعذيبه.

وضح لنا أنه كان قد قطع علاقته بالحزب قبل إنقلاب شباط، ولكن بعد المأساة والنكبة ألتي حلت بالحزب وقياداته بعد إنقلاب 8 شباط الدموي، قرر أن يعود للعمل التنظيمي للحزب وأن يقدم كل خدماته الممكنة للحزب. لكنه لم يبق طليقا إلا لفترة قصيرة بالرغم من أنه كان زوج شقيقة البعثي القيادي سعدون حمادي. موقفه الشجاع هذا كان محل إحترام وتقدير.

(1) – الشهيد كاظم الرماحي، هو أخ الشهيد عبد الإله الرماحي الذي أستشهد تحت التعذيب أيام الحرس القومي، أما كاظم فقد اعتقل بعد انقلاب 8 شباط وعذب في قصر النهاية حتى سبب له التعذيب إعاقة جسدية (شلل) في يده اليمنى، وبعد إطلاق سراحه أشتغل كعامل مبيعات أحذية في شارع النهر لحساب أحدهم، وتمكن من جمع مبلغا من المال للسفر إلى الخارج متوجها للأتحاد السوفياتي حيث حصل على دراسة جامعية وتخرج طبيبا، لكنه عاد مجددا للوطن لخدمته متحديا ألأرهاب الصدامي. وعندما أنتفض شعبنا عام 1991 وقف الشهيد بشجاعة وبطولة إلى جانب المنتفضين في كربلاء ليداوي جراحهم ويشد من عزائمهم. وعندما فشلت الانتفاضة انتقم منه البعثيون شر انتقام فأعدموه بحجة وقوفه مع المنتفضين، ونسوا الدور الانساني للأطباء.

والدي مسؤول كربلاء للحزب!

واظبت على الدوام في الثانوية ألجعفرية الى أن أنجزت إمتحانات نصف السنة حيث قضيت العطلة الشتوية في كربلاء بين عائلتي. في اليوم الأخير من العطلة، سمعت طرقا على الباب، وكنت على أهبة السفر إلى بغداد ، ولما خرجت لإرى من الطارق وجدت ناصر خاتون وسلمني رسالة من أخي وقال لي إياك والسفر إلى شقتكم في بغداد ففيها كمين من الأمن!!. تعرفت على ناصر خاتون في موقف شرطة كربلاء عام 1962 ، أعتقل حينها مع ثلاثة من رفاقه عندما كبس بيته إثر بلاغ بممارستهم القمار في البيت، وبعد التفتيش عثروا على محضر إجتماع لخلية شيوعية، وعند التحقيق مع رفاقه، أبلغ أحدهم ضابط الأمن أن المحضر المذكور ربما يكون عائد لأحد أصدقاء ناصر والذي يتردد على البيت دائما وأسمه (ش.ر) وقد حاول ناصر الدفاع عن ش وإبعاده عن تهمة علاقته بالمحضر! وعند إعتقال ش وبعد التحقيق معه أعترف بأنه كتب المحضر بتكليف من ناصر لعدم قدرته على الكتابة. لم يكن ناصر خاتون على علاقة جيدة بالحزب، لكنه إنسان شهم ويقدر العلاقات الشخصية ويحافظ على الامانة مهما كانت، وكانت تربطه علاقة صداقة قوية بـ (ش.ر) وتقبل إعتراف ش عليه وثبت ذلك في التحقيق، وفي المعتقل إعتبرنا موقف ش ضعيفا ومسيئا وأدين بشدة، وشجعناه على تدارك الموقف وألا يتمادى في التجاوب مع أجهزة الأمن لكشف أسرار المحضر ونجحنا في الشد من عزيمته وعدم التمادي في موقفه الضعيف، وهكذا رمى ش الكرة في ملعب صديقه ناصر، واثقا أن علاقات ناصر بأجهزة الامن ومعرفتهم الشخصية له ستوقف عملية التحقيق، كان ناصر معروفا في كربلاء بقربه للقوى القومية وكان أحد شقاواتها في الخمسينات ومعروف ببعده عن الحزب الشيوعي، وفعلا توقفت الأجهزة الأمنية عن مواصلة التحقيق.

فتحت الرسالة وتأكد لي كلام ناصر، أسرعت إلى بيت كاظم الرماحي لأحذره فكان هو الاخر على علم بما حدث. سافرت الى بغداد وأتصلت بصاحب في محل عمله، علمت منه أن الأمن هاجموا الشقة وكسروا قفلها في وضح النهار وكمنوا فيها ينتظرون عودت ساكني الشقة، وتبين أن المقصود في ذلك أخي. إنتبه أصحاب محل لصناعة الأحذية مقابل شقتنا لفعلة الأمن، وهم من الأصدقاء الطيبين فقرروا مساعدتنا وإنقاذنا من الكمين. توزع عمال المحل في أطراف الأزقة المؤدية للبيت لتحذيرنا وآخرون ذهبوا يبحثون عن أخي همام في مقاهي أبا نؤاس، لم يعثروا على أخي طول النهار، وكان خوف بعضهم من وقوع أخي في ألكمين دفعهم للإنتظار حتى في مداخل السينمات التي يتردد عليها لتحذيره.

كان أخي مع بعض الأصدقاء في سينما النصر، وعندما غادر سينما النصر مع أصدقائه كان في الباب صاحب البنة وهو عامل أحذية كان قد تخاصم مع أخي قبل أيام. يقول أخي وجدته كمن يريد أن يقول لي شيئاً ولكنه متردد فتركته ومشيت وبعد عدة أمتار إلتفتُ فوجدته يراقبني فسألته هل تريد أن تقول شيئاً، فقص على أخي ماجرى وهكذا أنقذ أخي من إعتقال محقق. بالنسبة لزملاء الشقة تخلصوا من تداعيات كبسة الأمن، حيث أن أصحاب ألمحلات التي يعملون فيها تمكنوا من التوسط لإخلاء سبيلهم خاصة أنهم لم يعثروا على مستمسكات في غرفتهم. بينما عثروا في غرفة أخي على مسدساً مع بيانات للحزب وقصيدة الجواهري الشهيرة (أمين لاتغضب) وفيها من إدانة ووصف يسيء لعبد السلام بإسلوب نال إعجاب شعبنا وأصدقائه من العرب كما في البيت التالي:

ياعبد حرب وعدو السلام ياخزي من زكى وصلى وصام

أضطر أخي إلى ألإختفاء في منطقة الكرخ عند صديقه الطبيب البيطري رجاء، ولم

يلتحق في عمله بالمدرسة ولحسن الحظ لم أكن مدرجا في إهتمامات الأمن، وتمكنت بمساعدة سعد أحد سكان الشقة من نقل أثاث غرفتنا، كما نقلت دراستي الى ثانوية كربلاء المسائية. بعد أيام أنتقل أخي للعيش في ألنجف متخفيا في بيت خالتي أم عبد الأمير طيب الله ثراها. بعد أشهر من الإختفاء حصل أخي على أسم محامي أبدى إستعداده بغلق ملف القضية، ولما قابلناه أنا وأخي في مكتبه في بغداد طلب مبلغ 200 دينار لغلق القضية لكنه ربط ذلك بأن يعلن أخي براءته من الحزب الشيوعي، وأعتبر البراءة شرط من أجهزة الأمن لايمكن تجاوزه، فرفض أخي كل الصفقة وعدنا للنجف. بعد ستة أشهر من الإختفاء تمكن والدي وبالصدفة أن يكتشف أحد معارفه ذو علاقة قوية بمدير الأمن العام وهو زميل له في لعب البوكر والسهر سوية، وبعد أن شرح له والدي تفاصيل القضية أوعد والدي بحلها. تم الإتفاق مع مدير الأمن أن يحضر أخي ويستجوب وينفي علمه بالمستمسكات التي وجدوها في البيت ويفرج عنه مباشرة، وفعلا أوفى المدير بتعهده.

كانت حياتي رتيبة وهادئة في كربلاء لولا منغصات الأمن. كانت أعين الآمن تلاحقني، حتى أن البعض من المعارف والأصدقاء كان يتجنب الجلوس معي في المقهى. وفي هذا الوقت العصيب الذي عشته تعرفت على صديق جديد، أو بالأحرى هو الذي بادر للتعرف علي ومد جسور الصداقة متحديا مضايقات الأمن له. إنه صادق الحلاق طيب الله ثراه، سبق وأن تعرفت على والده في موقف شرطة كربلاء عام 1962 حيث أعتقل في بيت ناصر خاتون. كان صالون حلاقة صادق في محلة العباسية الشرقية وعلى الشارع العام (شارع العباس)، وقريبا من بيتنا. وكعادة شبابنا ولعدم توفر أماكن مناسبة للهو وقضاء وقت الفراغ كنت أجد المتعة والتسلية في اللقاء مع أصدقاء المحلة في مقهى الطرف أو اللقاء قرب محل أحد المعارف، وكان صالون حلاقة صادق مركزا لتجمع ألشباب التقدمي

في المحلة. وبادر صادق طيب الله ثراه للتعارف علي ودعوتي لصالونه، وكانت دعوته لي بصوت عال وبنبرة فيها تحدي أتبعها بشتيمة لأجهزة الأمن. فأسرعت لتلبية دعوته كي لايتمادى في الشتم بهذه العلنية مما قد تسبب له ولي المتاعب. وهكذا نشأت بيننا هذه العلاقة وتوطدت خلال السنوات التالية ولم تتمكن أجهزة الأمن العارفي ولا النظام البعثي من زعزعتها، حتى وافاه الأجل في حادث سيارة مؤسف عام 1980 حيث كنت حينها في الجزائر. أصبح صالون حلاقة صادق المكان المفضل لي لقضاء أوقات فراغي، وكان صالونه مقرا لتجمع معظم الشباب التقدمي ومركزا لسماع كل أخبار المدينة، لذلك كانت الأجهزة الأمنية تغتاض من تصرفات صادق الجريئة. كان صادق طيبا وشجاعا ولايتهيب من مراقبة الأجهزة الامنية، ويحاول دائما رغم عمله اليومي، أن يتحين فرص عدم وجود زبائن في محله ويرافقني بسيارته لقضاء بعض الوقت في المقهى. وفي أحد المرات وبعد عودتنا من المقهى أخبره أخوه هاشم بأن شرطي الأمن ناصر جاء وسأل عنه! فقال لأخيه مرة ثانية إذا سألك أي واحد من هؤلاء .... أخبرهم بأنني مع محمد الشبيبي في المقهى.

بعد إنتقالي الى كربلاء أبقيت صلتي الحزبية في التنظيم الحزبي ببغداد ونسقت علاقتي معهم من خلال لقاءات شهرية أوكلما سنحت لي فرصة السفر لبغداد، وهذا ساعدني كثيرا على الأهتمام والتفرغ لدراستي خاصة أن هذه السنة، بفضل أستاذي علي جواد الخياط، هي المحاولة الأخيرة لإجتياز إمتحان البكالورية. وبالرغم من أنه لم تكن لي أية صلة حزبية أو نشاط حزبي في كربلاء، فإن أجهزة الامن لم تتردد في إستدعائي والتحقيق معي وإفتعال الأدعاءات الكاذبة علي. وقد تعودت على إسلوبهم الإستفزازي وكنت أتوقع إستدعاءاتهم، التي لا تخلُ من التهديدات، كلما كانت مناسبة دينية وخاصة أيام عاشوراء وزيارة الأربعين. وفي أحد الأستدعاءات إتهمونني بعلاقة حزبية مع

الشهيد عبد الزهرة السعدي (الشرطي)، ونسبوا إليه إعترافا كاذبا بذلك وإنني أدفعه في كتابة أشعاره الحسينية التي يرددها موكب عزاء العباسية الشرقية الذي عرف بأهازيجه الحسينية ذات الصبغة المطلبية والوطنية الديمقراطية، مما كان يغيض القوى الرجعية. وكان الشهيد محجوزا حينها في مركز شرطة كربلا وذلك للحؤول بينه وبين المشرفين على الموكب الحسيني وعدم إيصال أشعاره الحسينية إليهم. ولم أصدق إدعائهم حتى عندما أبدوا إستعدادهم بإحضاره أمامي ليؤكد مايدعيه. وقد حاولوا أن يقوموا بنفس الخديعة مع عبد الزهرة، فأستدعوه من الموقف بينما كنت أنا في الممر أنتظر وتقصدوا مخاطبتي أثناء وصوله قريبا مني لينتبه الى وجودي. وقد أخبرني الشهيد بعد إطلاق سراحه بأن الأمن إدعوا بأني أعترفت عليه وإني طلبت منه بإسم الحزب كتابة الأشعار الحسينية في المناسبات الدينية وطلبوا منه الأعتراف، وطبعا رفض هذه الادعاءات ولم يصدقهم.

كان الشهيد عبد الزهرة السعدي زميلي في الثانوية قبل دخولي السجن، وينحدر من عائلة كادحة، ودفعه العوز المادي في ترك دراسته والألتحاق بالشرطة، ومن هنا جاء لقبه الثاني (ألشرطي)، ولكن لم يتمكن في الاستمرار في عمله أو أن طلبه رفض، لم أعد أذكر تفاصيل ذلك. برز الشهيد في فترة حكم العارفين كأحد مؤليفي الأشعار الحسينية في كربلاء. كانت أشعاره ذات طابع ديمقراطي وإجتماعي تحرري، ويخص بها أحد أكبر المواكب الحسينية في مدينة كربلاء (موكب عزاء محلة العباسية الشرقية)، وعرف موكب العباسية الشرقية بمشاركة معظم الشباب الشيوعيين وأصدقاؤهم حتى من المحلات الأخرى، وكان يشرف عليه الراحل كاظم عباس الوزني طيب الله ثراه وهو أحد الوجوه ألأجتماعية المعروفة في كربلاء، وعرفت عائلة الوزني وخاصة أبناؤه بتعاطفهم أو إنتمائهم للحزب الشيوعي. وكانت القوى الرجعية في كربلاء تتوحد في محاربة

الموكب وإفتعال الأعذار لعرقلة مسيرة الموكب في شوارع كربلاء، وكان يتم ذلك بتشجيع ومساهمة أجهزة الأمن. ولم تتورع القوى الرجعية وأجهزة الأمن المنافقة في إتباع أحقر الطرق والبعيدة عن الأخلاق والشعائر الدينية لأفشال مسيرة موكب عزاء العباسية الشرقية، وأذكر أنهم في أكثر من مرة أطلقوا بغفلة من جمهور الموكب الكلاب وسط العزاء للتشويش عليه وخلق الضجيج وإفشاله، لكن عزاء العباسية كان دائما متألقا في كربلاء وهو يردد الشعارات الوطنية والمطالبة بالديمقراطية، وكان أحد الاساليب النضالية للشيوعيين من أجل نشر الوعي السياسي الوطني بين الجماهير بعيدا عن التعصب الديني الأعمى. وللقاريء أذكر بعض ماختزنته الذاكرة من أشعار الشهيد عبد الزهرة وفي فترات متفاوته:

شعبي كالجمل أكله الصبح عاگول

لكن على الظهَر كلَ ذهب محمول

شنهو الذهب مفعوله

لو حاير بعاگوله

يحسين الشعب باسمك نضالاته

لآحظ المعنى الاجتماعي والطبقي في هذه الابيات وطريقة التحريض السياسي في النضال من أجل تحسين الأوضاع الأقتصادية وتسخير ثروات الوطن في خدمة الشعب. وبعد نكسة حزيران أخذت أشعار عبد الزهرة طابعا قوميا ديمقراطيا فاضحا التخاذل العربي الذي حاول تبرير فشله في مقاومة العدوان الأسرائيلي برداءة السلاح السوفياتي، مدافعا عن الصداقة العربية السوفياتية، كما جاء في هذه الابيات الحسينية:

قدم السوفيت إللنه بالحرب أعظم وسام

والجيوش العربية تشهد بصاروخ سام

لازم نصون الصداقة

لازم نقوي العلاقة

هالشعب يحسين باسمك ماشي بدروب النضال

لابد من الأشارة الى أن الشهيد كان قريبا من الحزب الشيوعي وليس لدي أي معلومة فيما إذا كان منتميا للحزب أم لا لأن إرتباطي الحزبي كان في بغداد. لكن الأنطباع عن شباب محلة العباسية الشرقية في كربلاء (والشهيد أحدهم) هو تعاطفهم أو إنتمائهم للحزب الشيوعي ، ولهذا أطلقت القوى الرجعية تسمية (موسكو) على العباسية الشرقية. كان الشهيد يستغل كل حدث سياسي لتصويره في أشعاره الحسينية والشعبية منتقدا الجوانب السلبية في علاقات القوى الوطنية ومناديا بوحدتها، فبعد أن إرتكب المجرم سوار الذهب وعصابته جريمة إغتيال كوكبة (12 مناضلا) من كوادر الحزب الشيوعي العائدين سرا للوطن عبر كردستان، أدان تلك الجريمة بأبياته هذه:

ليش الدماء الطاهرة

صوت الشهيد ينادي

صونوا السلم ببلادي

هالشعب ماشي بدرب الحرية

يحسين نريد نصبح فد إيد

هكذا كان موكب عزاء العباسية وبأشعار الشهيد شعلة ضوء تشع في كربلاء لتضيء الطريق للجماهير وتكشف لهم زيف المنافقين والمتاجرين بالسياسة والدين، ولهذا أقدمت سلطات البعث الفاشية على تصفية الشاعر الحسيني المنسي الشهيد عبد الزهرة السعدي، لأنها تعرف أي تحريض وتأثير تتركه أشعاره الحسينية على الجماهير. وبعد سقوط النظام البعثي أحيت عائلة الوزني تقاليد موكب العباسية الشرقية وأطلع بهذا الدور حامد ابن كاظم الوزني، وأسعدني حينما أطلعت على أشعار الموكب الحسينية ووجدتها مازالت تنحو نفس المنحى القديم في بث الوعي الوطني وإنتقاد السلبيات في

الوضع السياسي، بعيدا عن التعصب الديني والطائفي كما يفعل الكثير من تجار الطائفية.

في يوم من أيام آيار عام 1966 كنت عائدا من دوامي المدرسي المسائي، نادى عليّ جارنا بائع الخبز كاظم جواد وأخبرني بأن والدي أخذوه شرطة الأمن قبل ثلاثة ساعات من الشارع وطلب أن أخبرك إذا ماتأخر. دخلت ألبيت وأنا قلقا لآ أعرف أسباب إستدعائه ولماذا تأخر كل هذا الوقت، قررت عدم التحدث عن الموضوع مادام تأخره لايثير تساؤلات الوالدة وشقيقاتي. لم يتأخر والدي كثيرا، حيث عاد بعد التاسعة. وحدثنا عن سبب إستدعائه وهو يشتم مسؤولي الأمن ويلعن غبائهم وأستهتارهم بحقوق وحرية الناس. أستدعي والدي وأتهموه أنه مسؤول منظمة الحزب الشيوعي في كربلاء، وطلبوا منه الإعتراف وكشف أعضاء ألمنظمة. نفى والدي كونه حزبيا وطالبهم بالدليل، لكنهم أصروا وأكدوا له بانهم يملكون الدليل وينتظرون الوقت المناسب لإبرازه. كانوا يتحدثون ويناقشون الوالد بإحترام، وبعد تلك الساعات من التحقيق أطلقوا سراحه وطلبوا منه أن يراجعهم غدا العاشرة صباحا. راجعهم في اليوم الثاني وأستمع الى نفس ألإتهامات من غير دليل، لكنهم كانوا يصرون أن الدليل موجود ويطالبون أبي ان يتعاون معهم. ثم تركوه ليذهب للبيت على أن يراجعهم في اليوم التالي صباحا. إستمرت مراجعات الوالد صباح كل يوم لمديرية الأمن والبقاء عندهم لساعتين أو ثلاثة ولفترة تجاوزت الشهرين. كان الحوار معه مهذبا وهادئ أحيانا وأحيانا أخرى لايخلو من المسبات والتهديد والوعيد.

في أحد المرات وأثناء ألتحقيق مع الوالد كان هناك أحد ضيوف مدير الأمن وكان يستمع لردود وحجج والدي وهي التي يكررها دائما : كنت شيوعيا وتركت العمل الحزبي لأني

غير قادر على تحمل فلقاتكم ومضايقاتكم، حتى في فترة الإنفتاح بعد ثورة تموز لم أنتمي للحزب....! تدخل حينها الضيف قائلا: أني أعرف علي ألشبيبي جيدا، ويظهر أن مشاكل الحياة أتعبته ولم يعد يتذكرني، أنا اؤكد لكم صدقه فهو لم يعد عضواً في الحزب كفوا عن التحقيق معه بهذه الطريقة. لم يتذكر أو يعرف والدي هذا الضيف كما أن الضيف لم يبادر بتقديم نفسه لوالدي. أحد المرات تأخر والدي في الأمن فذهبت لأستقصي الوضع فوجدته جالس في غرفة القلم السري التي سبق وأن رششنا بولنا على جدرانها يوم 9 شباط وقد تجمع حوله مجموعه من شرطة الأمن السري يستمعون لإحاديثه. للوالد قدرات كبيرة في التحدث الى مختلف المستويات ومختلف العقليات، واحاديثه مشوقة ويختار مواضيعه بحيث يجعل المقابل مشدود اليه ويتجاوب معه بكل أحترام. سألت لماذا والدي لحد الآن، أجاب أحدهم أن المدير لم يأتي لحد الآن ونحن نتمتع بقصص والدك، فقلت لوالدي مازحاً سوف تمتعهم بقصصك وأحاديثك المشوقة ويستدعونك كلما رغبوا للإستماع لإحاديثك فكن حذراً.

في إحدى مراجعات الوالد أليومية للأمن كعادته، لم يعد للبيت وتجاوزت الساعة الثانية بينما كان يعود في أسوء الحالات الساعة الواحدة، وساورنا القلق عليه. أرسلت شقيقتي نوال إلى مركز الأمن لتسأل عنه فقالوا لها إن والدك شاهدناه يغادر المركز صباحا!!! عودنا الوالد أن يعود مباشرة بعد كل تحقيق صباح كل يوم وقد حُرِمَ خلال تلك الفترة من زيارة أصدقائه واللقاء بهم في المقهى. ولم يكتف أمن كربلاء بجلسات التحقيق اليومية مع والدي وإنما كانوا يحاسبوه على تردده لمقهى الصراف في كربلاء ويتهمونه أنه يدير الإجتماعات الحزبية في المقهى. قاطع والدي ألمقهى وعوض عن ذلك بالذهاب إلى مقر نقابة المعلمين، فأتهموه بأنه تحول لإدارة نشاط الحزب من مقر النقابة!. قرر الإعتكاف في البيت وملأ الفراغ بالمطالعة كي يتخلص من إتهاماتهم الباطلة والساذجة،

حينها إتهموه بأنه سافر خارج كربلاء لإنجاز مهمات حزبية!. كان إسلوبهم بالتحقيق عبارة عن غباء وجهل وإصرار لإثارة المقابل بغبائهم وعدم أخذ رأي المقابل بجدية للوصول للحقيقة، لم تكن تهمهم الحقيقة بقدر إهتمامهم كيف يمكن إزاعاج وإستفزاز المقابل. خطرت كل هذه الأفكار في بالي بعد عودة شقيقتي وقد تجاوزت الساعة الثالثة ولم يعد الوالد، حتى أن أفكاري أصبحت سوداوية وتذكرت كيف أن أجهزت بهجت العطية أيام الحكم الملكي إختطفت بعض المناضلين وضيعت آثارهم، تصرفات الأمن ومضايقاتهم ومحاسبتهم له على جلساته في المقهى أو النقابة أو حتى إعتكافه في البيت كلها أصبحت في نظر الأمن إثباتات على كونه مسؤولاً للحزب في كربلاء، ولابد أن نتوقع من هؤلاء الجهلة والذين لايشعرون بأية مسؤولية إتجاه المواطن كل إجراء أحمق وغير مسؤول. تحدثت مع جارنا حميد نادي كون علاقاته قوية وجيدة بجهاز الأمن وطلبت منه أن يستفسر عن مصير والدي وقلت له أنهم خطفوا والدي، وإلا ماهو تفسير خروجه من دائرتهم أمام أعين الشرطة لكنه لم يعد للبيت؟!. إتصل تلفونيا بمديرية الأمن وكنت واقفا بجانبه كان يستمع ولم يناقشهم، بعد أن وضع السماعة قال لاعلم لهم بوالدك فهو غادرهم قبل الساعة الثانية عشر، لكن إطمأن بالتأكيد سيأتي وإذا لم يأتي للمساء فسوف أحاول مرة ثانية. لم أستفد من محاولته بل بالعكس إزداد قلقي، وقاربة الساعة الخامسة مساءً ولم أعد قادرا على تهدأت والدتي وشقيقاتي والكل يضرب أخماس بأسداس الكل وصل لقناعة ان ألوالد تعرض لعملية إختطاف جبانة وليس لدينا أي دليل، فهم تركوه يغادر مركز الشرطة أمام مرأى الجميع لكي لايتحملوا أية مسؤولية أمام ألقانون، ثم تبعوه بمجرد أن إبتعد عن المركز وأعتقلوه مرة أخرى.

أخبرتني شقيقتي الكبرى أحلام أن مدرساتها في مدرسة الفنون ألمنزلية السيدة فراهد القزويني متزوجة من حاكم في محكمة كربلاء، طلبت منها أن تتوجه لمدرستها وتحكي

معاناة والدي مع ألأمن منذ أول تحقيق معه لغاية هذا اليوم وإننا لانعرف مصيره الان فربما يتمكن زوجها من مساعدتنا. إستقبلت السيدة فراهد القزويني شقيقتي وأستمعت بكل إهتمام لما روته شقيقتي من إستهتار الأجهزة الأمنية معه ومعاناتنا خلال الثلاثة شهور ألأخيرة وأسرعت متأثرة تطلب من زوجها أن يبذل جهده لمعرفة مصير والدي. أهتم الرجل زوج السيدة فراهد وأعتقد أنه أيضا من آل ألقزويني، وأخبر شقيقتي بأنه على علم بقضية الوالد وقد حوَّلت مديرية الأمن ملف ألوالد له لتوقيفه، لكنه رفض إستلام القضية لان كل الدلائل تشير الى أن المقصود غير والدك، لذلك هم لم يعتقلوه وأتبعوا أسلوب إستدعائه يوميا. كان يتحدث مع شقيقتي ويهدؤها وهو ينتظر أن يفتح له الخط للتحدث مع المسؤولين في دائرة الأمن، طلب مدير الأمن لم يجده وطلب أي مسؤول مكانه وبعد تحية مستعجله سأله عن والدي، بعد أن أستمع وضع السماعة، وقال لشقيقتي سيصل والدك بعد ساعة، ترجته زوجته وهي حانقة على مدى أستهتار جهاز ألأمن بمصائر الناس، حتى أنهم تهربوا من إخبار عائلته وتركوها في قلق على والدهم، ورجته أن يحكي ملابسات قضية الوالد.

قال: أعترف احد الأشخاص وهو شيوعي من مدينة الديوانية إسمه (س.ح) أنه إلتقى بمسؤول منظمة الحزب في كربلاء، وأسم هذا المسؤول علي محمد، وهو معلم وأن عمره حوالي الثلاثين سنة ومن أصل هندي وقد غادر العراق الى إيران عندما حدث إنقلاب 8 شباط. وأستطرد ألقزويني وجدت أن جميع المواصفات لاتنطبق على والدك، فوالدك عمره تجاوز الخمسين والذي يخطأ في تقدير السن لايخطأ بمثل هذا الفرق، وأن آل ألشبيبي معروفون بأصلهم كعراقيين، أما أن يكون والدك قد غادر العراق بعد الإنقلاب فهذا أيضا مخالف للواقع فوالدك كان في تلك ألفترة معتقلاً في نفس مديرية أمن كربلاء، لذلك رفضت إستلام القضية. واليوم أخذوا والدك إلى مدينة الديوانية لغرض التشخيص

وبرروا تصرفهم وعدم إخباركم بأنهم يبغون السرية، والآن تم التشخيص والوالد بطريقه لكم. شكرته شقيقتي وعادت مسرعة مطمأنة لتحكي لنا كل مادار بينها وبين مدرستها السيدة فراهد ألقزويني وكيف تصرف زوجها بمنتهى النبل والأنسانية جازاهما الله خيرا، لمساعدتنا دون تردد أو خوف من أن يتهم شيوعيا، حتى موقفه في تسلم ملف الوالد ينم عن شجاعة وأحترام للقانون ولمهنته. هذا الموقف من إمرأة مثل فراهد وتدخل زوجها للمساعدة في مسألة أمنية ذكرني بموقف أستاذي علي جواد الخياط لمساعدتي، وبعد كل هذه السنين وعندما أذكر هذه الحقائق لا أقصد منها الإساءة لإحد بل أنا أقدر تردد وخوف بعض الناس، ولكن ألحقيقة يجب أن تقال، كي يتعض الآخرون ويعلمون بأن مواقفهم وسلوكهم، إيجابيا كان أم سلبيا، لابد أن يقيم يوما ما من قبل الاخرين ويبقى محفورا في الذاكرة. وللسيدة فراهد القزويني ولزوجها ولكل عراقي يقف مواقف نبيلة وشجاعة ويقدم المساعدة الشريفة للآخرين بعيدا عن المصالح الذاتية ألف تحية وتقدير وشكر.

وصل والدي مساءً منهكا، وغبار الطريق قد غير من لون بشرته وشعره وملابسه، وكانت تفوح من ملابسه رائحة العرق ممزوجا بغبار طريق الديوانية. عند مراجعة الوالد لمديرية الأمن صباحا كعادته فوجئ بقرارالسفر، ولم يخبروه إلى أين متجهين به. ركب هو مع بعض الشرطة في سيارة شرطة مكشوفة، ومدير أمن كربلاء ومفوض أمن في سيارة اخرى، من خط سير السيارة عرف الوالد أنهم يتجهون به نحو جنوب العراق إلى أن وصل الديوانية. في مركز الشرطة أخبروه بأنه سيعرض مع مجموعة من الأشخاص لغرض التشخيص من قبل الشخص الذي أعترف على ألوالد. وقف أبي بين مجموعة من الأفراد والكل بملابس مدنية مختلفة، تقدم ألمعترف وطلبوا منه تشخيص مسؤول الحزب، مرّ على الجميع وهو يحدق في وجوههم وكرر ذلك وقال أنه غير موجود بين

الحاضرين. بعدها يقول الوالد تقدم مدير الأمن وهنأني لبرائتي، فقال له الوالد: لاتتوقع أن أشكركم فقد حولتم حياتي وحياة عائلتي خلال الأشهر الماضية إلى قلق دائم. أما كان من ألأفضل ألقيام بعملية التشخيص من أول إسبوع؟ لوفرتم عليّ وعليكم التعب والجهد، وأين الدليل الذي تهددونني به يوميا؟. في الحقيقة أن مديرية أمن كربلاء تعرف جيدا من المقصود بمسؤول الحزب في كربلاء حسب إعتراف (س.ح)، فالمقصود هو الشهيد علي محمد النوري (1)، لكن عجزهم عن الوصول إليه لإلقاء القبض دفعهم إلى إيجاد البديل وهو والدي للضغط عليه آملين أن يرشدهم أو يعطيهم بعض المعلومات التي قد تفيدهم لإلقاء القبض عليه.

أعتقد والدي بعد التهاني أن كل شئ أنتهى، لكنهم أخبروه أن القضية ستحفظ وعليه أن يأتي بكفيل!. لم تنتهي معاناة ألوالد حتى بعد التشخيص، ففي عام 1968 وفي أواخر حكم عبد الرحمن عارف، أعتقل ألوالد من قبل أمن كربلاء، ونقل مخفورا ألى مركز سراي بغداد لمحاكمته بإعتباره مسؤول الحزب!. توجهت ألى الطيب الذكر الأستاذ أحمد الكروي، ألمحقق العدلي في كربلاء، وطلبت مساعدته. أغاضه تصرف مديرية أمن كربلاء وإصرارهم على إثارة المتاعب للوالد رغم عدم تشخيصه من قبل (س.ح). وأستنادا على أضبارة الوالد، كتب لي طلبا بالإفراج عن الوالد موجها لرئيس محكمة أمن ألدولة الاولى في بغداد، وقد ضمن الطلب رقم الصفحة التي حوت على محضر التشخيص مما يثبت براءته وعدم علاقة الوالد بالقضية. سافرت الى بغداد وأنا أحمل طلب ألإفراج عن والدي، كتب من قبل حقوقي متخصص وعلى علم بكل تفاصيل القضية. كانت المحكمة في معسكر ألرشيد على ماأذكر، وكان أبي موقوفا هناك مع المشمولين بالقضية،وقد إعتذر (س.ح) من والدي لما سببه من متاعب، لأنه أصلا لم يكن والدي المقصود في إعترافاته. بلغ المتهمون بتأجيل ألمحكمة لإشعار آخر لعدم حضور بعض

الشهود. قررت حينها مقابلة رئيس ألمحكمة وتسليمه طلب ألإفراج وأنا أحمل له رسالة توصية من صبيح الشبيبي طيب الله ثراه. سلمته الرسالة والطلب، بعد أن إنتهى من قراءة الرسالة والطلب، سألني مستغربا: أذا كان فعلا لم يشخص والدك، فأين محضر ألتشخيص؟ ولماذا أرسله أمن كربلاء مخفورا لنا؟! قلت له: يجب أن توجه هذا ألسؤال لأمن كربلاء، أما محضر ألتشخيص فموجود في الصفحة 8 ويمكن مراجعة ألصفحة. تبين لي من بحث رئيس المحكمة بين أوراق ملف الوالد أن مديرية أمن كربلاء تصرفت بخبث وحقد ولم تضع محضر التشخيص في تسلسلها الصحيح، ووضعت في مقدمة الأضبارة محاضر التحقيق الاولى، وكان القصد خلط الأوراق على المحكمة لتعتمد على تقارير الأمن المغلولة حقدا. لكن من حسن حظ ألوالد كان مزاج رئيس ألمحكمة منشرحا وتجاوب مع رسالة صبيح الشبيبي ومنطق طلب ألإفراج ألذي كتبه الأستاذ الطيب أحمد الكروي. فكتب توصية لمديرية أمن كربلاء بالإفراج عن والدي. ولم يتخلص والدي من هذه القضية إلا بعد سقوط نظام عبد الرحمن عارف وصدور قرار بإلغاء كل القضايا السياسية.

(1) – علي محمد النوري، معلم إبتدائية، عرف بهدوئه وطيبته وبساطته، أنتمى للحزب الشيوعي في أوائل الخمسينات ونشط وعمل طوال فترة الخمسينات والستينات في كربلاء، وأصبح معروفا لأجهزة الأمن في كربلاء كشيوعي قيادي. بعد إنقلاب 8 شباط الدموي هرب الى إيران. والقي القبض عليه من قبل الساواك الأيراني وسلم مع مجموعة من رفاقه الى السلطات العراقية. وقد نجح في خداع سلطات الأمن مدعيا أنه من مدينة النجف، حتى يتجنب إكتشاف شخصيته من قبل أجهزة أمن النجف. وفي مركز شرطة النجف وبمساعدة بعض الشيوعيين النجفيين المعتقلين، أخص منهم محمود

الحبوبي، تمكن علي النوري من الهرب من خلال أحد شبابيك الموقف. ونجح في الإختفاء والإتصال بالحزب ومواصلة نشاطه الحزبي في منطقة الفرات الأوسط وخاصة محافظة كربلاء. وبعد الهجمة الشرسة على الحزب أعتقل عام (1979 او 1980) وتمت تصفيته في أقبية النظام البعثي، فالمجد والخلود للشهيد أبا إحسان، ولزوجته المناضلة نبيهة الزبيدي وأبنائه الصبر والسلوان.

إنتخابات ألطلبة ربيع 1967

إجتزت إمتحان البكالورية وقبلت في كلية الزراعة في بغداد. كنت متلهفا في العودة لبغداد ومواصلة نشاطي الحزبي الذي كنت شبه مقطوعا عنه بسبب تواجدي في كربلاء. وأخبرني رفاقي بترحيب الحزب بقبولي في بغداد وفي كلية الزراعة بالذات لعدم وجود لجنة طلابية في الكلية، والنشاط فيها يعتمد على النشاطات والمبادرات الفردية. كان لابد من العمل المدروس من أجل تقوية العلاقات مع طلبة ألأوائل مستغلا فترة مراجعات الطلبة للكلية من أجل إنجاز معاملاتهم. وهكذا كنت أتواجد في الكلية معظم أيام الأسبوع وقبل بدء الفصل الدراسي والإستفادة من تجربتي الخاصة في متابعة معاملات القبول في القسم الداخلي والتعرف على أقسام الكلية، وبذلك قدمت مساعدات لأبأس بها لكثير من الطلبة دون تمييز، فإستفاد من خدماتي التقدميون، البعثيون، القوميون، إخوان المسلمين والمستقلون وحتى الطلبة العرب. لم يكن يهمني إلى من أقدم مساعدتي، المهم أن أساعد الجميع بغض النظر عن إتجاهاتهم السياسية، وقد نجحت لحد ما في بناء علاقات طيبة مع بعض الطلبة العراقيين والعرب تركت أثرها فيما بعد.

قبل أن تبدأ دراسة الصفوف الأولى، أعلنت الصفوف المتقدمة إضرابا عن الدوام بهدف تعديل شهادة التخرج وأعتبار خريجي كلية الزراعة مهندسين زراعيين، إلتزم بالأضراب جميع الطلبة دون إستثناء. من خلال علاقاتي البسيطة والحديثة مع بعض طلبة الصفوف المتقدمة توصلت الى إستنتاج أن الطلبة الديمقراطيين هم في طليعة الداعين للإضراب. في هذه الأثناء بلغت من قبلي مركزي الحزبي بأربعة أسماء لتشكيل اللجنة الإتحادية والتنسيق في قيادة النشاط الطلابي بما فيها الأضراب. للأسف لم يكن ألاشخاص التي سماها الحزب لي للإتصال بها والتنسيق معها من الشجاعة للتواصل والنشاط، ماعدا

الزميلين ظافر عبد الله وزميل آخر (للاسف نسيت إسمه) وهما في الصف الثاني، أما الزميلين (ص.م) و (ف.ح) من الصفوف الاولى، كانا يتهربان من اللقاءات والتنسيق، حتى أنهما رفضا المساهمة معي في القيام بزيارات مسائية للطلبة في أقسامهم الداخلية للحديث معهم عن أهداف الأضراب والتعرف على الطلبة. كنت أستغل علاقتي البسيطة مع طلبة الصفوف الأولى في شرح أهداف الأضراب المهنية، بعيدا عن السياسة، وأحثهم على ضرورة المشاركة الفعالة مع بقية الصفوف المتقدمة، وقد لاقت دعوتي ترحيبا من جميع الطلبة دون تحفظ وهكذا نجحنا في إقناع طلبة الصفوف الأولى في الإلتزام في الأضراب. وبعد شهر أو أكثر من الإضراب إستجابة الجامعة لطلبنا بمنح خريجي كلية الزراعة عنوان (مهندس زراعي) شرط أن تجري بعض التعديلات على برنامج الكلية، وأقمنا حفلا غنائيا إحتفالا بهذا النصر أحيته المطربة عفيفة إسكندر على قاعة الخلد.

تميزت السنة الدراسية 1966/ 1967 بتشكيل أللجان الإتحادية في معظم الكليات وإستقرار عملها، حتى ساهم طلبتنا بنشاط وفعالية في معظم ألأضرابات الطلابية التي حدثت خلال العام الدراسي، وقد اتسمت هذه الاضرابات بأهدافها المهنية. كما نظم إتحاد الطلبة العام بالتنسيق مع الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكرستاني، سفرة طلابية لجامعة بغداد وثانوياتها الى سدة الهندية للإحتفال بعيد نوروز. كان هذا أول نشاط شبه علني للقوى الديمقراطية بواجهة ترفيهية إجتماعية في تلك السنه وربما لسنوات مابعد إنقلاب شباط. كان هدف الحزب والأتحاد من هذا النشاط تحريك الطلبة وزجهم بداية في نشاطات ترفيهية – سياسية وكسر حاجز الخوف الذي تركته أحداث 8 شباط، ومعرفة مدى إستعداد الطلبة في المساهمة بنشاطاتنا. تجمعت الباصات المستأجرة والسيارات الخاصة بالقرب من كلية التربية، وتحركت الباصات وهي تنقل

مئات الطلبة من كل كليات بغداد وثانوياتها، ومئات الحناجر تنشد (عاش إتحاد الطلبة هو وحماماته يسقط الأستعمار هو وعصاباته)، السيارات أخترقت شوارع بغداد بإتجاه المسيب وكلما دخلنا إحدى المدن بطريقنا تعالت هتافات الطلبه لتشيد بنضال إتحاد الطلبة العام وإنشاد الأناشيد الثورية. دخول باصاتنا للمدن ونحن ننشد أغانينا وشعاراتنا دفعت بكثير من المواطنين باللحاق بنا بسياراتهم الخاصة ليشاركوننا أفراحنا. تجمعنا في السدة في إحدى المزارع، والقيت الكلمات وللأسف حدث خلاف بسبب إحدى الكلمات، فقد كان متفقا أن تلقى كلمتان إحداهما بإسم الطلبة العرب الديمقراطيين والثانية بإسم الطلبة الأكراد الديمقراطيين، وبذلك تشمل الكلمات كل القوى الديمقراطية في العراق. القيت الكلمة الاولى كما أتفق عليها أما الكلمة ألثانية فالقيت بإسم الحزب الديمقراطي الكردستاني، مما سبب مشكلة أدت إلى إنسحاب الطلبة الشيوعيون وأنصارهم من إتحاديين كردا وعربا، مطالبين بأن تلق كلمة الحزب ألشيوعي، ونظموا تجمعهم مما سبب إحراجا لمجموعة الديمقراطي الكردستاني الذين شعروا بقلة عددهم مقارنة مع العدد الضخم لنا مما إضطرهم للإعتذار والعودة للإحتفال حتى نهاية الحفل. كان الحفل هذا إختبار لشعبية إتحادنا ماقبل الإنتخابات الطلابية المقرر إجرائها بعد أسابيع.

بدأت الحملة الإنتخابية وأشترطت السلطة بأن تكون الترشيحات فردية. ونشطت لجنتنا بالتحرك ولم تكن عندنا فكرة واضحة عن شعبية إتحادنا بين الطلبة، على الأقل في الصفوف الأولى. تم ألإتفاق في الكلية مع مايسمى بالبعثيين اليساريين، حيث ترك الإتحاد للجانه في الكليات حرية الأتفاق مع (ألبعثيين أليساريين). كان الطلبة متخوفين ولايفصحون عن موقفهم بسهولة خاصة طلبة الصفوف الاولى. حتى أن بعض زملائي ممن وصلتني بهم توصية من الحزب للإعتماد عليهم في نشاطاتنا تهربوا من الترشيح وفضلوا البقاء خلف الكواليس! كان ألترشيح في تلك الظروف يتطلب الى قدر من

الشجاعة والجرأة والتحدي وللأسف كان بعض الزملاء كثيري الكلام وقليلي ألعمل. كان الحزب يفضل بزج آخرين غيري في العمل الديمقراطي، لكن تهرب زملائي المعتمدين ليس من الترشيح وحسب وإنما حتى في النشاط الدعائي والتضامني واللقاء من أجل التنسيق، هذا الوضع أضطرني لترشيح نفسي.

بعد مرور هذه السنوات وتغيرت كثير من الظروف فلابد أن شمل هذا ألتغير هؤلاء الزملاء، لذلك لااريد ان أذكر حقيقة تصرف بعضهم بجبن وبروح إنتهازية أمثال (ف) و (ص) وتهربهم من الترشيح وحتى من التجمع التضامني وترك المرشحين وحدهم بالساحة يواجهون إعتداءآت عصابة مستهترة من ألبعثيينن، أذكر هذا لأني تابعت نشاط ألزميلين (ف) و(ص) وعرفت أنهما أصبحا فيما بعد من الناشطين في المجال ألطلابي والشبابي!! لكن بعض الأصدقاء أبدوا إمتعاضا من تصرفاتهم، خاصة أثناء ألتظاهرات ألتي كان يساهم بها الحزب أيام ماقبل إنعقاد الجبهة ألوطنية، وكيف كانا يتهربان من هذه النشاطات!!. ومن تجربتي ألمتواضعة في العمل السياسي السري، يمكن ملاحظة كيف تتغير مواصفات وقدرات الفرد في خضم العمل السياسي في مختلف الظروف، هنالك من يكون شجاعا ويستسهل الموت وآخرون من يفقدوا القدرة على الإستمرار وربما يصل بهم الأمر للخيانة، ومن كلا المجموعتين تجد كيف أن العمل السري وظروفه تحَوّل وتغير إمكانيات الفرد في الصمود. لقد صادفت مناضلين ضعفوا وانهاروا خلال مسيرتهم، ولكن بعد سنوات تحولوا الى مناضلين صلبين لم يبخلوا حتى بحياتهم من أجل ألحزب. لذلك لآ أوجه اللوم لزملآئي ممن تهرب من الترشيح أو حتى التهرب من مرافقتي والتضامن معي خلال وجودي في الكلية أثناء الأنتخابات، أوتهربهم من مساعدتي للرد على الإعتداءآت ألتي واجهتها من البعثيين، أو للوقوف بجانبي ولو معنويا.

منذ اليوم الأول من بدء حملتنا الإنتخابية شعر البعثيون بإفلاسهم شعبيا فأتبعوا إسلوب التهديد والإعتداء على العناصر الإتحادية النشطة وكانت إعتداءآتهم مركزة عليّ بالذات من دون الآخرين من زملائي، وتعرضت لعدة أعتداءات من قبل عصابة حسن التكريتي أحد الطلبة البعثيين، وبتشجيع وتوجيه من أستاذهم هاشم قدوري. وحسن ألتكريتي طالب فاشل دراسيا، كان طالبا في الكلية العسكرية، أو ضابطا في الجيش مستفيدا من الدورات العسكرية التي أنشأتها حكومة 8 شباط الفاشية، للإستفادة من طلبتها الفاشلين دراسيا للإلتحاق بالجيش كضباط من خلال دورة دراسية مكثفة لمدة ستة أشهر. وفصل حسن بعد إنقلاب عبد ألسلام عارف وحسن كان أكثرهم عدوانية وشراسة. كان طلبتنا مستعدين للتصويت لصالحي مرشحينا ولكن لم يكونوا مهيئين للتصادم وخوض المعارك وما يترتب عليها من نتائج قد تفقدهم مستقبلهم الدراسي. فتأثيرات إنقلاب 8 شباط الدموي، وما سببه من مآسي إنكوت فيها عوائل كثيرة حتى لم تكن لها إهتمامات بالسياسة، ثم مجيء حكومة عبد السلام والتي سارت على نفس نهج ألبعث في محاربة القوى الديمقراطية والزج بها في السجون، كل هذه الأسباب جعلت الطلبة المتعاطفين مع القوى الديمقراطية حذيرين في الإجهار عن مواقفهم السياسية. كما أن هناك سبب آخر مهم وهو أن معظم كوادر الإتحاد الطلابية، تعرضت للتصفيات الجسدية، كما حدث للشهيد فيصل الحجاج، أو زج بها في السجون، لذلك كانت الحركة الطلابية بقيادة إتحاد الطلبة العام تعاني من تفكك لجانها في الكليات، ونقص في كوادرها المجربة وهذا جعل التحرك الطلابي في الكليات ضعيفا، ومع هذا حققنا نجاحا باهرا في الإنتخابات، وأن دل هذا على شيء فيدل على جماهيرية الإتحاد وعمق جذوره.

كنت أحد مرشحي إتحادنا عن الصفوف الاولى، وكان ظافر مرشحا عن الثواني وللأسف

لاأتذكر بقية الأسماء، وزميلي المرشح الثاني هو من (البعث أليساري). أما منافسي في الصف الأول كان محمد عبد الرحمن العاني وهو من عصابة حسن التكريتي، كما كان بعض المرشحين من الإخوان المسلمين وحتى من المستقلين والقوميين. بدأت إعتداءات البعث تتزايد عليّ، ولم يكتفوا بالإعتداء علي أثناء الدوام وإنما مارسوا ذلك ضدي ليلا، عندما أكون في غرفتي في القسم الداخلي. قدمنا مذكرة لعميد الكلية الدكتور حسين العاني حول الجو العنفي السائد وحملناه مسؤولية إستمرار الأعتداءات، وطالبناه بمحاسبة الطلبة الذين يمارسون العنف ضد زملائهم. لكن العميد كان مرتاحا لتصرف عصابة البعثيين وحتى السلطة كانت مرتاحة لهذه الحالة. أجتمعنا مع ألعميد أكثر من مرة وحذرناه من خطورة مايجري لكنه إستمر في لا أباليته ولم يفعل شيئ. عندما إستمرت مضايقاتهم لي ليلا في غرفتي بالقسم الداخلي، ورافق ذلك محاولتهم الضغط علي لسحب إسمي من الترشيح، قررت حينها اللجوء الى زملائي المقربين من الصف الأول أمثال (ف و ص) فتهربا من مرافقتي بحجج واهية، بل كانا يتهربان من اللقاء أو حتى الوقوف بجانبي في فترات الإستراحة. في تلك الفترة كانت لي علاقات أخرى مع بعض الطلبة الأردنيين ذوي التوجه القومي وقد أغاضهم تصرف البعثيين وأعتبروا أن إسلوبهم ألغير متحضر في المنافسة الإنتخابية يجب أن يدان ووقفوا بجانبي وأستضافوني ليلا في غرفهم. كذلك إستضافني أحد أفضل وأشجع زملائي وهومحمد رشيد عبدان، ولا أنس موقفه يوم كنت في غرفته لأتجنب إعتداءآت عصابة البعث وجاؤا يبحثون عني في غرفته ورفض فتحها وهددهم إذا ماتجرؤا وحاولوا الدخول للغرفة بالقوة فسوف لن يتركهم سالمين، وكان هذا موقف زميل واحد، تمكن بموقفه الجريء هذا أن يردعهم. كان البعثيون يطمحون من خلال إعتداءاتهم وتهديداتهم على إجبارنا للإنسحاب من عملية الترشيح، فقد نجحوا في ذلك كما أتذكر في كلية الطب أو الصيدلة، ولكن مقاومتنا وصمودنا فوت عليهم هذه الفرصة. وفي يوم الإنتخاب شنوا

حملتهم عليّ وعلى ظافر وإضطررنا أن نترك الكلية الساعة الثالثة ظهرا. وقد وصلت لنا مساعدة من زملاؤنا في جامعة بغداد لكنها كانت متأخرة أي بعد مغادرتنا الكلية وقد إنتهى الجميع من التصويت.

مساء يوم ألإنتخابات بينما كنت على موعد حزبي لإشرح لرفيقي المسؤول مجريات الإنتخابات وإذا بأحد الزملاء يلقاني ويهنؤني بالفوز، فقد حصلت على 72 صوت والبعثي اليساري على 47 صوت وأعتقد معظمها أصوات زملاؤنا، أما البعثي المنافس لي محمد عبد الرحمن العاني فقد حصل على 10 أصوت بينما إخوان المسلمين حصلوا على 13 صوت وكان مجموع ألأوائل 125 طالب تقريبا.

إلتقيت برفيقي وحدثته عن الجو الإنتخابي وفوزنا، وطلبت من الحزب المساعدة لإني أشعر وكأني وحيد في الكلية وحتى الأصدقاء المعتمدين كانوا يتهربون من الحديث واللقاء معي، وأوعدني خيرا. مساء ذلك اليوم إحتفلت مع رفاقي وبعض الأصدقاء في فوزنا وفوز معظم مرشحينا في الإنتخابات. لم تكن عندنا فكرة دقيقة عن مدى النجاح الذي حققناه في الإنتخابات من فوز ولكن المعلومات كانت تصلنا من خلال علاقاتنا الشخصية. كنا جالسين في إحدى مقاهي أبا نؤاس ونستمع لنشرة الأخبار وهي تشيد بالإنتخابات باعتبارها إنجاز ديمقراطي للحكم العارفي. وفي اليوم ألثاني أثنت ألصحف على قرارالسلطة باجراء الإنتخابات لكي يختار الطلبه ممثليهم كخطوة اولى لإنتخاب المجلس الوطني، وحتى التعليق السياسي صباح اليوم الثاني أشاد بالإنتخابات ونتائجها بإعتبارها مكسب ديمقراطي. لكن السلطة تفاجأت بعد يومين من حصيلة نتائج الإنتخابات على مستوى العراق كله فالنتائج لم تكن لصالح القوى القومية بكل أطيافها ولا لصالح القوى ألإسلامية وأن ألإنتصار الساحق والوحيد هو فوز مرشحي ألحزب

ألشيوعي وأصدقائه، وقد حصلنا على نسبة تتجاوز 75% وفي بعض الكليات حققنا فوزا 100%، تحولت ألإشادة بالإنتخابات ونتائجها، من قبل ألإذاعة والصحافة ألحكومية والأهلية، بعد يومين الى الهجوم والنقد والطعن بشرعية ألإنتخابات!!!. بعد يومين من التقييم الرسمي الإيجابي للإنتخابات صدر مرسوما جمهوريا وأعتقد من الدائرة القانونية يلغي الإنتخابات ويعتبرها غير شرعية.

قرر حينها أتحاد الطلبة العام أن يعتمد هذه الإنتخابات وعدم الإعتراف بإلغائها، ودعوة المرشحين الفائزين لعقد مؤتمر عام للطلبة لإنتخاب قيادة الإتحاد، وفعلا عقد المؤتمر وأنتخبت قيادة للإتحاد وأصبح سكرتير الإتحاد حسن الشمري وهو طالب في كلية التربية الرياضية في بغداد. للأسف لم أتمكن من حظور ألمؤتمر كوني كنت معتقلا حينها.
في اليوم الثاني باشرت في الكلية وكان الزملاء يقدمون التهاني لي ووزع بعضهم ألحلوى داخل قاعة الدراسة. ظهرا وعند عودتي لغرفتي وكنت بمفردي تعرضت لي شلة حسن التكريتي من البعثين وهم يحملون المساحي والعصي ولم أتمكن من مقاومتهم أوالهرب إلا بعد أن أصابوني بعدة ضربات. قررت مغادرة الكلية ولافائدة من الشكوى لدى العميد فهو متواطئ معهم، خاصة بعد أن ظهرت نتائج الإنتخابات وفوزنا الكاسح على مستوى العراق. في شارع النهر إلتقيت بمسؤولي الحزبي، وحدثته بما جرى لي فقال لي أن الحزب مستعد للدفاع عنك وتأديبهم أذا كنت مستعد لتحمل مسؤولية ذلك. لم يكن أمامي أي خيار آخر، فهم مستمرون في إعتداءآتهم. صار ألإتفاق أن يرافقني إثنين من الرفاق إلى داخل الكلية، وأن يكونا مسلحين بمسدسات وألا يستعملا سلاحهما إلا في حالة ألضرورة القصوى، والهدف من مرافقتهما لي تشخيص العناصر البعثية الشرسة والقيام بعملية تأديب لها تتناسب وسلوكهم المستهتر على أن أكون أنا بعيدا عن عملية التأديب.

التقيت بالرفيقين وهما صبري ،بائع متجول لأربطة عنق مستعملة في شارع الرشيد، ورفيقه أيضا بائع متجول، وللأسف لا أتذكر أسماؤهما الكاملة، وإتفقنا أن نلتقي صباح اليوم الثاني في باب العلاوي ليرافقانني للكلية. ذلك اليوم نمت خارج القسم الداخلي.
صباحا إلتقيت بالرفيقين في باب العلاوي وركبنا سيارة سوية الى كلية الزراعة، إتفقت معهم على ان يسيروا خلفي وأن يتظاهرا بعدم علاقتهم بي لأُعرفهم من خلال إشارات إتفقت عليها معهم لتشخيص العناصر البعثية الشرسة. سارت الامور بخير الى أن أنهيت مختبر الكيمياء، الثانية ظهرا، حيث كانا المرافقين بإنتظاري خارج المختبر. أبلغتهم بأن عليهم مغادرة الكلية والعودة غدا صباحا مع بعض الرفاق لتأديب شقاوات البعث والتي مارست إعتدآءآتها خلال الفترة الماضية. أثناء سيرنا للخروج من الكلية، وإذا بأكثر من عشرة من البعثيين، يقودهم حسن التكريتي، يتوجهون نحونا وبأيدهم مساحي وفؤوس وعصي، وهم يهددونني ويشتمونني ويهتفون (فلسطين عربية فالتسقط الشيوعية)!!.
كان الموقف حرجا، الشجار معهم وهم يحملون عدتهم يعني تعرضنا للأذى وربما إلى خسارة حتى مسدساتنا، وقد ننتهي للمسائلة الأمنية، فقررنا أن نهددهم بإطلاق العيارات النارية لإبعادهم عنا. طلبت منهم أن يبتعدوا عنا ويتركوننا بسلام فإزدادوا شتما وتهديدا وأتجهوا نحونا مصممين على الإعتداء وكان الشرر والحقد يتطاير من أعينهم، وكانوا أكثر تصميما على الأعتداء. سحبنا مسدساتنا وطلبت مرة أُخرى من أحدهم (حاجم) وهو زميلي في الصف بأن لايجبروننا بإستعمال السلاح للدفاع عن أنفسنا، لكنهم كانوا مصرين حتى أصبحت المسافة بيننا بحدود عشرة أمتار. إضطررنا أن نطلق النار فوق رؤوسهم، توقف بعضهم وآخرون تقدموا نحونا، أطلقنا إطلاقات على الأرض قرب أقدامهم، تراجع بعضهم وإستمر خمسة منهم بالتقدم من بينهم زميلي في الصف وحسن التكريتي. لم يتوقعوا أننا جادين في إستعمال السلاح، وأصبحت المسافة قريبة جدا،

أصبنا أحدهم في قدمه وصرخ متألما يطلب نجدته، حينئذ عرفوا أننا لانمزح و طلب مني الرفيقين أن أنسحب وهم سيلاحقونهم لكي يبتعدوا عنا ثم يتمكنا من الإختفاء ومغادرة الكلية، لكني رفضت أن أترك الرفيقين لوحدهما، خاصة كنت أعرف أن أحدهما (صبري) كان متحمسا لمثل هذه المعارك وقد نبهني رفاقي وطلبوا مني مراقبته كي لايندفع أكثر من اللازم. أنهزمت المجموعة، بما فيهم حسن، ولاحقهم رفاقي كي يبتعدوا عن المنطقة، حينها تركتهم وإنسحبت.

لم يكن من السهل عليّ ألوصول للشارع العام للحصول على واسطة نقل بعد أكثر من ستة إطلاقات سمعت في فضاء الكلية عاد على أثرها ألبعثيون مفزوعون وهم يحملون أحدهم مجروحا. قررت الإختفاء موقتا بأحد بيوت القرية، تاركا الرفقين يطاردان عصابة البعث. لحسن الحظ كان البيت الذي دخلته تواجهك فيه صورة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم، فإطمأن إليهم قلبي وأستقبلتني ربة الدار، وكانت وحيدة في البيت، تسألني عن سر إطلاق ألنار فقلت لها بدون تردد أن الكلاب البعثيين يلاحقونني، أدخلتني إلى أحدى غرف الدار الطينية، وقفلت الدار وخرجت لتتابع مايجري في الخارج. بعد نصف ساعة سمعت هرجا قرب الدار وأصوات تهدد بدخول البيت عنوة، وعرفت صوت صاحبة الدار تؤنبهم وتدعي أنها لم تكن موجودة في البيت وقد عادت لتوها. بعدها فتحت البيت وقفلته من الداخل، أخبرتني بان أحد الأطفال أخبرهم بوجودي هنا و بعد أن نهرته تراجع لكنهم مازالوا يعتقدون بوجودي هنا، ولكي تطمأنني أخبرتني أنها ستجلس عند باب الدار وتتابع لي الأخبار. بعد فترة قصيرة عاد البعثيون ومعهم رئيس حرس الكلية وإسمه فهد يسألون صاحبة الدار عني وعندما نفت وجودي داخل الدار هددوها بالدخول بالقوة للتفتيش عني، إدعت أنها لوحدها ولا تسمح لأحد بدخول الدار إلابحضور ألمختار، فتركوها متوعدين.

لم أكن أرغب في جلب متاعب لهذه المرأة الطيبة المسكينة، فأعتذرت لها اسفاً لما سببته أو قد أسببه من متاعب، وأخبرتها بقراري في ترك البيت قبل أن يأتوا بالمختار، وطلبت منها أن تحتفظ بالمسدس وملابسي وأن تدبر لي ملابس شعبية. غيرت ملابسي فلبست ثوب وسترة زوجها وسلمتها المسدس وطلبت منها أن تحتفظ به وألا تسلمه لأحد إلا إذا أخبرها أنه من قبل أبو صادق أي من قبلي. إرتاحت للفكرة، وبعثت بأحد أطفالها ليراقب الطريق، لأن رئيس الحرس وزع حراسه لمراقبة المنطقة. لما كنت غير متأكد من تذكر موقع البيت، أخذت إسم زوجها الكامل، وهو عامل في معامل الطابوق، وقالت يكفي أن تسأل عن بيت ألعريف محسن زوج الخبازة فبيتنا مقابله. طمأنني إبنها بأن رئيس الحرس قد مرّ لتوه من هنا فودعتها وشكرتها وخرجت.

إبتعدت عن البيت وأصبحت قريبا من كلية البيطرة ولسوء الحظ كانت دورياتهم كثيرة فأمسك بي الحرس وكدت أقنعهم بأن يتركوني لولا قدوم رئيسهم وأخذوني للعميد. حاول العميد د. حسين العاني أن يعرف ماجرى، قلت له: هل تريد أن تعرف ماجرى اليوم أم ماجرى خلال الإسبوعين الماضيين، كتبت وزملائي مذكرتين شرحنا فيها الإعتداءات علينا وخاصة عليّ من قبل بعض الشقاوات من الطلبة ولم تتخذ أي إجراء، بل أن هؤلاء الشقاوات إدعوا أنك متفاهم معهم، والان تريد أن تعرف ماجرى؟ ألم يكن إهتمامك هذا متأخر؟!. لم يقل شيئا وطلب الشرطة. وهنا لابد ان أذكر ماكان يتداوله طلبة الصفوف المتقدمة عما كان يقصه بتلذذ د.حسين العاني عليهم، أثناء محاضراته، من طريقة تعامل العنصريين الأمريكان مع السود، وكيف يقتلون السود في تكساس ويتركون جثة المواطن الأسود تسبح بالدماء دون خوف من أية محاسبة، كان معجبا بالعنصريين وبطريقة قتل ألسود!!! عندما وصلت الشرطة إلى العمادة لأعتقالي، كان ألبعثيون

متجمعين خارج العمادة، ومازالوا يحملون العصي والمساحي، ويتدافعون للإعتداء عليّ والشرطة تمنعهم. أثناء صعودي لسيارة الشرطة والبعثيين يهددون بقتلي، لفت إنتباهي رجلا بملابس أنيقة وسأل الشرطة ما الأمر، فأخبروه أني إستعملت السلاح في الكلية ضد بعضهم، فرد عليهم: إذا آذيت القط فسوف يؤذيك بمخالبه ثم ألتفت وقال للشرطه أنتم مسؤولون عن حياته فهو أمانة بيدكم وغادر.

عندما وصلت مركز أبو غريب كان ستة من البعثيين متواجدين في غرفة مأمور المركز (للأسف لا أتذكر إسم مأمور المركز) ويشربون الشاي ويتحدثون وكأنهم يعرفوه جيدا. فتح مأمور المركز محضرا لتسجيل الإفادات. كانت إفادة كل واحد منهم تختلف عن الآخر، بعضهم إدعى أنه كان معي مرافقين ولما سألهم عن عددهم إختلفت الإجابات من 2 إلى 4، وعندما سألهم عن السلاح أيضا إختلفت الإجابات بين مسدس ورشاش وحتى عدد الأطلاقات فقد بالغ بعضهم وقال أكثر من 20 إطلاقة!!!. مبالغتهم الغبية هذه كانت لصالحي، نفيت حملي للسلاح وكذبت إدعائهم وقلت: لو كانوا صادقين بأني والمرافقين نحمل سلاح من مسدسات ورشاشات ونحن في الكلية من الصباح فلماذا لم يُخَبروا عنا وإذا كانوا صادقين بأنهم يراقبوننا من الصباح فلماذا هذا الإختلاف في عدد المرافقين والسلاح كما يدعون؟. بررت هروبي كوني أنا المطارد وكانوا يحاولون قتلي وقد إعتدوا عليّ أكثر من مرة وقدمت بذلك مذكرة للعميد. أثناء إستجوابي كان مأمور المركز يتوقف ليروي للبعثيين بعض بطولاته. فحدثهم كيف أن الشيوعيين أيام عبد الكريم قاسم، مسكوا به إحدى المرات وربطوه بحبل مشدود بسيارة وسحلوه من إبي غريب إلى بغداد!!!!. كانت أحاديث مأمور المركز تدل على غبائه وحقده اللامتناهي، ويهددني بإعادتي إلى سجن نقرة السلمان. بعدما إنصرف البعثيون، أخذني مأمور المركز بسيارة الشرطة إلى المنطقة التي إختفيت فيها وطلب مني أن أرشدهم للبيت. وعندما أنزلوني

لأتجول وسط القرية الصغيرة بمرافقة الشرطة لأرشدهم على البيت، وكان يقوم بهذه المهمة رأس ألعرفاء ألحاج والي، إلتفت أليَ ألحاج والي وقال: كن رجال ولاتخبرهم عن البيت. لم أكن أنوي أن أدلهم ولكن كنت أريد أن أُسمع صوتي لصاحبة البيت كي أطمأنها. كما لم أكن واثقا من جدية وصدق ألحاج والي، فقلت له أني لاأعرف المنطقة وكنت هاربا وخائفا ولم أتذكر المنطقة. لم يعجبه جوابي وبدى عليه القلق من أن أرشدهم للبيت وكرر كلامه بلهجته القروية كن رجلا. تأكدت من صدقه وطلبت منه ألا يتظاهر بتعاطفه معي وأن يمثل أمام مأمور المركز دورالمتحمس لمعرفة البيت، فكان بارع في تمثيل الدور فطلب منه المفوض أن يدور بي في أنحاء المنطقة لأرشده. وصلت إلى الزقاق الذي فيه البيت وكانت مجموعة من النسوة والأطفال متجمعين يراقبونني وكانت صاحبة المنزل بين النسوة، فقلت للحاج والي بصوت عال لكي تسمع النسوة وصاحبة المنزل ما أقوله: أني متأكد أن البيت ليس في هذه المنطقة ومن الصعب أن أهتدي أليه. وبعد أن درت معه بين بيوت القرية الطينية عاد بي الحاج وقال لمأمور المركز سيدي أنه دايخ والبيوت متشابه ولايتذكر البيت. وهكذا أُعدت للموقف دون أن أرشدهم للبيت وقد طمأنت صاحبة ألبيت بأنني كتمت سر مكان إختفائي.

في أبي غريب

بعد إعادتي لمركز شرطة أبي غريب تم حجزي في قاعة صغيرة كان فيها مجموعة من الموقوفين بتهم القتل والسرقات والشجار وجميعهم من الفلاحين والناس البسطاء الطيبين فوفروا لي فراشا ومكانا بينهم. زارني في نفس اليوم ليلا الرجل ألأنيق الذي دافع عني أثناء إعتقالي وقال للشرطة إني أمانه بيدهم، فأحضر لي فراشا وبجامة وسلمني مبلغ دينارين وطلب مني أن أتصل به إذا إحتجت لشئ ما، شكرته ووعدته بأني سأرد جميله عندما تسنح لي الفرصة. بعد أن ذهب سألت الموقوفين عنه فقالوا إنه مدير البريد في أبي غريب ويدعى أبا ماجد، وأنه دائما يزور الموقوفين ويحاول مساعدتهم. كان أبو ماجد إنسانا طيبا يحترمه جميع الموقوفون ويتوددون إليه، فمساعداته كانت تشمل الجميع دون إستثناء. الموقوفون يكلفوه بالإتصال بذويهم وجلب طلباتهم وحتى أنه يتدخل لعرض المرضى منهم على الطبيب، وأخبرني بعضهم بأن أهالي أبا غريب جميعهم يحترموه ويعزوه لشهامته ومواقفه النبيلة. وبعد إطلاق سراحي خططت لزيارته مستغلا ذهابي للكلية لأتشكر منه لموقفه الشهم ومساعدته لي ورد دينه، لكن أعتقالي مجددا في الكلية حال دون ذلك، فالى هذا الأنسان الطيب اقدم أعتذاري وشكري الجزيل لموقفه النبيل.

كانت قاعة الموقف لاتتجاوز 50 مترا مربعا وتخلو من أي شباك ماعدا بابها المطلة على باحة المركز، وفي الجانب الأيسر كانت هناك غرفة صغيرة عبارة عن مشجب للسلاح ومخزن يستفاد منها الحرس وبجانبها كان هناك قاعة اخرى لأحتجاز الموقوفين، أما مقابل قاعتنا وعبر باحة المعتقل كانت المرافق الصحية. لاحظت أن العلاقات السائدة داخل الموقف غير منظمة وتسودها الفوضى ومنطق القوة والأستهتار،

وكانت القاذورات متجمعة في أحد زوايا القاعة والتي يسودها الهرج والمرج وكانت رائحة القاذورات تزكم الأنوف حتى يكاد المرء أن يتقيأ مجرد أن يأخذ نفسا عند الأقتراب من تلك الزاوية. ولاحظت كيف سادت الفوضى بين المعتقلين حين أحضر العشاء، حتى أن بعضهم لم يحصل على حصته وأكتفى ببقايا (الفضلات) الصمون والمرق الزائد من الاخرين. وكان بعض الموقوفين يستغلون زملائهم الأضعف منهم بطريقة آمرة ومذلة.

في المساء وبعد أن عدت من التحقيق تجمع حولي بعضهم بدافع الفضول يريد أن يعرف أسباب أعتقالي. كان لابد أن يحس هؤلاء البسطاء التي دفعت بهم الظروف الأجتماعية والسياسية للوصول لهذا المكان، بأهمية العمل السياسي الواعي والحريص في تغيير أوضاعهم. قررت أن أستغل تجمعهم حولي ورغبتهم في ألأستماع لي في مناقشتهم حول أوضاعهم المعيشية وكيفية تنظيم حياتهم اليومية. ووجدت فيهم رغبة شديدة في تقبل ملاحظاتي واقتراحاتي، خاصة عندما طلبت من أحدهم أن يساعدني في تنظيف تلك الزاوية القذرة. وكنت أنوي من مبادرتي هذه في إعطائهم مثلا جيدا في نكران الذات في العمل وعدم الإستنكاف من أي عمل. وقد نهض جميعهم معي يتسابقون من أجل تنظيف المنطقة حتى أصبحت كثرتهم عائقا، فطلبت من بعضهم تركنا وأن عملا آخر ينتظرهم للقيام به إن كانوا راغبين، لكن معظمهم بقي قريبا منا حتى أن بعضهم وجهوا لوما لأنفسهم لأهمالهم نظافة المنطقة.

قبل إنتهائنا من عملية التنظيف طلب الشيخ سعد من أحدهم أن يحضر الشاي للجميع. وما أن إنتهينا من التنظيف حتى كان الشاي حاضرا وتحلق الجميع وحتى (المنبوذون) منهم وتمتع الكل بشرب الشاي. حدثتهم كيف سجنت لأسباب سياسية، وكيف كنا ننظم حياتنا اليومية في السجون ونقدم المساعدة المالية لمن يحتاج، ونقوم بمختلف

النشاطات الثقافية والترفيهية وبذلك نستفاد من وجودنا في السجن ولا نضيع من عمرنا سنوات السجن، وأوعدتهم بتعليم ألأميين منهم القراءة والكتابة إذا ماطال بقائي بينهم، وقلت لهم مازحا أرجو أن لاتدعو لي بالبقاء الطويل بينكم. ولتلطيف الجو أكثر حكيت لهم نكتة كنا نمارسها فيما بيننا في السجن، فعند أستلام أي واحد منا الملابس الخاصة بالسجن ويلبسها كنا نبارك له بقولنا له: تقطع (تتلف أو تمزق) ألف منها! الجميع أرتاح لحديثي، وإتفقنا على تنظيم خفارات يومية دون إستثناء لتنظيف مكان عيشنا، إضافة لخفر يومي لأستلام الطعام وتوزيعه وعمل الشاي، ووافق الجميع على ذلك وتطوعت لأكون أول خفر ليوم غد. وحدثني ناهي، وهو قروي متهم بقتل زوجته وشقيقتها، كيف أن مدير المركز لايقابلهم إلا حفاة ولا يخلُ إستدعائهم من الإهانة والشتائم.

مساءً بعد العاشرة ليلا إستدعاني المدير، وعندما فتح لي الحارس الباب همس بإذني أن أذهب له حافيا كي لا أغضبه، فقلت له بصوت عال ليسمعه الموقوفون إني مدعو لمقابلة المدير وليس لمقابلة ربي في الجامع، فرد الحارس بحرص وبلهجته الشعبية: والله ياعمي أنا خايف عليك. قلت للحارس: إذا كان المدير طلب منك أن أتحفى فقل له إني أرفض مقابلته حافيا أما إذا لم يقل شيء، وأنت تنصحني معتمدا على العادة الجارية فإني سأتحمل المسؤولية. فما كان من الحارس إلا أن وافق أن أقابله منتعلا وعلى مضض خائفا من غضب المدير. كان المدير معي مهذبا مع عتاب على كل الطلبة لأنهم لم يقدروا ويستفيدوا من قرار السلطة بإجراء ألإنتخابات. قلت له نعم للأسف أن بعض ألعناصر المفلسة وليست لها شعبية بين الطلبة تريد أن تربح الإنتخابات بإستعمالها العنف لأرهاب الطلبة ومع هذا فشلت. وأخذ ينصحني بالإبتعاد عن السياسة وقدم لي كتابا قائلا أنه أفضل كتاب قرأه وأقترح عليّ مطالعته، وكما أذكر كان الكتاب لمؤلف أمريكي وبعنوان (دع عنك القلق وإبدأ ألحياة). قلت له: عنوان ألكتاب يحفزني لقراءته

وأنه لحسن حظي ألتقي وبدون مبالغة ومجاملة مع مدير شرطة مطالع ويهتم بتطوير ثقافته وهذا يسعدني، لكن ماسمعته من ألموقوفين وحتى من ألشرطي ألحارس أثار قلقي. سألني وما ألذي سمعته؟ قلت له هل فعلا تطلب مقابلة ألموقوفين و هم حفاة؟؟. إبتسم قائلا: هؤلاء لايستحقون الإحترام، معظمهم من ألسراق والقتلة وجرائمهم مخلة بالشرف. قلت له: بإمكان هؤلاء أن يكونوا أسوياء وصالحين في المجتمع، ولكن الظروف، من أمية وفقر وجهل وإضطهاد هي ألتي أوصلتهم ألى هنا. وأعتقد بإمكانك كسب ودهم والتأثير عليهم من خلال علاقة إنسانية وتحويلهم إلى ناس صالحين، وأن المعاملة الإنسانية معهم سترفع من ِشأنك عندهم، وبعد خروجهم سيتحدثون عن إنسانيتك أمام مجتمعهم. أوعدني خيرا وسألني إن كنت بحاجة للإتصال تلفونيا بعائلتي أو أي شيء فانه مستعد لتسهيله لي. كان هذا ألمدير أنسانا طيبا ويمكن ألتفاهم معه ولم أحس في حديثي معه بأية نوايا سيئة أو حقودة بل وجدت فيه رغبة للتفاهم وحب الفضول. بعد هذا الحديث القصير، ربما كان الهدف منه التعرف عليَ ومعرفة ماجرى في الكلية وصحة ما إدعاه الطلبة البعثيون، حيث أعدت عليه ماثبته في إفادتي، وقبل أن ينتهي لقائي معه شرحت له ظروف المعتقل وتكدس الأوساخ في داخله وهذا مايعرض الموقوفين وحتى الحرس للمرض، وطلبت منه أن يوافق على أن نقوم داخل القاعة بحملة تنظيف وأن يسمح لنا بنشر أفرشتنا وأغطيتنا في باحة السجن لتعريضها للهواء الطلق وأشعة الشمس لتنظيفها من الحشرات والديدان التي وجدت فيها مكانا مناسبا للتكاثر. فأبتسم معلقا: أرأيت ماهو الفرق بينك وبينهم، فهم مقتنعون بحياتهم مهما كانت قذرة بينما أنت لم تتحملها ليلة واحدة. ووافق أن نقوم بعملية التنظيف هذه غدا قبل نهاية الدوام بساعة مستغلين ساعة خروجنا للباحة لقضاء حاجتنا، كما أوعدني بتوفير مواد مطهرة.

عدت الى الموقف وكان الموقوفون ينتظرون عودتي بفارغ الصبر لمعرفة ماجرى لي مع مدير المركز بعد أن تحديته وقررت مقابلته منتعلا خلافاً للعادة التي فرضها على الموقوفين. تجمع حولي بعضهم يريد أن يعرف ماذا دار بيني وبين المدير من حديث وماهي ردة فعله عندما دخلت عليه. كان ناهي أكثر الكل إهتماما بمعرفة تفاصيل اللقاء وكان متعطشا ومتعجلاً لمعرفة ماأقصه. أعتقل ناهي بعد أن قتل زوجته وشقيقتها غسلا للعار وسلم نفسه للمركز. كان يعتقد أن الكل بما فيهم مدير المركز سيحترمه كونه قتل غسلا للعار، لكنه تفاجأ عندما أُستدعي أكثر من مرة لمقابلة المدير حافياً، ولم يكتف المدير باهانته في غرفته وإنما كان يهينه أمام بقية الموقوفين، ومنعه من الخروج الى التواليت مع بقية الموقوفين. بعد أن قصصت عليهم مادار بيني وبين المدير، وكنت أعرف مايفكرون به، قلت لهم أن من يحترم نفسه ويعتقد أنه رجلا عليه أن يرفض مقابلة المدير حافيا، ومن حقكم دائما المطالبة بتحسين ظروف معيشتكم ومعاملتكم وإذا إقتضت الضرورة بإمكان تقديم الشكوى للجهات العليا ومن حقكم ممارسة الأضراب لتحقيق مطالبكم، لكني وجدت المدير إنسانا مهذبا ويمكن التفاهم معه وحل مشاكلكم بدون التصادم معه، وتحدثت معه وأوعدني أنه سيغير معاملته لكم. وأخبرتهم بموافقة المدير على مقترحي للقيام بحملة تنظيف واسعة ونشر أفرشتنا في باحة المركز لتعريضها لأشعة الشمس والهواء الطلق، ووزعنا مهمات العمل ليوم غد فيما بيننا، وقد لاحظت تحمسا وأنسجاما بين الجميع. وقد أبدى بعضهم رغبة في الوقوف بوجه التصرفات المذلة لهم، بينما وجد بعضهم ذلك تحدي للحكومة وبعضهم أظهر تشككه بالوعد الذي أبداه المدير أو لم يصدق ما أخبرتهم به.

في اليوم الثاني وقبل إنتهاء الدوام أوفى المدير بوعده وأستلمنا المواد المطهرة وهذا أكد مصداقية المدير وعزز ثقة الموقوفين بي. جمعنا أفرشتنا، وقمنا بحملة تنظيف داخل

القاعة، وجاء المدير لقاعتنا ووجد الجميع يعمل ومنشغل في عملية التنظيف، وأمر حارس الموقف أن يفتح لنا الباب لنشر أفرشتنا وأغطيتنا وتجميع ورمي الأوساخ التي تم جمعها. وبينما كنا منهمكين في عملية التنظيف أخبرني أحد الحرس بإعتقال زميلين لي من الكلية، وعند إحضارهما للقاعة الثانية عرفت أن أحدهما كان قصي وهو طالب في الأول ومن مرشحي ألإخوان المسلمين وأحد مشجعي الأعتداءات عليّ، أما الثاني لا أذكر إسمه، وكان من عصابة البعثي حسن التكريتي ومن الصف الاول أيضا. وأعتقلا بسبب تشاجرهما باستعمال السكاكين، وحجزا سوية في الغرفة الثانية من الموقف.

مساء العاشرة من ذلك اليوم جاء مأمور المركز الحقود والذي حقق معي في الموقف وناداني وطلب من الحارس إخراجي. دخل الى غرفة المشجب وهي مجاورة لموقفنا وطلب مني الدخول وأغلق الغرفة. أستغربت من تصرفه هذا ولماذا يدخلني غرفة المشجب ويغلق الباب. أستغرابي زال بعد ثواني حيث إنهال عليَ بالضرب والصفعات على وجهي بطريقة مفاجئة وهيستيرية لم أتوقعها، ورافق ضرباته بشتائم بذيئة عليّ وعلى الحزب الشيوعي وبدون أي مقدمات. عرفت من تصرفه هذا أنه يريد فقط إستعراض عضلاته وقوته كونه مفوض شرطة يمكنه أن يعتدي على المعتقلين من دون أي رادع، كما أنه يريد أن يفرغ حقده الدفين على الحزب وعليَ. وما كان مني إلا أن أُحاول أن أصد ضرباته بيدي، ولا أدري كيف حدث ذلك وبدون أن أفكر تحولت محاولاتي لصد ضرباته الى شبه ضربات متبادلة متظاهرا بصد ضرباته وأدعوه للكف عن إسلوبه هذا. صرخ فجأة متألما، لأن أحدى يديَ صدت ضربة قوية فجاءت كل القوة على أصابع يده فصرخ متألما ومتوعدا. سخرت منه وسألته كيف تحمّل أن يُسحل مايقارب ألعشرون كيلومترا وبقي حياً؟! والان تبادر وتعتدي علي بالضرب مستغلا موقعك وأراك تتوجع!!. خرج متوعدا وسلمني للحارس لإعادتي وهو يمسك بإصابع يده متألما، حتى أن الحارس

أنتبه له وسأله ماذا جرى ليدك ياسيدي، ولم يجب وذهب غاضبا ومتوعدا. عندما دخلت للموقف أحاط بي بعضهم وسألني ماذا جرى لي في غرفة الحرس أو المشجب،
وأخبروني أنهم سمعوا صياحنا ولكنهم لم يميزوا الكلام. من الطبيعي أن يسمعوا أصواتنا لأن غرفة المشجب ملاصقة لموقفنا وبابها مجاور لباب الموقف. فاخبرتهم بما جرى وكيف بادلته الضرب دفاعا عن نفسي وأن يده أصابتها ضربة مني لذلك صرخ متألما. كان الموقوفون متعاطفين معي رغم أن وجودي بينهم لايتعدى اليومين وهذا ماشجعني بأن أكون أمامهم قويا متماسكا لأكسب ثقتهم. كانت بعض ضرباته قد تركت أثرها على وجهي، حتى أن أبا ماجد عندما زارني في اليوم التالي سألني ماهذه الآثار على وجهي وبادره أحد الموقوفين وأخبره بما جرى بالأمس، وأوعدني أنه سيتحدث مع المدير حول تصرف مامور المركز.

أما بالنسبة لقصي وزميله ورغم قصر فترة وجودهم بين المعتقلين فقد لاحظت تذمر المعتقلين من سلوكهم. في البدايةً كسبوا إحترام الموقوفين كونهم مؤمنون ويؤدون الصلاة، فهم أكثر ايمانا من الموقوف الاول وهوأنا الذي لايصلي، ولكن رأي المعتقلين تغير بهم بعد ساعات من معاشرتهم. فبعد خروجنا عصرا لقضاء حاجتنا والتمشي في الساحة إقترب مني أحدهم من الموقف في القسم الثاني، وكان رجلا كبيرا ويناديه الكل بالحجي وهو ليس حاجا كما سمعت، وأعتذر الحجي مني لأنه لم يرد السلام عليّ عندما قابلته أثناء خروجنا صباحاً قبل بدء الدوام، وكنت أحسب أنه لم يسمعني. قال لي: كنت غاضبا منك لأني عرفت أنك لاتصلي وزاد غضبي عليك عندما وجدت زملائك (قصي وزميله) يصلون، ولكن الآن تغير رأي بك، فقصي وزميله ما أن ينتهوا من الصلاة حتى يبدؤوا مزاحهم، برمي المخاديد والأحذية على بعضهم إضافة للشتائم والكلمات
والحركات البذيئة المتبادلة بينهما والمخجلة دون إحترام للآخرين. وسألني لماذا لا أنتقل

إليهم وأنه مستعد لتعليمي الصلاة خاصة أن بعض أصدقائه من القسم الثاني أمتدحوني، كوني مهذبا معهم وإجتماعيا وأني بادرت في تنظيف الموقف وتقسيم الطعام ورتبت خفارات للتنظيف وإستلام الطعام وتوزيعه، وقد زاد من كيله للمديح لي حتى أنه شكرني كوني قد حدثت المدير بضرورة إحترام الموقوفين في مقابلتهم له وعدم إجبارهم على التحفي. قلت له: ماقلته للمدير كان بالإمكان ألقيام به بأنفسكم، فهي قضيتكم ويجب أن لآتنتظروا أن يدافع أحدا عنكم، خاصة يوجد بينكم من تجرأ وقتل زوجته أو أخته، أوسرق جاره، كل واحد منكم يتفاخر بما قام به، فلماذا تخافون المدير. لقد وجدت المدير إنسانا طيبا ويمكن التفاهم معه ولو فعلتم هذا منذ زمن لتجاوب معكم وتجنبتم الإهانات. أما بالنسبة للصلاة فهذه هداية من الله سبحانه وتعالى، وأنا أعمل جهدي من أجل الخير وعدم الإساءة للآخرين والدفاع عن الفقراء، وحسب قناعتي فإن الله يفضل فاعل الخير الذي لايصلي على المصلي المنافق والذي يقوم بكل الشرور متسترا بصلاته ويسئ بذلك لدينه ويخدع ربه. أقتنع الحجي أو ربما لم يجد قدرة على إقناعي كما أني لم أكن راغبا في الإستمرار بهذا الحوار في هذا الجو الفلاحي وسط ناس بسطاء لايعرفون ماهي حقوقهم وكل مايحصل لهم من تخلف و ظلم يعتبرونه من مشيئة الله، هكذا علمهم شيوخهم في الجوامع.

في اليوم الثالث كرر مأمور المركز زيارته لغرفتنا، ووجدني جالسا وقد تجمع حولي بعض المعتقلين وهم يتحدثون عن المشاكل التي كانت سببا في وجودهم في المعتقل. وما أن رأه بعضهم حتى أنفض من حولي وآخرون توجهوا للباب لأداء التحية عليه وقد أثارت فضولهم يده وهي مربوطة بلفاف طبي، وسأله بعضهم بشماتة: خير سيدي مابها يدك؟ ولم يعر إهتماما للإجابة على أسئلتهم، وطلب منهم أن يبتعدوا عن الباب ليراني، والتفت اليَ وقال متسائلا: هل كنت تنظمهم؟ جئت لأتمم حديث الأمس معك ألآن!. وطلب

من الحارس تهيئة عصا وإخراجي وإدخالي لغرفة المشجب. كان الحارس في ذلك المساء ألحاج والي وقد قص عليه الموقوفون ماجرى لي بالأمس. عندما فتح الحاج والي الباب وأخرجني همس بأذني قائلا لاتسكت إذا ضربك وأصرخ بأعلى صوتك متألما، كان طلب الحاج والي صعبا بالنسبة لي، كيف لي أن أدعي الرجولة والشجاعة أمام هؤلاء المعتقلين بينما أنا أصرخ متألما. رفضت طلب الحاج والي وقلت له لا ياحاج الرجل لايصرخ من ضربات المأمور وعلي أن أدافع عن نفسي مثلما فعلت بالأمس وأنت رأيته الآن وقد جاء ويده مربوطة بلفاف طبي، وترجاني الحاج لأنه يريد مصلحتي، فوعدته بأني سأقرر في حينها. دخل عليَ ألمأمور كالأسد وتناول العصا (من الخيزران) التي كانت مركونة في أحد الزوايا، ورفعها وضربني بقوة وهو يشتم ويهددني بأنه سيعيدني لنقرة السلمان. مرت بضعة دقائق أُصبت بعدت ضربات وأنا أصرخ بوجهه بأن يكف عن ضربي، ولم تنفع محاولاتي في دفع أو صد عصاه التي كانت تهوى على جسدي بحقد ودون تمييز وكأنني أمام ثور هائج. حينها فتح ألحاج والي ألباب وأبلغ ألمأمور بأن ألمدير يطلبه. طلب ألمأمور من الحاج حراستي ألى أن يعود وذهب للمدير. أخبرني ألحاج والي أنه ذهب للمدير وقال له: سيدي الفرخ (ألشاب) سيموت من الكتل (ألضرب) ونبتلي بِه!!! لذلك إستدعى المدير المأمور. عاد المأمور حانقا وطلب من الحاج والي إعادتي للموقف، وهكذا ساعدني هذا الأنسان الطيب مرة ثانية.

يتبع

21

في مديرية الأمن العامة

مرَّ على إعتقالي يومين ولم يزرني أي زميل من اللجنة الإتحادية وكنت بحاجة ماسة للإتصال بهم وتوضيح ملابسات ماحدث لي ولإيصال المعلومات عن وضعي للحزب، كما كنت قلقاً على الرفيقين الذين رافقاني للكلية والمسدس الذي تركته في البيت، ولكن للأسف لم يفكر أحد بهذا!. تفاجأت بزيارة أحد زملائي في الصف ألأول وهو الزميل محمد رشيد عبدان، فلم أتوقع أن يبادر هذا الزميل الوفي بزيارتي. لم يكن محمد عبدان من الطلبه الناشطين إتحاديا ولا من الحزبيين ولكن موقفه فترة الإنتخابات كان شجاعا وجريئاً عكس الزميلين (ف.و ص) اللذين كانا يتهربان طول الفترة ولم يحاولا أن يكونا بجانبي. حتى مبادرته لزيارتي رغم قصر فترة تعارفنا تدل على أنه أنسان يقدر الصداقة ولا يتهيب أو يتحفظ، مثل البعض، في زيارتي وتقديم المساعدة لي إذا ما إحتجتها.

أخبرني محمد أنه أبلغ زملائي برغبته لزيارتي وكان موقفهم لا أباليا مبررين ذلك بضرورة الحذر وعدم الأتصال بي! كما أبلغني أن البعثين بعد أن هربوا وأصيب أحدهم قابلوا بطريقهم ظافر عبد الله وأعتدوا عليه بالضرب إنتقاما لما لاقوه منا. وبقي هذا الزميل الوفي مواضب على زيارتي طول أيام إعتقالي في أبي غريب. وحاولت زيارته في بيته، لتقديم شكري وإمتناني له لموقفه الطيب معي، بعد ألإفراج عني في أيلول عام 1967 ولم أجد أحداً في البيت وقد أخبرني جار لهم بإنتقالهم من البيت ولا يعرف عنوانهم الجديد، وهكذا فقدت صديقا وفيا ولم أتمكن من التواصل معه. وشاءت الصدف عام 1988 أي بعد أكثر من 20 سنة على تلك الأحداث أن أسافر الى ليبيا للبحث عن عمل، ويكون بيته أول بيت يستضيفني في طرابلس بدون أن أقصد ذلك، ويقدم لي ألشاي من سماوره الجميل ونتبادل الحديث ونحن نجلس في زاويتين متقابلتين من

الغرفة، ولم نكتشف بعضنا لأن وجودي في بيته كان موقتا فأنا أنتظر ألصديق الراحل د. صالح زيدان طيب الله ثراه لأسكن معه موقتاً، حتى جاء لزيارته صديقين وقد عرفني أحدهم وسألني أن كنت أتذكره، وللأسف خانتني الذاكرة حتى بادر هو بتقديم نفسه وكان زميلا لي في سجن الحلة قسم المعمل عندما أعتقلت بعد إنقلاب 8 شباط الدموي عام 1963. حينها سألني محمد رشيد ليتأكد عما سمعه عن حقيقة أسمي وعندما أكدت له إسمي إنتفض من مقعده ليحييني بحرارة وشوق وتعجب معلقاً: لقد حسبتك قد إستشهدت!! ها أنت حي! وحضنني وهو يقبل صديقا إفتقده لعقدين ولم تكن عمر صداقته سوى أسابيع معدودة، ومازال يتذكر صديقه ويحن لصداقته ولتلك الأيام.

لم يدم إعتقال قصي وزميله طويلا فقد أُفرج عنهما بكفالة بعد يومين، لأنه يوجد من يتابع وضعهما. شجعني الإفراج عن قصي وزميله على تقديم طلب بالإفراج عني بكفالة، خاصة بعد أن وجدت نفسي وحيدا لا يوجد من يسأل عني من زملائي أو رفاقي، حتى عائلتي تجنبت إبلاغها، لأن والدي كان له موقفا آخر من مشاركتي في الأنتخابات، لذلك لم تعرف عائلتي بما جرى لي إلا في نهاية الأسبوع بعد أن عاد بعض زملائي الكربلائيين الى كربلاء. أزعجتني لا أبالية زملائي وتركي معتقلا دون محاولة الأتصال بي وتوفير ما أحتاجه، أما تبريرهم للحذر فهو تبرير أقل مايوصف بالجبن وعدم توفر الحد الأدنى من روح التضامن مع زميل في قيادة اللجنة الأتحادية في الكلية، وكان المفروض أن تشجعهم زيارات محمد رشيد عبدان لي أو على الأقل أن ينسقوا معه لا أن يتهربوا حتى من التنسيق معه، فمبالغتهم بالحذر لا أساس لها فأنا معتقل في مركز شرطة، وليس تابعا لمديرية الأمن وحتى لايوجد فيه قسم للأمن، وهاهو محمد رشيد يكرر زياراته لي من دون أن تسبب له الزيارات أية متاعب.

كتبت طلبا لحاكم التحقيق وقدمته صباح اليوم التالي ولكن الحارس الخفر الذي أستلم الطلب أعاده لي مرفوضا من قبل مأمور المركز ولم يرسله للجهة التي عنونت طلبي اليها وهو حاكم تحقيق الكاظم، لأن أبي غريب كانت تابعة للكاظم في ذلك الوقت. قررت الأضراب عن الطعام لحين إستلام طلبي وقدمت مذكرة بذلك، تم إعادة المذكرة مع تعقيب شفوي بأني لست سياسيا كي أضرب عن الطعام!!. لم أهتم بالرفض وأعلنت ألإضراب وأبلغت محمد رشيد أثناء زيارته الثانية ليبلغ ظافر وبقية ألزملاء بإضرابي. كنت واثقا بأني سأحقق مطلبي من خلال ألإضراب، لأني لاحظت حتى المدير لم يكن مقتنعا بإفادات ألطلبة ضدي، لاحظت ذلك من خلال مقابلتي له ومعاملته لي بكل أدب وأحترام، ورفضه لتصرف مأمور ألمركز في ألإعتداء عليَ. رفضت إستلام وجبة الغداء وتركتها خارج الموقف جانب الباب. جاء مأمور ألمركز مستخفا بقراري، فحملته مسؤولية تصرفه ورفضه لأستلام طلبي. في اليوم الثالث من إضرابي في ألثانية بعد ألظهر جاءني الحاج والي ليخبرني بالموافقة بإستلام طلبي، وأبدى إستعداده لأخذ الطلب بيده للحاكم. أعطيت دينارا للحاج والي كمصرف تاكسي للذهاب إلى الكاظم بسرعة قبل إنتهاء ألدوام. عاد ألحاج ليبشرني بأن ألحاكم أطلق سراحي بكفالة قدرها 50 دينار! وقيمة ألكفالة تؤكد كم كانت إتهاماتهم مبالغة وركيكة حتى أن ألحاكم لم يرى في إطلاق سراحي خطورة.

لابد من ألحديث عن الحاج والي، هذا الإنسان البسيط النبيل والشهم، ندر أن يوجد مثله في أجهزة الشرطة في ذلك العهد. كان ألحاج والي في عقده الخامس، ضخم وطويل القامة. وعلاقته بالموقوفين كانت ذات طابع إنساني، ويتعامل معهم بإحترام، ويحنو على ألشباب منهم. تشكلت بيني وبينه علاقة صداقة وثقة غير معلنة منذ اليوم الأول من إعتقالي. خلال فترات إعتقالي وتنقلي بين مختلف المعتقلات لم أصادف شرطيا بطيبة وإنسانية وجرءة الحاج والي. كانت أجهزة الشرطة رمز لظلم وأستبداد الأنظمة القائمة،

وكان معظم الشرطة يتصرفون بإستبداد وعدم إحترام للمعتقلين إرضاء لمرؤوسيهم، أو شعورا منهم بالنقص وإحساسا منهم بكره الشعب للأجهزة الأمنية. أما الحاج والي تصرف معي بشجاعة وشهامة عندما تصور بأني سأرشد الشرطة للبيت الذي إختفيت فيه، وطلب مني عدم فعل ذلك. وشجاعته في إخبار مدير ألمركز بإعتداء المأمور علي وإنقاذي من إستمرار المأمور بممارسة ساديته وحقده علي. وأخيرا موقفه الشهم بالتطوع لأخذ طلب كفالتي بنفسه لحاكم تحقيق قضاء الكاظم بالرغم من معرفته أن تصرفه هذا لايرض مأمور المركز. فأخلاقه وتربيته ماتزال لم تتأثر بالسلوك الاستبدادي وللا أخلاقي الذي تربت عليه الأجهزة الأمنية في تلك الأيام، وما زال يحمل في داخله القيم والاخلاق الطيبة التي تربى عليها أبناء شعبنا النجباء. هذه المواقف النبيلة لابد من الإشارة لها بإمتنان لهذا الشرطي النبيل والذي حافظ على نبله وطيبته العراقية بالرغم من عمله في أحد أجهزة وأدوات ألإستبداد في ذلك ألزمن. امنيتي أن يطلع هذا الأنسان أو أحد أبنائه على هذه الإنطباعات ألطيبة عن والدهم، وللأسف لم تساعدني ألظروف على ردِّ جميله أو حتى زيارته.

زارني محمد عبدان وحاول كفالتي لكنها رفضت لأن دخله لايساعد. كان بإمكاني تكليف محمد بالإتصال برفاقي في شارع النهر لتدبير مسألة كفالتي، لكنني كنت حذراً ولم أرغب في إقحامه في الإتصال برفاقي. ولم أطلب منه ألأستعانة بزملائي في الكلية، لأني فهمت من أحاديثه ترددهم وعدم رغبتهم في الإتصال بي وقد يرفضون أو يتهربون حتى من إيجاد كفيل لي إذا ماكلفتهم. وكنت في صراع ذاتي مع ماقررته في تحمل مسؤولية نشاطي خلافا لرأي الوالد أو الأضطرار الى طلب مساعدة عائلتي وإقحامهم بمشاكلي مجددا رغما عنهم، وأنا واثق أنهم لن يتخلوا عني. لم يكن أمامي سوى الأستعانة بمحمد أبو الأربطة أحد معارف أخي همام، وهو رجل شهم وطيب يملك محل لبيع الملابس

والاربطة المستعملة (اللنگات)، وليس له إهتمامات سياسية لكنه متعاطف معنا.
وشجعني على فكرة الأستعانة بمحمد أبو الأربطة هو علاقته بصبري العامل الذي رافقني ورفيقه يوم إعتقالي في الكلية، ولا بد أنه سمع ولو القليل عما جرى لي في الكلية.
ومحل محمد يقع في سوق (أبو الجام)، وهو الزقاق الذي يربط شارع الرشيد بشارع الجمهورية ويقع بين سوق الشورجة والساحة التي ينتصب فيها تمثال الشاعر معروف الرصافي، كما أنه من السهل الأهتداء والوصول اليه، خاصة أنه يتخذ من محله سكناً ايضاً. بينما كنت أصف لزميلي موقع محل محمد أبو الأربطة، وصل والدي، وكأنه نزل لي من القمر وأنقذني من مأزق لم أكن واثقا على قدرتي لمعالجته.

منذ إعتقالي تجنبت ألإتصال بعائلتي وقررت ألإعتماد على نفسي وعدم تحميل عائلتي متاعب بسبب نشاطاتي السياسية، خاصة أن والدي كان له رأيا بعدم المشاركة المباشرة بالإنتخابات وأن لا أكون في الواجهة الأمامية في النشاطات السياسية والحزبية، وأن أهتم بدراستي لأعوض عن السنين ألتي ضيعتها في ألسجن. عندما أستمعت لرأي والدي قبل الأنتخابات أوعدته بأني سأتجنب النشاط المباشر والعلني. لكن تهرب الزميلين (ف. و ص) من ترشحهما وهما الوحيدان المزكان لنا من قبل الحزب، لم يتركا أمامي خيار آخر سوى ترشيح نفسي لخوض الإنتخابات. كنت أقدر موقف والدي وحرصه على مستقبلي الدراسي والسياسي، فهو لم يمنعني يوما ما من النشاط السياسي، وكان دائما يتابع سياسة الحزب من خلال أخي الراحل همام ومن ثم من خلالي ويعرف علاقتي الحزبية. فبعد قبولي بكلية الزراعة أي بعد أكثر من سنة ونصف من خروجي من السجن، أرسل الحزب في كربلاء رفيقا يحمل أشارة ألإتصال، التي أتفقت عليها مع منظمة سجن نقرة السلمان، لأيصالها لي، ولما تعذر عليه الأتصال المباشر بي لوجودي في بغداد أضطر وبدافع ثقته الإتصال بالوالد لإيصال إشارة الإتصال عبر الوالد. وبهذه

المناسبة أتطرق لمفارقة سببتها صعوبة وتأخر الأتصالات الحزبية بسبب الضربة الشرسة التي وجهت للحزب منذ 8 شباط وأستمرت في ظل حكومة عبد السلام وأخيه عبد الرحمن عارف. كانت إشارة الأتصال عبارة عن سؤال (هل إستلمت كتاب التأريخ؟) والجواب (لا، للأسف لم ألتقي بعامر). وبعد مرور أكثر من سنة ونصف على خروجي من سجن النقرة، وترتيب علاقتي الحزبية، وإنغماري بالدراسة والعمل الحزبي والطلابي، نسيت أشارة الأتصال والتي لم أعد بحاجة لها. ولما أضطر هذا الرفيق بإيصال الأشارة عبر والدي، لم تبدر ببالي في أول الأمر إشارة الآتصال، وحسبت أن السائل يريد أن يتأكد من كتاب (إقتصاد) أستعرته قبل أيام من أحد أبناء النقيب كنت بحاجة أليه في الكلية، فقلت للوالد: أني أستلمت كتاب اقتصاد وليس تأريخ! وتكررت تساؤلات الرفيق وبالتأكيد كان مستغربا وغير مقتنع بالجواب، ووالدي يؤكد له في كل مرة أن محمد استلمت كتاب إقتصاد وليس كتاب تأريخ. ويمكن للقاريء أن يتصور الإرباك الذي وقع فيه الرفيق الذي يبحث عني لربطي بالتنظيم الحزبي. حتى أثار تكرار زيارات هذا الرفيق للوالد ذاكرتي، وتذكرت أن الشخص هو رفيق يحمل سر الأتصال، فإضطررت أن أصارح الوالد بعلاقتي بالحزب وطلبت من الوالد أن يخبره بأني لست بحاجة لهذه الصلة، لذلك لم تكن صلتي الحزبية خافية على والدي.

عندما قابلني ألوالد كانت نظراته فيها شئ من العتاب لعدم صدقي معه، ولم يكن الظرف يسمح لشرح وتبرير تصرفي ولماذا أضطررت للمشاركة في الإنتخابات أو لإستعمال السلاح. كان مجئ الوالد صدفة بعد أن سمع عن أخباري بمبالغة وتشويه من قبل بعض طلبة كلية الزراعة الكربلائيين وربما هم أيضا لم يكونوا عارفين بتفاصيل ماحدث، ولم يعرف أنه تم الإفراج عني بكفالة وأني أبحث عن كفيل. وصول الوالد حل مشكلة الكفيل وتكفلني. لكن مأمور المركز أخبرني بتشفي بأنه لايمكن إطلاق سراحي لأن مدير الأمن

ألعام يطلب مقابلتي في مديرية الأمن العامة، وأنهم سيأخذوني ألى هناك. شكرت الوالد وطلبت منه العودة للأهل وأوعدته بأني سأتصل بهم حال ألإفراج عني وخلاف ذلك يعني أني محجوز في ألأمن ألعامة.

عند وصولي للأمن العامة لم يكن مدير الأمن العام موجودا، وبقيت أنتظره في هول صغير تحيط به أربعة غرف من ضمنها غرفة مدير ألأمن العام وربما الغرف الاخرى لمساعديه أو غيرهم من مسؤولين. كنت تحت حراسة ثلاثة من شرطة الأمن، وكانوا يتناوبون في حراستي، وأحيانا يبقى واحد منهم معي وأحيانا اخرى يكون الجميع متواجدين. تجمعوا حولي في الهول ، طبعا كانوا بملابس مدنية وجميعهم من الشباب، سألوني بفضول عن سبب طلب المدير لمقابلتي. وأخبروني بأنه سيعود في ألساعة ألواحدة ليلا بعد أن ينهي سهرته في أحد الملاهي أو من جلسة البوكر والسكر. خلال فترات أعتقالي وتنقلي بين مختلف المواقف والمدن لم ألتقي بأضرف من هؤلاء الشرطة. من الساعة الاولى ألتي تواجدت بينهم تكونت علاقة طيبة وصادقة بيني وبينهم، خاصة بعد أن إحتاج أحدهم طابعا ماليا وكان لدي طابعا فاعطيته له. كانت رغبتهم شديدة لمعرفة أسباب أعتقالي وأهتمام ألمدير بلقاء شاب بعمري. أخبرتهم بإختصار إني أعتقلت بسبب فوزي في الإنتخابات الطلابية، وتعرضت للأعتداءات من بعض الطلبة المستهترين، وبدل إعتقال المعتدين علي أُعتقلتُ أنا. علق أحدهم وبسرعة وكأنه أكتشف سراً كبيراً: إذن أنت شيوعي!! وأضاف سوف يحولك المدير لمكتب محمد صالح فهو المسؤول عن قضايا الشيوعيين. علق آخر بأن هذا ليس أكيدا فالمدير سيصل ويطلب منه جلب وجبة عشائه المفضلة أولا، وهي دجاجة مشوية شرط أن لايكون جلدها قد شوته ألنار أكثر من ألـلازم. وواصل حديثه لي: ويداعيك كالعادة يتقصد أن يختار ألدجاجة المشوية زيادة عن اللازم خلافاً لرغبته، فيشتمني ويسبني لغبائي لأني

في كل مرة أُكرر نفس ألخطأ وهو لايعرف بأني أذكى منه وأتقصد تكرار الخطأ، وبعد أن يأكل قطعة صغيرة منها يدعوني لأخذها ونحن في إنتظار وليمة المدير المحترم! قال هذا ساخراً، وأضاف هذا الشرطي ليقص عليَ أسباب أنتمائه لسلك الأمن، مبررا ذلك كونه فشل دراسيا في المتوسطة وكان أمامه أحد خيارين أما الإلتحاق بالخدمة العسكرية وتحمل مصاعبها أو أن ينتمي للأمن ويعتبر ذلك خدمة عسكرية. وأنتهز ذهاب زملائه فأضاف: أنا ألآن مرتاح في عملي وأحمل مسدس جميل يهلهل تهلهل، وأذا حدث إنقلاب فأنا أول من سيفرغ طلقاته في رأس المدير!!!. إستغربت من حديثه وصراحته وجرأته وهو يتحدث في مركز مديرية الأمن العامة، ربما إطمأن لي بعد أن خمن إنتمائي، ولكني كنت حذرا ومترددا معه في مجاراته بالحديث، فمهما يكن فهو شرطي أمن. لما وجدني حذرا سألني لماذا نحن الشيوعيون لم نستلم الحكم، فالبعثيين والقوميين إستلموا ألحكم إلا أنتم!؟ قلت له إني لست شيوعيا، وهم أفضل من يعطيك جواباً شافياً، ولكن أعتقد أنهم لآيحبذون أستلام السلطة وكل مايهمهم أن يكون الحكم وطنيا وديمقراطيا ويفكر بمصالح الناس الفقراء، هذا مايناضل من أجله الشيوعيون، ولم يفكروا بأن يكونوا في قيادة السلطة. لم يكن هؤلاء الشرطة فظين معي بل كانوا يعاملونني بإحترام، وخلال وجودي بينهم أكثر من ستة ساعات أنشرحوا لي وتحدثوا عن بعض أسرارهم في عملهم مع مرؤسيهم. فصاحب المسدس (أليهلهل) يعمل كفراش وأحيانا سائق لمدير الأمن، أخبرني كيف يذهب له صباحا للبيت قبل الفطور لإحضاره للعمل، فيطلب منه أن يأتيه بفطوره، وهو عبارة عن قيمر (قشطة) ومربى التفاح والعسل، وفي طريقه بالفطور للمدير يلتهم إحدى تفاحات المربى ويلعق حتى من العسل، ويعلق قائلا أني محروم من المربى والعسل لولا عملي هنا، أنهم يعيشون في نعيم أما أنا أعيش على فضلاتهم ومقتنع بحياتي، ولكن مع هذا فأنا أيضا تركت للمدير فضلاتي بعد أن ألتهم يوميا تفاحة المربى وألعق من العسل.

شرح لي هذا ألشرطي عادة المدير في لقائه مع ألمعتقلين وقال : سيستقبلك بعد أن يتناول الدجاجة التي أجلبها له، وسَيُهيأ قبل أللقاء جهاز التسجيل لتسجيل مايدور بينكما من حديث، وغداً يستمع للتسجيل بعد أن يصحو من سكرته، فإذا أعجبته إجاباتك سيطلق سراحك وإذا لم تعجبه ستبقى موقوفا وقد يستمروا بالتحقيق معك في مكتب محمد صالح، وهذا معروف بحقده على الشيوعيين ويستعمل التعذيب القاسي معهم في التحقيق حتى وأن كانوا أبرياء.

وصل المدير كما قالوا في ألواحدة ليلا، وأنا في إنتظاره أكثر من ستة ساعات، نظر اليَ وسألني إن كنت أنا الطالب من كلية زراعة أبي غريب، فأجبته نعم وهو يتمعن في وجهي، ربما كان يريد أن يتذكر ملامحي فلربما التقاني من قبل. طلب عشاءه ألمعتاد وعندما جلب السائق العشاء كشف الدجاجة المشوية أمامي ليثبت لي صحة ماقاله، بأنها مشوية أكثر من المطلوب. بعد دقائق طلب المدير سائقه، ودخل السائق مبتسما، وكأنه يقول لي هل صدقتني الان، هاهو يترك بقية الدجاجة لنا. وخرج من غرفة المدير منتشيا وهو يحمل صينية الطعام، وتجمع حوله زملاؤه ليشاركوه الوليمة ولم ينسى أن يدعوني لمشاركتهم، لكن جرس المدير دعاه ليطلبني للدخول لمقابلته. وقبل أن أدخل على المدير عاد هذا الشرطي ليهمس بأذني ويذكرني بما قاله عن أسلوب مديره بمقابلة المعتقلين.

دخلت على المدير وفي بالي ماحدثني سائقه عن إسلوبه في تسجيل اللقاء وقررت أن أستفاد من ذلك لربما يقتنع بإطلاق سراحي في اليوم الثاني. كان حديثه معي مهذبا، تحدث عن عائلتي بإعتبارها عائلة أُدباء وشعراء ومشهود لهم بالوطنية ومكانتها الإجتماعية والسياسية، وعاتبني كوني شاركت ورشحت في الإنتخابات الطلابية!! وأننا الطلبة تجاوزنا حدودنا ولم نقدر رغبة السلطة في إشاعة الديمقراطية، وخضنا صراعاتنا بشكل فظ، وأكد لي جديته وصدقه لمساعدتي أذا ماتعاونت معهم. إعتذرت له

لما حدث وشرحت له بأني ضحية لتصرف بعض العناصر المستهترة والفاشلة إجتماعيا ودراسيا والتي كانت تعرف مقدما خسارتها بالإنتخابات فمارست ضدي وضد ألآخرين إسلوب الإعتداءات لإرهاب الطلبه ومنعهم من التصويت ومع هذا فشلوا وفزت. أما لماذا شاركت ورشحت نفسي، فهذه رغبة السلطة لأنها صاحبة مشروع الإنتخابات ولابد من الإستجابة لرغبتها لأنجاح مشروعها، كما أن زملائي بالصف يحترمونني وطلبوا مني تمثيلهم، وليس من المعقول أن لآ أستجيب لرغبة السلطة والطلبة. أما الحديث عن إستعمالي للسلاح ومعي مرافقين مسلحين أيضا فهذا تلفيق من قبل ألمجموعة ألتي خسرت ألإنتخابات ويمكنك ملاحظة ذلك إذا أطلعت على إفاداتهم المتناقضة مما يدلل على كذبهم، وكان كذبهم سببا في قرار الحاكم بالإفراج عني بكفالة بسيطة جدا. لم يخلُ حديثه من الإغراءات والوعد بمساعدتي بعد فصلي نهائيا من الجامعة، وأنه مستعد أن يحصل لي على قبول في كلية القوة الجوية أذا رغبت، أو العمل في الأجهزة الأمنية وبراتب محترم، مشيراً الى أن قرار فصلي من الجامعة يعني عدم قبولي بأية كلية مستقبلا وهذا يعني ضياع مستقبلي الدراسي إذا كنت طامحاً بإكمال دراستي. لا أدري لماذا إختار القوة الجوية من دون بقية الكليات لربما لعدم خضوعها لنظام الجامعات. قلت له كوني من عائلة أدباء مشهود لهم بالوطنية ولهم مكانة إجتماعية مرموقة، فأنا أطمح في إتمام دراستي الجامعية، كما أني لآاجيد العمل في أجهزة الأمن التي تتطلب قدرات خاصة أفتقدها. كانت إجاباتي مختصرة لأتهرب منه دون أن أثيره. أنتهى أللقاء بتوقيفي دون أن أعرف ألى متى سيتم إحتجازي منتظرا ليوم الغد ليتوضح لي قرار المدير كما قال سائقه. حجزت في غرفة للشيوعيين وأصدقائهم. لم تدم إقامتي في ألموقف طويلا، فبعد ثلاثة أيام من وجودي في ألحجز تأكد لي بأن المدير لم يرتاح لأجاباتي، وتم نقلي ألى معتقل الفضيلية.

ذكريات الزمن القاسي / 22

في معتقل ألفضيلية

كانت هذه المرة ألاولى ألتي أُعتقل فيها في معتقل الفضيلية، والفضيلية معتقل صغير، وغرفه ليست واسعة المساحة، لا أتذكر عدد غرفه ولكن بالتأكيد لاتقل عن ثمانية غرف متفاوتة ألمساحة، وتتوزع غرفه لمجموعتين، كل مجموعة من الغرف تحيط بساحة صغيرة ذات أرضية من الكونكريت، وتتصل الساحتان فيما بينهما بممر واسع نسبياُ تتوسطه الباب الرئيسي للمعتقل الذي يرتبط بالقسم الإداري. كان هذا المعتقل أيام العهد الملكي إصطبلا لخيول الوصي أو الملك كما سمعت، وقد تم تحويله في زمن حكم حزب البعث بعد إنقلاب 8 شباط الدموي إلى معتقل للمناضلين، وإستمر حكم العروبي والمتأسلم عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف على ألإبقاء عليه كمعتقل للمواطن العراقي كدليل على أن السلطة مهتمة بالقيم العربية والإسلامية السمحاء جداً و بالإنسان العراقي ولذلك أبدعت تلك النظم العربية في توفير المعتقلات الأنسانية جداً (إصطبل الخيول) للوطنيين الشرفاء.

في الفضيلية وجدت مجموعة من زملائي القدامى من سجن نقرة السلمان، منهم غانم الخياط من المقدادية وكان زميلي في نفس القاووش (قاووش 3) ، كذلك فائز الزبيدي والذي بادر وسألني مالذي جاء بك ألآن بعد الإفراج عنك من السلمان، فقلت له مازحا (دودة). كما كان في الفضلية بعض الكادر الحزبي المتقدم ككاظم ألصفار وميخائيل حداد وسليم مرزة وأكرم حسين، والأخير أُعتقل بعد عودته من الخارج وهو كادر عمالي ترأس قائمة الحزب العمالية في أول إنتخابات لنقابات العمال في عهد البعث الثاني. أما ميخائيل حداد (أبو كفاح)، أُعتقل عندما كان مع صديق له بسيارة فولكس فاكن، وتمت

مطاردتهما من قبل أجهزة الأمن ولم يفلحا بالإفلات من المطاردة وقبض عليهما.

حدثني مخائيل حداد، وهو موظف أو عامل بدائرة السكك الحديدية، كيف تمكن من الهرب من الموقف أيام حكم البعث بعد إنقلاب 8 شباط 1963. فبعد إعتقاله خلال الهجمة الشرسة على الحزب، تجنب مخائيل حداد الإحتكاك بزملائه المعتقلين وحاول إخفاء شخصيته وقدم نفسه لمن إعتقله بشخصية اخرى، ولكن أحد المعتقلين تعرف عليه وأنكر ميخائيل حداد معرفته لهذا المتطفل وأصر على إسمه المستعار. وقد فهم هذا غاية ميخائيل من تقمص شخصية اخرى وتركه وشأنه ولم يشي به. وفي أحد ألأيام تظاهر مخائيل بالمرض وتم إرساله إلى المستشفى بحراسة شرطي وهو يرتدي ملابس أنيقة، ولما دخل على الطبيب وفحصه مدعيا بآلام في معدته وصداع مستمر، سأله الطبيب عن عمله فقال له أنه مسؤول في مديرية السكك الحديدية، وأنه متألم حتى جاء بمرافقة أحد الحرس. بعد الفحوصات التي أجراها الطبيب كتب له العلاج، ورجى ميخائيل من الطبيب وهو يتظاهر بالتألم أن يعط الوصفة لحارسه لجلبها من المذخر، وفعل ذلك الطبيب بدون تردد ونفذ الشرطي البسيط طلب الطبيب، وهكذا أستغل ميخائيل غياب الشرطي وهرب وبقي يزاول نشاطه الحزبي لغاية إعتقاله في ربيع سنة 1967.

سبق وصولي ألى الفضيلية محاولة مجموعة من المعتلقلين بقيادة الكادر الفلاحي كاظم فرهود (أبو قاعدة) في حفر نفق* للهرب. لم تكن أرضية ألمعتقل الخراسانية عائقا أمام إرادة الشيوعيين العراقيين الذين أبدعوا في حفر ألأنفاق داخل السجون للهرب منها لمواصلة النضال وسط أبناء شعبهم. بدء تنفيذ مشروع النفق، ولكن وجود ساقية ماء صغيرة موازية لسياج المعتقل من الجهة الخلفية والبعيدة عن الإدارة، وهي الجهة المفضلة والوحيدة لضمان الهروب، وخوفا من تسرب ماء الساقية إلى النفق إن مرّ

تحتها خاصة أن النفق لم يكن عميقاً، قرروا أن تكون نهاية فتحة النفق بين الساقية وجدار المعتقل. أُنجز النفق وكانت ألخطة ن يتم الهروب ليلا للتستر في ظلام الليل، فهناك حارس خفر يسير ذهابا وإيابا بموازاة الجدار ، وأن ذهابه سيرا وئيدا يستغرق دقيقتين وإيابه دقيقتين، فيكون بوسع الهارب أن يبتعد خلال دقيقتين بعيدا عن فتحة النفق وسط الظلام. كان أول من تقرر هروبه كاظم فرهود ، إنطلق أبو قاعدة وأنتظر يراقب من فتحة النفق حركة الحارس وما أن مرّ الحارس من جانب الفتحة وأصبحت خلفه، أخرج أبو قاعدة رأسه مستعينا بيديه وبعد أن أصبح نصف جسمه فوق سطح الأرض، التفت الحارس لسوء الحظ إلى الخلف فوجد (جنياً) يخرج من الأرض فأطلق صفيره مرعوبا، ولم يجد أبو قاعدة خياراً غير العودة لقاعدته بعد أن تجمع ألحرس. وقد سمع المعتقلون أخبارا عن ذلك الحارس الذي شاهد أبا قاعدة يهم بالخروج من فتحة النفق بأنه تعرض لمس من الهلوسة والجنون، لأنه كان يعتقد أن جنياً أو عفريتاً خرج من باطن الأرض! وقال بعضهم أغمي عليه بمجرد مشاهدته خروج نصف جسم كاظم فرهود من الأرض!

اكتشفت أدارة المعتقل النفق وكانت بدايته من غرفة التخزين، تقصد المعتقلين المسؤولين عن إدارة شؤون المعتقل من تحويلها الى مخزن وغرفة للإجتماعات الحزبية والإدارية والتثقيفية. حفر النفق خلق متاعب لمدير المعتقل، وخضع للإستجواب من قبل وزارة الداخلية. مسؤولي وزارة الداخلية وكذلك المدير كانوا في حيرة، ولم يتمكنوا من الإجابة على أسئلة كثيرة من قبيل كيف وبأي أجهزة تم حفر ألخراسانة ولماذا لم تنتبه أو تسمع إدارة المعتقل لضجيج الحفر وأين تم رمي التراب!! برر المدير عدم سماعه الضجيج بسبب كثرة حفلات الطرب الليلية ألتي يقيمها المعتقلون وهي مصحوبة بضرب الطبلة، وكانت الكثرة من هذه الحفلات مقصودة من قبل المعتقلين

للتغطية على عملية الحفر. تحمل أبو قاعدة مسؤولية حفر النفق، وعوقب على أثرها بنقله الى سجن نقرة السلمان.

أثناء وجودي في معتقل الفضيلية وفي أحد الأيام فتح الحرس باب المعتقل ودخلت مجموعة من المعتقلين، وكالعادة تجمعنا قرب الباب لمعرفة من هم القادمين الجدد. كان من بين المعتقلين (ح.ج) المسؤول الغير مباشر عن هيئتنا الحزبية، وكانت لي علاقة شخصية معه منذ كان معتقلا معي في المكتبة العامة أيام 8 شباط الدامي. ومن الطبيعي أن أستقبله بحفاوة بعد أن لاحظت أن يده اليمنى شبه مشلولة بسبب التعذيب وغير قادر على رفعها. وبعد التحية عليه والسؤال عن صحته مستغربا من إلقاء القبض عليه، لأنه دائما كان حاملا للسلاح ويقول إذا ماتعرضت للمطاردة سوف أقاوم وستكون آخر طلقة في رأسي!! وحاولت ملازمته لكن كاظم الصفار سحبني من يدي هامساً في أذني بغضب: أترك هذا الخائن! فاجئني كاظم الصفار بوصمه بالخائن، هذا الشيوعي والكادر الفلاحي الذي قرر العودة لصفوف الحزب بعد أن وجهت للحزب أشرس ضربة من قبل إنقلابي 8 شباط 1963 الفاشست، ونال موقفه هذا إعجابنا، فكيف أصبح الآن خائناً. تركت (ح.ج) معتذرا ووعدته بأني سأزوره بعد أن يستقر في إحدى الغرف. كان الفضول يدفعني لأعرف ماهي الأسباب التي دفعت كاظم الصفار في وصفه بالخائن، ومتى حدثت مثل هذه الخيانة، بالتأكيد أن كل ذلك حدث بعد أيام من إعتقالي. كان (ح.ج) مسؤولاً عن أحد الخطوط العسكرية والعمالية، والتي كان يشرف عليها أبو قاعدة قبل إعتقاله، رُحل الى تنظيمه (رفيق) يعمل في المخابرات العسكرية في كركوك، وكانت منظمة كركوك على علم بذلك معتقدة بأنه يعمل لصالح الحزب. كان هذا (الرفيق) مندس في تنظيمات الحزب من قبل المخابرات هناك، أو تم شراءه من قبل المخابرات بعد إنتمائه للحزب. لذلك قررت المخابرات نقله الى بغداد ليعيش في وحدات عسكرية تجهل كل شيء عنه

وبذلك يصعب على الحزب إكتشاف إزدواجيته. في نفس الوقت طلب هو من منظمته الحزبية الترحيل الى بغداد، وهكذا تم ترحيله ليؤدي مهمته المخابراتية القذرة على أحسن وجه بين تنظيمات الحزب العسكرية في بغداد. حاول تنظيم (ح.ج) الأستفادة من إمكانيات هذا (الرفيق المندس) كونه يعمل في المخابرات العسكرية للحصول منه على معلومات حول بعض الجنود والوحدات وكل مايتعلق بالجيش، وخاصة عن الجنود المرشحين الجدد للحزب أو الأصدقاء المقربين للحزب داخل الجيش. وكان هذا المندس وبتنسيق مع المخابرات يوفر بعض المعلومات لغرض كسب المزيد من الثقة. حتى تمكن من اللقاء مع (ح.ج) وأصبحت علاقته مباشرة به، وكان يعتمد عليه كثيراً في توفير المعلومات عن الجنود ومدى قربهم وإبتعادهم في التعاطف مع الحزب، وذلك لغرض تزكيتهم في الترشيحات ونيل عضوية الحزب. وفي أحد أيام صيف 1967 كان (ح.ج) على موعد مع أحد الرفاق في أحد مقاهي بغداد وهو يحمل حقيبة صغيرة فيها بعض الأسلحة الخفيفة. وبعد دخوله للمقهى للقاء رفيقه، حُصرت المقهى من قبل أجهزة الأمن والقي القبض عليه وعلى رفيقه. وقد علمت حينها من كاظم الصفار ومن آخرين كانوا بصلة مباشرة وغير مباشرة بـ (ح.ج) أنه لم يصمد في التعذيب وأدت إعترافاته الى كشف العشرات من العسكريين والعاملين بالخط العسكري إمتدت لتشمل خلايا في معسكرات الرشيد، الوشاش، ألتاجي وأبي غريب وحتى في المحاويل. وكانت هذه خسارة كبيرة للحزب، وسمعت حينها أن الأعترافات والاعتقالات شملت 80 عسكرياً موزعين على المعسكرات. بعد أن سمعت هذه القصة من كاظم، وضّحت له حقيقة علاقتي الشخصية والحزبية به، ولابد من مسايرته كي لايقحمني في إعترافاته، فهو يعرف بدقة علاقتي الحزبية وهو على علم بقرار الحزب بأرسال مرافقين معي للكلية.

بعد عدة أيام من وجودي في الفضيلية جاء والدي لزيارتي، ورغم تشوقي لوالدي

وعائلتي لم أكن راغبا في أن يعاني متاعب إضافية بسببي وتكبده مشقات السفر متنقلا بين المعتقلات وشعرت بالذنب لعدم تمكني من تجنيب عائلتي تداعيات الإنتخابات. لقائي كان من وراء قضبان الباب وتجمع حولي كل من سليم مرزة وكاظم الصفار ومخائيل حداد ليسلموا على والدي كونه أخ الشهيد حسين الشبيبي إضافة لمعرفتهم العائلية لنا. أعطاني والدي مبلغ خمسة دنانير كمصرف وقد رفضت المبلغ لمعرفتي بحالنا المالية فوالدي مازال مفصولا من التعليم وهو غير قادر على ممارسة عمل حر ومريض وقد شارف على نهاية العقد السادس وأتعبته مشاكل الحياة، كما أني لا أدخن فلست بحاجة لمثل هذا المبلغ. لم يكن رفضي للمبلغ زعلا أو إحتجاجا، وإنما كما وضحت سابقا كنت أريد أن أتحمل عواقب نشاطي السياسي وأجنب عائلتي المتاعب إضافة إلى أنهم أحوج لهذا المبلغ، ففي ألمعتقل لست بحاجة لأي مصروف، لكن إحتجاج سليم مرزة بعد أن رأى توسل الوالد لأتقبل ألمبلغ أجبرني على تقبله متشكرا من والدي ألطيب ورجوته بعدم زيارتي مستقبلا لما تكلفه الزيارة من مصاريف هم أحوج لها، إضافة للمتاعب ألتي هم في غنى عنها.

لم يزرني زملائي السابقون من كلية الزراعة في الفضيلية، حتى زميلي محمد عبدان ألذي واظب على زيارتي في موقف أبي غريب لم يزرني، لجهلهم بمكان أعتقالي. لكن أحد الأيام تفاجأت بزيارة صديق عزيز وطيب من أصدقائي في كربلاء، وهو صادق الحلاق. لقد سبق وأن تحدثت عن صادق طيب الله ثراه، كان شاباً جريئا، ملتصقا بالحزب بالرغم من عدم إنتمائه، لايتهيب في الدفاع عن الحزب والشيوعيين، بالمقابل كان يذم علناً الأجهزة الأمنية والبعثيين وينعتهم بأقبح النعوت، وأثناء الهجمة الشرسة على الحزب في عام 1978/ 1979 أستمر صالونه ليستقبل الشيوعيين وأصدقائهم وأصبح الصالون منتدى للقاء الجميع بعد أن أصبح اللقاء في مقر الحزب مشبوب

بالمخاطر. كان بعض زبائنه من شرطة الأمن، وعندما يدخل أحدهم لمحله للحلاقة كان يقول لهم باللهجة العراقية ساخرا وبنبرة لا تخلُ من الأحتقار أنا لا أقص شعر .... ويقصد (المنحرفين جنسياً). وبسبب علاقاته هذه مع رفاق الحزب وجرأته وجعل صالونه الصغير تجمعا للشيوعيين وأصدقائهم، في المنطقة، وكثرة مايدور في صالونه من أخبار وإشاعات في أواخر السبعينات أيام ألبعث، أُعتقل صادق ولم يعد أحد يسمع بأخباره. وبعد عدة أشهر من إعتقاله علمنا أنه موجود في معتقل الفضيلية، المعتقل ألذي زارني فيه قبل عشرة سنوات تقريبا. كان سبب إعتقاله، كما رواه طيب الله ثراه، أن معاون شرطة متقاعد من سكنة كربلاء أسمه صاحب علوان ويكنى بأبي نجاة، كان جالساً في صالونه وأخبر الجالسين بأنه سيقدم طلبا للسيد (ألنائب)، كما كانوا يلقبون المجرم صدام حسين في تلك السنوات، لتمليكه بيت الإسكان الذي يسكنه كمستأجر، فرد عليه أحد الجالسين وهو فيصل الشامي بأن النائب الان راقد في المستشفى يعالج من إصابته بطلق ناري أثناء محاولة لأغتياله!. كانت مثل هذه الإشاعات عن صدام حسين يتداولها الناس من حين لاخر، وكانت مخططة ومبرمجه من قبل أجهزة صدام السرية التي أنشأها وأشرف عليها، وتنشر هذه ألإشعات بعد تهيئة الجو الصالح لترويجها ، كإنقطاعه عن الظهور على شاشة التلفزيون لفترة أيام وحتى تجنب إذاعة أي خبر عنه في ألإذاعة، مما يسهل سريان مثل هذه الإشاعات وتصديقها خاصة أن خلافاته مع أحمد حسن ألبكر بدأت تنتشر. نقل أبو نجاة ماسمعه عن صدام في صالون حلاقة صادق لعائلته، متأسفا على ما أصاب صدام لأنه، كما يعتقد، الوحيد بإمكانه مساعدته. كانت أبنته الصغيرة الطالبة في الإبتدائبة تستمع لرواية والدها، وهي بدورها نقلت الخبر لمعلمتها في المدرسة، وهذه المعلمة البعثية رفعت تقريرا للمنظمة الحزبية. على أثر التقرير أُعتقل ألثلاثة، فيصل وأبو نجاة وصادق، وبعد التحقيق والوساطات أفرج فقط عن فيصل وأبو نجاة بينما أبقوا على إحتجاز صادق، وتعرض لمختلف أنواع**

التعذيب لأسابيع حتى أنه فقد من وزنه أكثر من عشرين كيلو بسبب التعذيب الذي مورس معه. وواضح من ألإبقاء على صادق في الحجز، وهو الذي لم يشارك مطلقا في رواية فيصل كما أنه لم يسمع مادار من حديث بين أبي نجاة وفيصل، أن مخابرات النظام البعثي كانت تريد الإنتقام من صادق لمواقفه الشجاعة ولعلاقته بالشيوعيين.

نقل صادق ألى الفضيلية وزرته بصحبة الصديق صادق الشامي وقص علينا سبب إعتقاله ومعاناته وتعذيبه وهو الذي لم يسمع مطلقا ماقاله فيصل عن صدام!! وأطلق سراحه أوائل سنة 1978 بعد أن برأته ألمحكمه!!!. خرج صادق من المعتقل لكنه أشد صلابة ومازال على شجاعته وإصراره وعلاقاته بالشيوعيين وأصدقاؤهم وبقي صالونه مركزا للتجمع وتناقل ألأخبار في فترة أشتد فيها ألهجوم على الحزب الشيوعي وجماهيره. كان يحدثني ساخراً وهو يقارن بين نوعية التعذيب ألذي تعرض له والتعذيب ألذي تعرضت له في السنين الماضية، ويسألني هل جربت التعرض بالسياط المكهربة ويصف فضاعة تأثيرها والألم الذي يسببه كثرة ممارستها عليه. كان صالونه الوحيد من محلات المنطقة الذي يوجد فيه تلفون، وكثير من الأحيان يدخل أحد شرطة الأمن السري ويطلب منه أن يستعمل التلفون فيرد عليه صادق بدون تردد: هذا التلفون يستعمله الشرفاء فقط وليس .....!! وكنت احذره دائما عدم إستفزاز البعثيين أو شرطة الأمن السري لأنهم كلاب مطيعة لأسيادهم البعثيين ويمكنهم إيذائك بدون رادع أخلاقي.

بعد مغادرتي العراق في شباط 1979 بسنه سمعت بفقدان هذا الإنسان الشجاع بحادث سيارة، ويشك أن الحادث ربما كان مدبرا. هكذا فقدت واحداً من أعز وأصدق الأصدقاء ومازلت لليوم أذكره وأتذكر مواقفه النبيلة والشجاعة معي. فهو ألذي بذل كل جهده ليحصل لي على موافقة تجنيد كربلاء لدائرة الجوازات لغرض مغادرة الوطن بعد هجمة

نظام البعث عام 1979 ، كنت حينها لا أجرأ للوصول ألى كربلاء، بسبب إعتقال (ص. ح.) الرفيق الذي كنت مرتبطا به فرديا أثناء خدمتي في الجيش، وكان هذا خلال عام 78/77 أي الفترة ألتي أعقبت تنفيذ حكم الإعدام بكوكبة من رفاق وأصدقاء الحزب (الشهيد سهيل الشرهان ورفاقه) بحجة إنتمائهم للحزب الشيوعي وهم في الخدمة العسكرية، لذلك تجنبت السفر الى كربلاء لعدم معرفتي حقيقة موقف (ص.ح) خاصة أن منظمة البعث كانت تنشر الإشاعات بعد إعتقال أي رفيق لتشويهه وإثارة الشكوك حوله، وهذا ماسبب إرباكا للحزب في تلك الفترة.

أوآخر عام 1967 أُطلق سراحي من معتقل الفضيلية، وتوجهت من الفضيلية الى فندق كوكب الفرح، حيث أعتدت ألإقامة فيه مع شقيقي همام كلما اضطررت للمبيت في بغداد. كنت أروم في إنجاز بعض المهام التي وجدتها ضرورية قبل السفر لعائلتي في كربلاء. كان الاتصال برفاقي ضروريا وخاصة بعد تداعيات موقف (ح.ج)، كما كان علي الذهاب للكلية لمراجعة القسم الدخلي لأستعادة ملابسي وكتبي التي بقيت في دولابي بعد إعتقالي، وعلي التفكير بطريقة للاتصال بالبيت الذي تركت فيه السلاح والأتصال بأبي ماجد وشكره لموقفه النبيل. بعد لقائي مع رفاقي علمت أن الرفيقين اللذين رافقاني نجيا مع سلاحهما بعد أن أختفيا لعدة ساعات في أحد بيوت القرية. كما كانوا على علم بموقف (ح.ج) وتمكنوا من تلافي تداعيات موقفه.

بعد يومين قررت الذهاب للكلية لمراجعة القسم الداخلي. بعد دخولي للكلية وتوجهي لأدارة القسم إستوقفني رئيس حراسها المدعو فهد بحجة أنني ممنوع من دخول الكلية وأصطحبني لعميد الكلية لشؤون الطلبة هاشم قدوري. وهاشم قدوري من البعثيين الموتورين وعرف بشراسته في التعامل مع الشيوعيين أيام إنقلاب شباط. وبعد

أستفساره عن سبب حظوري وتوضيحي له الأسباب، إتصل بمركز شرطة أبي غريب، وأعتقلت مجدداً. ولما لم أكن قد إقترفت أي جرم يدعو لأعتقالي، تصرف مأمور المركز بخبث وأرسلني مخفوراً الى مديرية الأمن العامة. وفي المديرية بقيت ليومين دون إستجواب وبعد مطالبتي الملحة لهم لمقابلة مدير الأمن العام، أستدعيت لمقابلة أحد المدراء، لآ أتذكر أسمه ولكن شكله لايمكن أن أنساه، فقد كان قصير القامة سميناً وبرأس كبير وأصلع لافت للنظر، وبعد حوار وتحذير منه مؤكدا لي بحضر دخولي للكلية مطلقا، وبينت له بعدم علمي بمثل هذا القرار، افرج عني.

قررت السفر الى كربلاء للقاء ألأهل وأخذ قسطا من الأستراحة للتفكير بوضعي بهدوء، خاصة بعد ماسمعته من الأستاذ يونس الدوري أحد أساتذة كلية الزراعة وأصبح مدير تسجيل الجامعة، بعدم إمكانية قبولي بأي جامعة عراقية، إلا بإعادة النظر بالقرار من رئاسة الجامعة، وأحتمال التراجع عن القرار شبه مستحيل بسبب الوضع السياسي.

قررت أن أتقدم بطلب القبول في معهد إعداد المعلمين الموجود في الأعضمية في بغداد. لكن أحد شروط القبول أن لايكون الطالب مفصولا من الجامعة!. وكان هذا الشرط عائقا لقبولي كوني طالب مفصول. علمت أن رئيس لجنة القبول كان معتقلاً معي في المكتبة العامة والتي حولت الى مركز للتعذيب في كربلاء وهو أستاذ علم النفس. قابلت أستاذي، للأسف لاتسعفني ألذاكرة بإسمه، وشرحت له وضعي، وأوعدني بمساعدتي وقبولي وتجاهل قرار الفصل، لأنه لا أحد يعرف بالقرار. كان موقف هذا الاستاذ والزميل موقفا جريئاً ولم يبال لنتائج إكتشاف لجنة القبول لقرار فصلي، كل ماعليه أن يتظاهر بعدم معرفتي الشخصية. قدمت أوراقي للمعهد وأنا مطمأن من قبولي، وكنت أنتظر يوم المقابلة بفارغ ألصبر. لسوء الحظ تم فتح معهد مشابه في كربلاء ونقلت أضابارتي الى

إدارة دار ألمعلمين ألإبتدائية في كربلاء، وكان مديرها الاستاذ موسى الكرباسي. كان الاستاذ موسى هو الآخر معتقلا معي في موقف كربلاء أيام شباط الأسود 1963 قررت مصارحته بوضعي، مثلما صارحت أستاذ علم النفس في بغداد، لأني لم أرغب أن يسمع ذلك من الآخرين ويتفاجأ ويحسبني خدعته، وكنت أعتقد أنه سيتفهم ظروفي ويساعدني. وللأسف لم يكن موسى شجاعا ورفض قبول طلبي وأعاد لي كل ملف التقديم!. ولو أخفيت قرار فصلي عنه لربما قبلت دون إشكال، لكن إحترامي وتقديري وثقتي بأستاذي وزميلي، وخوفي من إنكشاف وضعي في مدينة معروف فيها بصورة جيده، دفعني لمصارحته كي يتلافى أي إشكالية مستقبلا أذا ماكشف أحدهم تجاوز شرط الفصل، بحيث يمكنه ألإدعاء بعدم علمه بالقرار وأني أخفيت ذلك، وهذا ممكن الحدوث، لكنه أصرَ بكل أسف على إعادة طلبي، وحرمني من فرصة الدراسة.

بلغت من قبل الحزب أن أسلم وثيقة تخرجي من الثانوية للزميل حسن الشمري سكرتير الإتحاد، الذي أنتخب في المؤتمر الذي عقده الإتحاد لإعضائه بعد فوزهم بالإنتخابات الطلابية الأخيرة. وواضح أن الهدف من ذلك محاولة منحي زمالة دراسية في أحدى دول المعسكر الأشتراكي السابق. سافرت إلى بغداد ومعي الوثيقة وهي مترجمة ومصدقة من وزارة الخارجية، وأنا كلي ثقة بإمكانية حصولي على زمالة، فقد أضعت دراستي بسبب نشاطي الطلابي ولا يوجد أي أمل في أكمال دراستي في العراق بعد فصلي من الجامعة. التقيت بحسن في كلية التربية الرياضية وسلمته وثيقتي، بعد أن شرحت له معاناتي وقرار الجامعة بفصلي. كنت أتوقع أن أكون أول من يمنح زمالة ذلك العام ، كوني كنت الوحيد من الرفاق والزملاء الإتحاديين الذي فصل من الجامعة بسبب نشاطه الطلابي ذلك العام، وهذا ماكنت متأكداً منه بحكم علاقتي الحزبية والطلابية (ألأتحادية). للأسف خاب ضني وتأكد لي ماقاله لي أحد الأصدقاء بأن الزمالات في كثير من الأحيان لاتوزع

بصورة عادلة ولا تمنح لمن يستحقها وأن العلاقات الشخصية تلعب دورا غير مبدأي في توزيعها. في تلك السنوات الدراسية 67/68 و 68/69 حصل الكثيرون من الرفاق والزملاء على زمالات دراسية للدول الأشتراكية من دون أن يعانوا مما كنت أعانيه. الجميع الذين قبلوا لم يكونوا مفصولين دراسيا بسبب نشاطهم الطلابي أو مطاردين أو أن هناك دعوى قضائية بإنتظارهم كما في حالتي، كان في مقدمة المقبولين سكرتير الإتحاد حسن الشمري واخرون لم تكن ظروفهم ومعاناتهم سيئة مطلقاً، ولاأريد أن أعدد المزيد من الأسماء التي حصلت على زمالة إتحادية أو حزبية في تلك السنوات وألتقيت ببعضهم في براغ وبولونية، وكنت أكثر إستحقاقا منهم. تأثر رفاقي وأوعدونني بانهم سيتابعون مشكلتي، كنت أعرف أن الوقت قد فات ولافائدة من الإعتراض وأن توزيع الزمالات كان محسوما.

****- بيوت الأسكان، بيوت شعبية بناها الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم، لتكون سكنا لذوي الدخل المحدود وبأيجار شهري رمزي، وقد أنتشرت هذه البيوت في جميع المحافظات.**

23

معاناة الفصل

بعد أن ضاعت مني فرصة الحصول على زمالة دراسية، شعرت بإحباط كبير ووجدت نفسي في جو عائلي يحملني بعض المسؤولية لضياع مستقبلي الدراسي، خاصة عندما فشلت حتى في الحصول على قبول في معهد إعداد المعلمين، وكنت عاجزاً حتى في تبرير عدم منحي لزمالة. فقد سبق وأن تأخرت ثلاث سنوات دراسية عن أقراني بسبب دخولي السجن، ثم جاء فصلي من الجامعة ليزيد من تأخري الدراسي في الجامعة وربما قد لأ أوفق في الدراسة الجامعية. وأضاف فصلي من الجامعة مشكلة جدية جديدة للعائلة، وزاد من أعبائها، وهم يرونني أمامهم وقد فقدت أمكانية الدراسة وأنا عاطل عن العمل، وقد أقدم للمحاكمة بتهمة حمل السلاح وإطلاق النار داخل الكلية وأصابة أحد الطلبة، وقد أدخل السجن مجدداً. إضافة إلى محاولات والدي للعودة للتعليم وإصطدامها الدائم ببيروقراطية المسؤولين وأحقادهم السياسية. لذلك كان الجو العائلي متوتراً، وكنت أرى الوجوم ونظرات العتاب واللوم في عيون أمي ووالدي، كلما جلسنا وتحدثنا عن أوضاع العائلة الاقتصادية ومعاناتها المالية ووالدي عاجز عن توفير ماتتطلبه ضرورات الحياة.

قدم والدي أكثر من طلب لعودته للتعليم، وكانت ترفض الطلبات بحجج شتى، كعدم توفر شواغر أو درجات أوعدم حاجة المحافظة أو أن قرار الأعادة يجب أن يكون قرار من الدولة وغيرها من أعذار. كل ذلك لم يمنع الوالد من الإصرار على حقه في العودة وهو الذي خدم في التعليم 27 عاما بكل إخلاص يشهد به طلبته، كنا نقتصد حتى في صرفيات المأكل كي نوفر للوالد مصاريف مبيته وسفره من كربلاء الى بعقوبة (ديالى) ليراجع

مديرية تربيتها أو ليراجع مجلس الخدمة في بغداد، لكن تلك المراجعات كانت بدون فائدة. عانى الوالد كثيراً بسبب عجزه عن توفير متطلبات الحياة لعائلته، وقد زادة من معاناة الوالد المضايقات التي مارستها الأجهزة الأمنية عليه في زمن حكم الشقيقين عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن.

بسبب الضغوط الشعبية في الداخل والضغط الدولي كان حكم العارفين يعلن من حين لاخر عن قرارات لإعادة المفصولين، لكن النظام العارفي لم يكن جادا في قراراته، حيث كان الهدف من هذه القرارات إمتصاص الغضب الشعبي ودعاية سياسية أمام الرأي العام العراقي والعالمي. كانت مراجعات المفصولين تصطدم ببيروقراطية الأجهزة الإدارية، وأحيانا بعرقلة مقصودة من قبل بعض الإداريين الحاقدين الذين يشترطون على المفصول أن يعلن براءته من الحزب الشيوعي، وهكذا يبقى المفصول يدور من دائرة لأخرى في مراجعات لاجدوى منها حتى تنتهي الفترة المحددة لدراسة مشاكلهم، ويكون كل جهودهم ألتي بذلوها راحت هباء.

كانت آخر مرة حاول فيها والدي للعودة للتعليم مستفيدا من القرار الرئاسي في إعادة المفصولين الصادر أواخر 1967. راجع لجنة إعادة المفصولين في بعقوبة، كونه كان معلما في قضاء الخالص التابع لمحافظة ديالى عند فصله. كانت لجنة إعادة المفصولين في بعقوبة مؤلفة من مدير التربية ومدير الأمن وممثل عن المتصرف (ألمحافظ). قدم والدي طلبه وحدد له يوم لمقابلة اللجنة، وفي يوم المقابلة وعند إستدعائه دخل وحيا اللجنة فوجد مدير الأمن يمسك بفايله ويقلب أوراقه كمن يبحث عن شيء، وكان الوحيد الذي لم يرد على تحية الوالد. بادر مدير الأمن بسؤال والدي ما أسمك؟ وهو يتطلع بوجه والدي بنظرات كلها إتهام وتشكيك قبل أن يستمع إلى جواب الوالد. ودار الحوار التالي

بين والدي ومدير الأمن:

ـ إسمي علي محمد الشبيبي.

ـ ماهو عملك؟

ـ معلم مفصول.

ـ كم سنة سجنت؟

ـ سنتان.

ـ تكذب !!!

قالها صارخا في وجه والدي وبطريقة غير مؤدبة وليس فيها أي إحترام حتى لزملائه أعضاء اللجنة، ألتي بان على وجوههم الإندهاش والمفاجئة. لم يعرف والدي لماذا يتهمه بالكذب وبقي في حيرة ينتظر أن يتدخل أحد أعضاء اللجنة للتعليق علّه يفهم سببا لهذا الإتهام الساذج، وبدون أية مقدمات. للأسف لم يتدخل أي عضو من اللجنة، بل بالعكس ساد الوجوم والأرتباك وحتى الخوف عليهم، منتظرين من والدي أن ينقذهم من هذا الموقف، مما أضظر الوالد للإستفسار وبهدوئه ولباقته الأدبية معرفة لماذا هذا الإتهام:

ـ أنا لم أكذب، ولا اجد داعيا للكذب أمام لجنتكم الموقرة وأمامها كل الوثائق عن وضعي، ولا أعرف لمَ هذا الإتهام؟

ـ أنت تكذب لأنك حكمت لعشرة سنوات أيام العهد الملكي وليس لسنتين كما أن أسمك الصحيح محمد علي الشبيبي!!! قالها بعصبية وبثقة مطلقة.

ـ لم أسجن في العهد الملكي، وكنت في ذلك العهد معلما في لواء المنتفك (محافضة ذي قار) وأسمي مسجل أمامك على ملفي وهذه هوية نقابة المعلمين وجنسيتي تؤكد صحة ما أقول، والاستاذ عضو اللجنة زميلك مدير التربية كان مدير المعارف في لواء المنتفك وهو يعرفني معرفة جيدة منذ تلك الأيام.

قال والدي جملته الأخيرة ملتفتا الى مدير التربية يطلب منه التدخل ليضع حدا لهذا الألتباس ألغبي والخبيث من قبل مدير الأمن. لقد أختلطت الأسماء على مدير الأمن الغبي أو ربما تقصد ذلك ليعرقل عودة والدي للتعليم، فهو يتذكر عمي محمد علي حيث كان محكوما أيام العهد الملكي بعشرة سنوات. لكن غباءه وحقده أعماه عن معرفة الحقيقة ووجد في غباءه هذا وسيلة جيدة وخبيثة لعرقلة دراسة ملف والدي. لم يكن يتوقع والدي جبن مدير التربية، الذي أتكأ ألى الخلف خافيا وجهه وهو يرفع سبابته الى شفتيه طالبا من والدي السكوت وتجنب النقاش والأستفسار!. أستجاب والدي لطلب مدير التربية وصمت، متوقعا أن المدير سيقف الى جانبه ويضع حدا لجهل وغباء مدير الأمن، لكن تدخل مدير التربية خيب أمل الوالد. أقترح مدير التربية على والدي حسما للألتباس، أن يجلب والدي كتابا بمحكومياته من دائرة التحريات الجنائية، وهذا يعني تأخير دراسة ملف الوالد، إضافة للجهد والمصاريف والوقت الذي سيبذله والدي الغير ضروري متنقلا بين كربلاء وبغداد وبعقوبة. حاول الوالد أن يعترض على هذا المقترح لأنه مجرد مضيعة للوقت، خاصة أن مدير التربية لم ينف معرفته بالوالد، وهو يتذكر الوالد جيدا بسبب مشادة حدثت بين الوالد وأحد مفتشي اللغة العربية أيام العهد الملكي في مدينة الناصرية. حيث أن هذا المفتش كتب تقريرا عن طريقة تدريس الوالد لدرس اللغة العربية لطلبة الصف السادس من دون أن يقوم بزيارة فعلية أثناء تدريسه، وأن كل ماقام به المفتش هي عملية تنصت غير مؤدبة وجبانة من وراء باب الصف على والدي أثناء تدريسه، وشاء سوء حظ المفتش أن يفتح والدي باب الصف ويرى المفتش واقفا يسترق السمع. كان منظر المفتش يثير السخرية وهو واقف خلف الباب شارد الذهن حتى أنه لم يشعر بوالدي وهو يفتح الباب، مما أثار داخل الصف ضجيجاً بين الطلبة مصحوبا بالضحك والسخرية. تلافيا لحرج المفتش المحترم أنب والدي طلبته ودعى المفتش للدخول للقيام بواجبه كما يجب، لكن المفتش أعتذر من الدخول للقيام بمهمته

وعلى مايظهر إكتفى بتنصته. تفاجأ والدي عندما أخبره مدير المدرسة، ألسيد باقر (أبو منذر) طيب الله ثراه، أن المفتش غير مرتاح من نتيجة التفتيش على طريقة وأسلوب تدريس الوالد وقد كتب تقريرا قاسيا بحق والدي. روى والدي للسيد باقر كيف أمسك بالمفتش وهو يتنصت من خلف الباب كالطفل الغير مؤدب ليستمع الى مايدور بين كبار العائلة، وكيف أثار منظره ضحك وسخرية الطلبة. وليؤكد والدي صدقه أرسل على ثلاثة طلبة، وسألهم أمام المدير عن سبب ضحكهم وضجيجهم في الصف أثناء فتحه الباب للمفتش، فأجابه الثلاثة بصوت واحد: أستاذ كان المنظر مضحك ولم نتمالك أنفسنا، وقد بدى المفتش كطفل من الصف الأول وقد مسك متلبسا بسلوكه الغير لائق! كان هذا رأي طلبة الصف السادس بالمفتش المحترم. ورغم إكتشاف والدي للمفتش وهو متلبساً بسلوك لا ينم عن الخلق التربوي والشعور بالمسؤولية، فأن المفتش الجاهل كتب تقريرا عن طريقة والدي في التعليم تفوح منه رائحة الحقد السياسي والطائفي. فما كان من الوالد إلا أن يكتب مذكرة لمدير المعارف (التربية)، عضو لجنة إعادة المفصولين حاليا، يسخر فيها من أسلوب التفتيش الذي مارسه المفتش، وهو أسلوب تجسسي يتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق والتربية، ويدل على جبن المفتش الذي لم يجد في نفسه الجرءة لمواجهة معلم عربي خريج مدارس النجف الدينية، ذو مقدرة عالية من اللغة العربية. أعتمد والدي في مذكرته على بعض الأخطاء الإملائية والقواعدية إضافة للصياغة الركيكة ألتي إتسم فيها تقرير المفتش. وهكذا فضح والدي جهل وحقد المفتش. هذه الحادثة يتذكرها جيدا مدير التربية، لما تركته من ضجيج وسخرية في تلك السنة بين أوساط المعلمين في مدينة الناصرية وأصبحت حديث المعلمين، كما أن مدير التربية كلما التقى بوالدي يذكره بالحادثة ويثني عليه لموقفه الجرئ.

فضل والدي ألتزام الصمت وعدم أحراج مدير التربية، معتقدا أن المدير ربما سيساهم

في حل الإشكال والمساهمة بإجابية في إعادة والدي للتعليم. وتقبل الوالد على مضض المقترح لوضع حد لغباء وخبث رئيس اللجنة. إستغرقت عملية حصول الوالد على عدم المحكومية أكثر من إسبوع. وتوجه ألوالد ألى بعقوبة لتسليمها لتكن إحدى وثائق ملفه. في مديرية تربية بعقوبة لم يجدوا أثراً لملف الوالد، رغم أن الموظف المسؤول أكد للوالد أنه يتذكر ملفه جيدا. وحلاً لهذه المشكلة طلب من الوالد أن يقدم طلبا جديدا، على أن يقدم الطلب ألى اللجنة في أول إجتماع لها. لم يكن لدى الوالد خيار آخر، وقدم طلباً جديدا وهو متأكد بأن ملفه إختفى بتدبير من مدير الأمن لعرقلة عودته. لم يكن والدي محظوظاً في محاولته هذه للعودة للتعليم، فسرعان ما أنتهت الفترة المخصصة لأعادة المفصولين من دون أن يستدعى الوالد لمقابلة اللجنة.

في 17 تموز 1968 قام البعث بانقلاب عسكري ضد حكم عبد الرحمن عارف. قوبل الانقلاب من قبل الشعب بحذر شديد، ويعود سبب ذلك للسلوك الدامي الذي سلكوه في إنقلاب 8 شباط الفاشي. ومازال الشعب يعيش مأساة ذلك الانقلاب الدموي ويعاني من آثاره، حيث الشيوعيون والديمقراطيون مازالوا في السجون، والبعض يعاني من الفصل الوظيفي والبطالة والمطاردة الأمنية. شعر الانقلابيون بعزلتهم من اليوم الاول حتى أنهم لم يجرءوا عن إعلان أسماء حكومتهم أو قادة إنقلابهم في الساعات الاولى. تدارك الانقلابيون ذلك ببعض القرارات كإطلاق سراح السجناء السياسيين، إلغاء القضايا السياسية، إعادة المفصولين على أن يعاد العسكريون لوظائف مدنية.

بعد أيام من الأنقلاب زارني في البيت الشهيد علي محمد النوري طيب الله ثراه، وهو المسؤول الحزبي لمحلية كربلاء، وكان يقود النشاط الحزبي لمدينة كربلاء متخفيا بعد أن نجح في الهرب من موقف مركز شرطة النجف والتحق بمنظمة منطقة الفرات

الاوسط للحزب. بعد أن تناول الشاي وسألني عن أخبار الوالد وعن وضعي، شرحت له بإختصار محاولاتي للحصول على زمالة وأن جميع تلك المحاولات كانت فاشلة. سألته عما يحتاج ودوافع زيارته وخروجه من الاختفاء في هذه الظروف الغير واضحة.

وفهمت هدف زيارته بعد أن طلب مني أن أرافقه بجولة في المدينة! ليرى ردة الفعل ومن ثم ليراجع مديرية تربية كربلاء لغرض إعادته للتعليم. كان طلبه محرجا فما زالت قضية الوالد وإتهامه بقيادة العمل الحزبي في كربلاء معلقة في المحكمة، حتى أن والدي أستدعي للمحاكمة في المجلس العرفي والتقى هناك مع (س. ح) وأعتذر ألأخير لماسببه لوالدي من متاعب لم يقصد بها أذية الوالد. رافقت علي النوري وتجولنا في المدينة، وكانت ردود الأفعال مختلفة من قبل الأصدقاء والاعداء، بعضهم كان يحذرنا من هذه المغامرة الغير مدروسة، وآخرون كانوا يسألونه بخبث عن سر أختفائه، بعدها ذهبنا لمديرية تربية كربلاء وتحدث مع معاون المدير وأعتقد كان حينها ألاستاذ رضا مرتضى، وأخبره معاون المدير بان التعليمات واضحة بإعادة المفصولين، وبإمكانه تقديم الطلب الآن. بعدها طلب مني أن نحتسي الشاي في أحدى مقاهي العباسية الشرقية، وجلسنا في مقهى صغيرة تطل على شارع العباس، بالقرب من دارنا، يلتقي فيها معظم شباب ورجال المحلة. شكرني علي النوري على مرافقته وسألني مجدداً عن وضعي وأخبرته بالتفصيل عن محاولاتي والجهود التي بذلتها من أجل الحصول على زمالة ولكن للأسف حتى لم أحصل على وعداً. نصحني بإختصار طريق التقديم وذلك بالأتصال بصاحب الحكيم (أبو بشرى) وتقديم نفسي له كوني أبن أخ الشهيد حسين الشبيبي وأني مفصول من الجامعة بسبب نشاطي الحزبي والطلابي، وأعطاني عنوان أخ صاحب ليرتب لي لقاء مع أخيه. شجعني مقترح علي على السفر للقاء صاحب لمعرفته الجيده بعائلتي، وهو ليس بحاجة للتعريف بها. ألتقيت بأبي بشرى، والغريب كان يعرف كل تفاصيل مشكلتي في الزراعة ولايعرف بأني قدمت طلبا لزمالة ولم أحصل عليها، وطلب مني أن أقدم طلبا جديدا عن

طريقه مرفقا برسالة للمكتب ألسياسي للحزب، وقدمت وثائقي من جديد.

ألتزمت الجهات المسؤولة في مؤسسات الدولة، بعد إنقلاب 17 تموز، بتنفيذ قرارات إعادة المفصولين، وأطلق سراح السجناء والمعتقلون السياسيون والغيت الدعاوى السياسية بما فيها الدعوة ضد والدي بقيادة التنظيم الحزبي في كربلاء، وأعيد معظم المفصولون ألى وظائفهم ولكن في دوائر ومدن غير مدنهم. إستفاد والدي من هذه القرارات وأعيد للتعليم، ولم تخلُ إعادته من خبث وحقد بعثي مازال يهيمن على عقلية ألبعثيين الجدد. حيث تم تعيين الوالد في مدينة الرمادي بعيداً عن عائلته بحجة عدم وجود شواغر في كربلاء أو في المحافظات المجاورة، ولم تشفع للوالد خدماته الطويلة في التعليم وكبر سنه.

باشر والدي عمله في احدى مدارس الرمادي، وأستأجر غرفة للعيش فيها تاركا عائلته في كربلاء على أمل أن يحصل على نقل الى محافظة كربلاء مع بداية العام الدراسي القادم. عمله في الرمادي سبب له وللعائلة متاعب كثيرة، فالبعد وتشتت العائلة أضافة للمصاريف ألإضافية التي يضطر والدي لصرفها في الرمادي من إيجار ومعيشة وتكاليف تنقله إسبوعيا لزيارة العائلة في كربلاء. أفلحت جهود الوالد بعد سنة من عمله في الرمادي من حصوله على الموافقة لنقله لمحافظة كربلاء. لم تقدر مديرية تربية كربلاء خدمات والدي الطويلة في سلك التعليم ولا حتى عمره الذي زاد عن 56 عاما، حيث صدر قرار تعينه في أحدى قرى كربلاء. كان وصوله لقرية المدرسة يتطلب أن يسير مسافة طويلة مشياً على الاقدام ومن ثم التنقل على الدابة لعدم توفر واسطة نقل أفضل ، أما في الشتاء فكان يعود للبيت وقد إتسخت ملابسه بوحل الطريق وهو منهك القوى.

والدي في الرمادي شتاء 1969 وقد خط خلف الصورة بيت الشعر التالي:
أيا جارتا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

كافح والدي بصمت وصبر من أجل أن يوفر لعائلته وأبنائه ضروريات الحياة. مازلت أتذكر أحد المواقف المحرجة والصعبة ألتي عاشتها العائلة، يوم وصلت رسالة من أخي كفاح عندما كان طالبا في كلية التربية يطلب فيها مبلغا لشراء بعض الكتب المهمة. كان الوضع ألمالي للعائلة سيء، وكانت العائلة تعاني من متاعب مالية فراتب والدي لم يكف لسد متطلبات معيشتنا وتكاليف معيشة أخي في بغداد مما أجبر أخي همام للتضحية وعدم التقدم للقبول في الجامعة وأنما الدخول بدورة لتسعة أشهر لإعداد المعلمين ليكون عونا لوالدي في إعالة العائلة ومساعدة أخي كفاح في متطلباته الجامعية. وصلت رسالة أخي كفاح في فترة كانت تعاني فيه العائلة من ضائقة مالية بسبب عدم إمكانية الوالد من تحرير حُلي الوالدة المرهونة في البنك، وأحتمال بيع الحلي في المزاد لتسديد قيمة الرهن. وقد زادت رسالة أخي كفاح وطلبه من هموم الوالد ولم يجد حلا لمساعدة أخي سوى أن يبيع بعض أثاث ألبيت، وكان من ضمن هذا الأثاث سرير النوم المزدوج والوحيد، وكلف والدي ألشيخ محمد المسلماني لعرض الاثاث في المزاد. هكذا ضحى الوالد بسريره الوحيد ليدفع لأخي مصاريفه الجامعية ولاتسعفني الذاكرة لتذكر كيف عالج الوالد مشكلة تحرير رهن الحلي والتي كانت دائمة الضيافة الثقيلة في بيتنا. هكذا كان طيب الله ثراه مضحيا من أجل مستقبل أبنائه وسعادتهم. كان دائما يقول عندما فصلت من التعليم سنة 1947 قررت أن أُمارس أي عمل لأعالتكم لا أن أفعل مثل البعض، ويقصد أحد أصدقائه، حيث سحب أبنائه من المدارس وشغلهم في بيع ألنفط في الشوارع، فرأس مالي هو أنتم وعليَ الاهتمام بكم.

24

ألحلقة الأخيرة

بعد خروجي من معتقل الفضيلية آواخر عام 1967 ، وفشلي في الحصول على زمالة أو دراسة، قررت التوجه والتركيز للبحث عن عمل للتخفيف من أعباء الوالد في المساهمة في مصاريف العائلة، كما أن من خلال عملي يمكنني أن أوفر مبلغاً متواضعاً ليساعدني في سفري للدراسة إذا ماحصلت على زمالة. فاتحت أخي همام بذلك ليساعدني عن طريق معارفه. طلب أخي همام من صديقه قائم مقام المسيب، وهو قومي التوجه، لمساعدتي في الحصول على وظيفة كتابية. وجد لي صديقه عملا في ذاتية معمل نسيج الحلة. ورغم أن العمل في غير مدينتي (كربلاء) يعني عدم الأستفادة ماديا من أجوري لمساعدة العائلة، ومع هذا وافقت كي لا أبق عاطلا عن العمل وعلى الأقل أني سأوفر مصاريفي الشخصية أن لم أكن قادراً على المساهمة في مصروف البيت. قدمت الأوراق المطلوبة وكان من ضمنها عدم المحكومية، وقد تم أختياري بالأسم لأستلام طلبي من بين عشرات المواطنين الذين تجمعوا في الباب الرئيسي لمعمل النسيج وهم يحملون طلباتهم، وكانت هذه علامة تفاؤل بجدية وساطة القائم مقام ومفعولها. ولكن حين مراجعتي للمعمل بعد أيام بلغت برفض طلبي من اللجنه لأني محكوما لأسباب سياسية!! عدت خائباً ألى القائم مقام وأخبرته بالموقف وقد تأثر وخاطب مدير أمن الحلة منتقدا مثل هذا التصرف إتجاه المحكومين السياسيين، وأوعدني أنه سيحاول أن يساعدني بأقرب فرصة.

في شباط 1968 قدمت طلبا الى معمل التعليب في كربلاء، وحصلت على عمل، كعامل

وقتي، بأجور يومية قدرها نصف دينار. كان عملي تابع لقسم حسابات الكلفة، وكان الأستاذ حيدر مسؤول حسابات الكلفة هو من يشرف على عملي. كلفت بمراقبة عمل المكائن وفترات توقفها وعدد العمال الذين يعملون في كل خط إنتاجي، وذلك لحساب كلفة المنتجات. تفاجأت عندما شاهدت كمية التلف المرافق لعملية الإنتاج في مراحلها الأخيرة، حيث يصل التلف الى 97% وأحيانا أكثر! ولا أبالغ في هذه النسبة مطلقاً، وعلى القاريء أن يتصور كمية التلف والخسائر المذهلة. فبعد مليء العلب بالمنتج، من مربيات أو معجون الطماطة أو حتى ألخضر المطبوخة، وهي على سربس ماكنة غلق العلب، تخرج العلب غير مغلقة كما يجب. وكان مراقب الأنتاج مضطراً لتكليف مجموعة من العمال لأعادة فتح هذه العلب، وإعادة غلي المنتج وتعبئته مجدداً، وهكذا كانت المشكلة تتكرر على مدار ساعة الأنتاج. وكل هذا كان يحدث بعلم مدير الأنتاج الدكتور ناصر الربيعي. كان جهد العمال ووقتهم غير منتج، إضافة للخسائر التي تسببها إعادة التعبئة والتي تؤثر سلباً على نوعية الأنتاج.

زامن حصولي على عمل في معمل التعليب، تعيين مديراً عاماً جديدا للمعمل هو الأستاذ صبري رشيد. وكان المدير يتابع عملية الأنتاج من خلال زياراته المتكررة اليومية، ويرى بعينيه كيف أن ماكنات التعبئة والغلق، المكنات التي يتوقف على عملها كل عملية النشاط الأنتاجي في المعمل، غير قادرة على أنتاج مئة علبة يوميا، بينما المفروض أن يكون أنتاجها أكثر من عشرة ألآف علبة يوميا!!!

طلب مني المدير العام الجديد صبري رشيد أن أكون دقيقا في تسجيل الأعطال وأسبابها والفترة التي يستغرقها التصليح، ونسبة التلف، والوقت المستغرق لأعادة التصنيع. لاحظت كما لاحظ ذلك معظم العاملين في المعمل من عمال وموظفين أن المدير الجديد

صبري رشيد أكثر إهتماما وحرصا على المعمل والإنتاج وتسويقه، من مدير الإنتاج الدكتور ناصر الربيعي. لم يخف ناصر الربيعي حقده على الدول الإشتراكية ويحاول أن يعزُ عطل المكائن المستمر وخسارة المعمل كون المكائن رديئة لأنها صناعة الدول الإشتراكية، وهو لايتورع من التصريح بذلك أمام الزائرين. وقد حدثني العمال القدامى كيف أن مدير الأنتاج ناصر الربيعي الذي رافق الخبراء الروس منذ تأسيس المصنع، وكان حينها مسؤولا عن إستلام كل الآلات التي تخص عملية الأنتاج، لم يكن يعير أي إهتمام للمكائن وأدواتها، وكانت تبقى مرمية في ساحة المعمل تحت أشعة الشمس والأمطار، وأحيانا ترمى من سيارة النقل على الأرض، وقد أثار تصرف الربيعي غضب الخبراء الروس الذين فهموا دوافعه، حيث كان يصرح دائما وعلناً أن المكائن المستوردة من المعسكر الأشتراكي رديئة ولا تستحق الأهتمام، فقال له أحد الخبراء الروس مامعناه: دكتور ناصر صحيح هذه صناعة شيوعية، ولكنكم دفعتم ثمنها وهي الان عراقية، وعليكم الأهتمام بها!

بعد إسبوع من عملي ومن خلال علاقاتي بالعمال الواعين وكان معظمهم من الأصدقاء والقريبين من الحزب، علمت أن التقنيين الذين درسوا في الإتحاد السوفياتي للتخصص في صيانة مكائن المصنع لايمارسون عملهم هذا وإنما يعملون في الذاتية والمخازن والمشتريات وحتى في المبيعات!! وأخبروني الأصدقاء أن سبب تهربهم من العمل الميكانيكي لأنهم لايفهمون شيئا بالميكانيك بالرغم من إيفادهم من قبل وزارة الصناعة للدراسة في الأتحاد السوفياتي لمدة سنة للتخصص في ميكانيك مكائن المعمل، وأن الإدارة السابقة ومدير الإنتاج سمحوا لهم بهذا التهرب كي تسهل لهم الإساءة للصناعة الإشتراكية. كما أخبروني أنه يوجد عامل ميكانيك متمكن جداً من ماكنة التعبئة أسمه رضا الحداد، من المتعاطفين مع الحزب الشيوعي، تم فصله من المعمل بمؤامرة شارك

فيها البعثي إبراهيم جميل مسؤول ورشة صناعة العلب. إمتدح معظم العمال إمكانيات رضا الميكانيكية وحبه وتفانيه في العمل وأكدوا لي أن رضا بإمكانه تصليح أي عطل في أقل من نصف ساعة. وأكد لي العمال إمكانيات رضا وكيف كان المعمل، أثناء عمله، ينتج يومياً الآف العلب الجيدة ولا يوجد بينها علب تالفة! وبسبب عطل هذه المكائن ومكائن صناعة العلب، الذي يشرف عليه إبراهيم جميل، وسوء أختيار أعضاء لجان المبيعات والمشتريات، إنخفضت مبيعات المعمل وتضاعفت خسائره، وسرت إشاعات بين العمال تتحدث عن بيعه للقطاع الخاص أو غلقه، إلى أن أقدمت وزارة الصناعة على تعين صبري رشيد كمدير عام علّه ينقذ المصنع من الإنهيار.

بعد مضي إسبوعين على عملي في المعمل وإطلاعي على معظم المشاكل التي يعاني منها المعمل، قدمت مذكرة مفصلة للمدير العام شرحت له كيف أن الفنيين يعملون في المخازن والذاتية والمشتريات وأنهم فاشلين مهنيا، وكيف تآمر إبراهيم مسؤول قسم صناعة العلب لفصل العامل رضا الحداد. وشرحت للمدير وهو كان متفهما لشرحي، أن إعادة رضا للعمل سيجنب المعمل خسارة آلآف الدنانير يوميا، فبدونه سيتوقف الأنتاج، ولن يخسر المعمل حتى وأن دفع له أجراً مضاعفاً. كما شرحت بالتفصيل كيف حول إبراهيم جميل مكائن قسمه الى أدوات إحتياط، فالقسم يحتوي على ماكنتين من كل نوع، فجعل إبراهيم إحدى المكائن المكررة إحتياط للماكنة الاخرى! كانت مذكرتي مفصلة وتجاوزت 20 صفحة بخط اليد، وقد حملت مدير الأنتاج ناصر الربيعي مسؤولية تدهور إنتاجية المعمل وخسائره الكبيرة. طلب مني صبري رشيد أن أحدثه بتفاصيل أكثر، وأستغرب للمعلومات التي كشفتها له رغم قصر فترة عملي في المعمل.

أجتمع المدير بالفنيين (سعدي قداح وإبراهيم جميل والياس المفتي) وطلب منهم أن

يتركوا عملهم في المخازن والذاتية وأن يبذلوا جهدهم خلال ثلاثة أيام لتصليح كل المكائن المتوقفة وإلاسيكون حسابهم شديدا، وركز على سعدي قداح كونه يعمل في المخازن وعلى إبراهيم جميل لأنه حول ماكنتي صناعة وفحص العلب ألى مكائن إحتياط مفككة لسد حاجة الماكنات الأخرى، وطلب منه تشغيل المكائن المتوقفة التي حولها الى مصدر لأدوات الأحتياط.

كان جميع العمال يتابعون عمل سعدي قداح وإبراهيم جميل، وهما منهمكان في قراءة كتب الميكانيك التي درساها في دورتهم في الأتحاد السوفياتي، ومحاولة إكتشاف الأخطاء ومعالجتها، وأحيانا يصل بهما الحوار والنقاش حد الخصام والتشاتم بالرغم من أن الأثنين أعضاء في حزب البعث. بعد ثلاثة أيام برهن إبراهيم ورفيقه سعدي قداح أنهما عاجزان عن إنجاز المهمة. كان صبري رشيد يراقب نتائج عملهما يوميا خلال زيارته المتكررة للمعمل ويطالبهما بسخرية ليطبقا مادرساه خلال دورتهما في الاتحاد السوفياتي والتي كلفت الدولة الكثير. لم يطمأن المدير العام لقدراتهما وإخلاصهما، فقرر دعوة رضا الحداد، وطلب مني إبلاغ رضا لمقابلته، ولما كنت لا أعرف رضا شخصياً طلبت من صديقه ضابط الوقت حسين الموسوي طيب الله ثراه أن يبلغه بدعوة المدير، وطلبت من الموسوي أن يوضح لرضا حاجة المعمل اليه ليفرض شروطه. أتفق صبري رشيد مع رضا الحداد على إعادته للمعمل مع زيادة أجوره والسماح له بمغادرة المعمل متى شاء شرط أن تكون المكائن صالحة وأن تكون نسبة التلف أقل من 2% وأن يكون مستعدا لتصليح أي عطل حتى إذا حدث في الوجبات الليلية، وتعهد المدير بأن يساعد رضا في دفع البدل النقدي لأعفائه من الخدمة العسكرية.

باشر رضا بعمله ومن الساعة الاولى تمكن من تصليح الأخطاء في إحدى مكائن التعبئة،

هذه الاخطاء التي عجز عن تصليحها الميكانيكيان المتخصصان إبراهيم ورفيقه سعدي قداح ، بينما كان رضا أُميا لكنه أحب عمله وأتقنه من خلال مرافقته للفنين الروس. لم يسبق لي أن التقيت بعامل يحب ويعشق عمله مثل رضا الحداد، كان يعمل ويحدِّث الماكنه وكانه يغازل عروسته. كان صبري رشيد مندهشا من قدرات هذا العامل ألامي، وتفانيه وعشقه لعمله مما زاد من إعجابه وإحترامه لهذا العامل. تمكن رضا من تصليح الماكنات لتعمل ثلاثة وجبات يوميا، أي 24 ساعة يوميا وبدون توقف، ونادرا ماكانت تعطل بفضل صيانته ومراقبته المستمرة. فبعد أن كانت نسبة التلف في التعبئة تتجاوز 97% أصبحت بفضل العامل الأمي رضا الحداد أقل من 0,2% وأحيان يمر اليوم ولا يوجد أي تلف في التعبئة.

أكد العمال الذين عملوا في المعمل تحت إدارة عدة مدراء أن إدارة صبري رشيد تميزت عن الأدارات الأخرى بالحرص الشديد والشعور العالي بالمسؤولية والمتابعة اليومية للنشاط الانتاجي والمبيعات، وكانت زياراته اليومية والمتكررة وخاصة مابعد منتصف الليل والمفاجئة للمعمل لمتابعة عمل الوجبة الليلية، حافزاً لجميع العمال على العمل بجد، وجعل الجميع ينظر أليه نظرة إحترام وأعجاب.

عملت في المعمل بجد، وقد كسبت ثقة الأستاذ حيدر، وكان يكلفني في أحياناً كثيرة لتدقيق حسابات الكلفة التي كان يقوم بها، حتى أصبحت قادراً على القيام بكل العملية دون العودة اليه، وكان يدققها ويؤكد لي صحة حساباتي. كنت في أحيانا كثيرة أعمل في شفتين (وجبتين)، وأقترحت على المدير برغبتي في أستغلال (الكشك)، القائم في باب قبلة الحسين (ع)، الذي يعرض فيه المعمل بضاعته للدعاية أيام الأعياد والزيارات الدينية وأبديت إستعدادي لفتح الكشك يوميا بعد الدوام وحتى أيام العطل وبدون أجر!

أستغرب المدير من عرضي ورغبتي للعمل ووافق على مقترحي وتشجيعا لي قرر أن يعطيني ربحا 3% من سعر البضاعة إضافة لما أجنيه من الأرباح. سألني عن سبب رغبتي للعمل في الكشك أضافة لعملي في وجبتين وكيف سأوفق بين هذه الأعمال.
وضحت له أضطراري وحاجتي للعمل، وأذا ماوافق على عملي في الكشك سوف أكتف بالعمل في الوجبة الصباحية فقط. كذلك حدثته بقصتي وفصلي من الجامعة وأني أعمل لكي أجمع مبلغا ليعينني في سفري للخارج لإكمال دراستي. تعاطف معي كثيرا وأوعدني بالمساعدة في إيجاد وظيفة مناسبة لي.
منذ اليوم الأول لأستلامي الكشك وتجهيزه بالمنتجات، بادرت بالاتصال بجميع أصحاب الدكاكين لمعرفة إحتياجاتهم وأستمعت لمقترحاتهم وملاحظاتهم، ولاحظت أن معظم منتجاتهم قديمة وقد أنتهت فترة صلاحيتها، وتذمر الجميع من تكدس المنتجات. قدمت تقريرا للمدير مع مجموعة مقترحات بإستلام المنتجات القديمة وتعويضهم بمنتجات جديدة، ووافق على مقترحي وخصص لذلك واسطة نقل وعمالاً لمساعدتي في الدوران على أصحاب المحلات. وقد أسعد ذلك أصحاب المحلات وشجعهم على مضاعفة مشترياتهم حتى تجاوزت المبيعات أضعاف مباعه الوكيل أحمد السعداوي خلال سنتين من وكالته العامة لتوزيع منتجات المصنع في كربلاء. كنت شهريا أقدم تقريرا للمدير عن مبيعاتي في الكشك والمحلات، وأرفقها بمقارنات مع المبيعات في الأشهر المشابهة للسنوات السابقة، وقد نال نشاطي وأسلوب عملي أعجاب صبري رشيد. ولم يخل عملي في الكشك من مضايقات، خاصة بعد مجيء حزب البعث للحكم بعد 17 تموز 1968.
ففي أحد الأيام أرسل علي المدير العام، وسألني عن حركة مبيعات الكشك وزيارات الناس، ثم قال لي: هناك تقارير وصلتني عن تحويل الكشك الى محل لأجراء اللقاءات الحزبية! وقبل أن أجاوبه علق: أنا لا أثق بهذه التقارير ولكن كن حذراً فهم، ويقصد البعثيين، يتربصون بك.

صباح أحد الأيام أستدعاني صبري رشيد في غرفته وكان عنده لجنة عسكرية من المسيب تريد التعاقد لتزويدها بمنتجات المعمل ومعرفة الأسعار وسألني إن كنت قادرا على حساب كلفة علب الفاصولياء والبزالية، لأن محاسب الكلفة مجاز، والموسم في بدايته ولم تحسب أسعار الكلفة لحد الآن. أجبته سأُحاول معتمداً على المعلومات المتوفرة. المهم أنجزت الحسابات ومازلت أتذكر أن تكلفة علبة البزالية أصبح 63.5 فلسا، سلمته ماتوصلت اليه من نتائج وقد ثَبتُ كل مصادر معلوماتي حتى لا يحملني غير مسؤولية الحسابات ودقتها. بعد إسبوع باشر محاسب الكلفة الأستاذ حيدر ودقق ماحسبته وكانت النتيجة مطابقة جدا. أوفى المدير بوعده وطلب مني أن أقدم طلبا لشغل وظيفة في الحسابات. باشرت في جمع الوثائق المطلوبة للتوظيف، وأنا غير متأكد من نجاح المدير في تعييني، لأن التعيينات أصبحت في ظل حكم البعث الثاني خاضعة لموافقة حزب البعث. كان هذا ألعرض في ربيع 1969 ، وأصبح كاتب الصادرة في الذاتية البعثي مهدي ألخزرجي* وزميلي في الثانوية مسؤولا عن الأمن ألصناعي و المسؤول البعثي الأول في المعمل ويراقب التعيينات وحركة العمال وحتى عمل المدير. من الطبيعي أن يعارض مهدي تعيني، بالرغم من علاقته الظاهرية الطيبة معي، وقالها لي مازحاً مادمت شيوعيا فلا تفكر بالتوظيف في المعمل. أخبرني المدير متأسفا من موقف منظمة البعث في المعمل في رفض توظيفي وأن لاحول له.

في ايلول 1969 أتصل أبو بشرى وأخبرني بحصولي على زمالة الى بولونية وما علي إلا السفر. كان لدي جواز سفر حصلت عليه مباشرة بعد إنقلاب 17 تموز وقد أنتهى مفعوله وعليَ تجديده. قدمت طلبا للتجديد فجاء الجواب من بغداد بالمنع. وقد ساعدني أخي همام مستعينا بجارة سابقة، زوجة لمدير أمن (أبو فيصل) وطلب منها مساعدتي

لأنجاز معاملة سفري. وبعد أقل من إسبوع من تكليف جارته أم فيصل أتصل أخي وطلب مني الذهاب لأم فيصل في مدينة الشرطة في بغداد. سلمتني أم فيصل ظرفا مفتوحا وفيه كتاب من مديرية الأمن العامة برفع المنع والموافقة على سفري. قرأت نص الكتاب وأعدته للظرف، وسألتها مستغربا كيف يمكنني تسليم كتاب الموافقة مفتوحا، وأنا أعرف أن هذه الكتب سرية، فأجابت أن هذا مقصود وإذا ماعرقلوا معاملتك أطلب منهم الأتصال بهذا الرقم، وكتبت رقم التلفون على الظرف. وعتبت على أخي همام لأنه لم يعطيها إسمي، وفي المديرية إحتاروا من المقصود بالمنع ولما سألوها لم تعرف أن أخي همام له شقيقين مما أضطرت المديرية بالاتصال بأمن كربلاء لتعرف من منا يريد السفر. شكرتها وأخذت الكتاب متوجها لمديرية أمن كربلاء، وقد أستغربوا أن تسلمني مديرية الأمن العامة كتاب الموافقة باليد ومفتوحا!! وأخبرتهم أن قريبي مديرأمن وهذا تلفونه وطلب مني الأتصال به في حالة حاجتكم لأي توضيح. في اليوم الثاني أستلمت الجواز وأبلغت إدارة معمل التعليب بتركي للكشك لغرض ترتيب إستلام البضاعة الموجودة فيه، وقد فرح المدير صبري رشيد لسفري وقدم لي هدية عبارة عن مجموعة معلبات، متمنيا لي النجاح في دراستي.

رغم عملي الجاد في المصنع والكشك بمعدل يزيد عن 13 ساعة يوميا ومحدودية صرفي فلم أتمكن من جمع تكاليف السفر وما يتطلبه من تجهيزات. لم أتمكن من توفير كل ماحصلت عليه من العمل لأني كنت أساهم بصورة فعالة في مساعدة والدي المفصول من العمل في معيشة العائلة. بادر أخي همام بالمساهمة في شراء بعض أحتياجاتي من ملابس وغيرها. كان كل ماجمعته لايتجاوز المائة دينار لذلك قررت أن أسافر بالقطار من بغداد الى براغ، حيث كان علي أن أسلم رسالة من المكتب السياسي لمهدي الحافظ، مع توصية خاصة بحميد برتو لتدبير فيزة له.

يوم سفري من محطة بغداد العالمية قرر بعض الأصدقاء الأعزاء، وفي مقدمتهم صادق الحلاق طيب الله ثراه، لدعوتي لحفلة عشاء في أبي نؤاس لتوديعي، وهكذا سهرت مع أعز أصدقائي وهم كل من صادق الشامي وعلي عبد الكريم، لأودع بغداد الحبيبة، وأنا أحس برهبة السفر بالقطار وتبديله في المحطات، وهي تجربتي الأولى بالسفر خاصة أن المبلغ الذي أحمله مبلغا متواضعا.

أستغرقت سفرتي ثلاثة أسابيع قضيت منها عدة أيام في صوفيا برفقة الصديق إبراهيم ألسماوي طيب الله ثراه وكانت أيام جميلة تمتعت فيها لأول مرة بجمال الطبيعة البلغارية أيام ألخريف. ثم بعدها غادرت الى براغ وسكنت في أحد الفنادق بضيافة أتحاد الطلبة العالمي، وفي براغ التقيت بالزميل صباح محمود شكري زميلي في (قاووش 3) في نقرة السلمان الذي كان مسؤولا عن ادارة شؤون القاووش. بعد إقامة إسبوع في براغ سافرت بالقطار الى وارشو، وصلت وارشو بتأريخ 29/10/1969 ولم يبق في جيبي غير 40$ بعد أن أشتريت الملابس الشتوية الضرورية من براغ. معرفتي بظروف عائلتي المادية وعدم إمكانياتهم في مساعدتي دفعني لتنظيم حياتي المعيشية وعدم ألإعتماد على عائلتي وقد صرفت أخر دولار مما بقي معي في عيد رأس سنة 1971.

*** ـ مهدي الخزرجي بعثي من كربلاء، وزميلي في ألثانوية، أصبح مسؤولا عن لجنة ألإعدامات في كربلاء أيام ألحرب العراقية ألأيرانية، وقد أعدمه المنتفضون في الانتفاضة الشعبانية ولم ينقذه شتمه لصدام وحزب البعث عند اعتقاله.**